



بسم الله الرحمن الرحيم

مطلب الغرض

من تأليف هذا
الكتاب

دعاء ندسية
اغواء وافسده اه

مطلب الاستدلال

على ان النفس
ليست بجسم

ولا جزأ منه ولا
حالا من أحواله

بل هي شيء آخر
مغارق له بجوهره

واحكامه وخواصه
وأفعاله

من معاني المواضع

الموافقة في الامر

عندنا اليه فنقول
وهو المقصود هنا

اللهم اننا نوجه اليك ونسئ تحوّل ونجاهد به وسأقي طاعتك وزك الصراط المستقيم
الذي نهجته لنا الى مرضاتك فاعنا بقوتك واهدنا بعزتك واعصمنا بقدرك وباغنا الدرر
العلياء برحمتك والسعادة القهوى بيجودك ورأفتك انك على ما تشاء قدير (قال) احمد بن محمد
ابن مسكويه غرضنا في هذا الكتاب ان نحصل لانفسنا خاتما تصدربه عنا الافعال كلها
جميلة وتكون مع ذلك سهلة علينا لا كلفة فيها ولا مشقة ويكون ذلك بصناعة وعلى ترتيب
تعليمي والطريق في ذلك ان نعرف أولا نفوسنا ما هي وأي شيء هي ولا شيء أوجدت
فيها أعنى كمالها وغايتها وما نواها وملكاتها التي اذا استعملناها على ما ينبغي بلغنا بها
هذه الرتبة العلمية وما الاشياء العائقة لداعتنا اما الذي يزكها فتفليح وما الذي يفسدها فتخيب
فان الله عز من قائل يقول ونفس وما سواها قالها هاجورا وتوقاها قد أفلح من زكاه وقد
خاب من دساها ولما كان كل صناعة مباديها ابتدئ وبها تحصل وكانت تلك المبادي
مأخوذة من صناعة أخرى وليس في شيء من هذه الصناعات أن تبين مبادي أنفسها كان لنا
عذر واضح في ذكر مبادي هذه الصناعة على طريق الاجمال والاشارة بالقول الوجيز وان
لم يكن مما قصدهنا له واتبعها به ذلك بما ترخيها من اصابة الخلق الشرير الذي
يشرف شرفا ذاتيا حقيقيا الاعلى طريق العرض الذي لا ثبات له ولا حقيقة أعنى المكتسب
بالمال والمكانة أو السلطان والمغالبة أو الاصطلاح والمواضعة فتقول والله التوفيق قولا
نبين به ان فينا شيئا ليس بجسم ولا يجزء من جسم ولا عرض ولا محتاج في وجوده الى قوة جسمية
بل هو جوهر بسيط غير محسوس بشئ من الحواس ثم نبين ما مقصودنا منه الذي خلقنا له

انما وجدنا في الانسان شيئا ما يصاد أفعال الاجسام وأجزاء الاجسام بحسبه وخواصه
وله ايضا افعال تضاد افعال الجسم وخواصه حتى لا يشارك في حال من الاحوال وكذلك نجد
يبين الاعراض وبضادها كلها غاية المباعدة ثم وجدنا هذه المباعدة والمضادة منها للاجسام
والاعراض انما هي من حيث كانت الاجسام اجساما والاعراض اعراضا حكمه ما بان هذا
الشيء ليس بجسم ولا جزء من جسم ولا عرضا وذلك انه لا يستحيل ولا يتغير وأيضا فانه يدرك
جميع الاشياء بالسوية ولا يلحقه فتور ولا كلال ولا نقص (ويبان ذلك) ان كل جسم له صورة
ما فانه ليس يقبل صورة أخرى من جنس صورته الاولى الا بعد فارقته الصورة الاولى
مفارقة تامة (مثال ذلك) ان الجسم اذا قبل صورة وشكلا من الاشكال كالتماثل مثلاً فليس
يقبل شكلا اخر من التماثل يبع والتدوير وغيره. الا بعد ان يفارقه الشكل الاول وكذلك اذا
قبل صورة نقش او كتابة او شيء كان من الصور فليس يقبل صورة أخرى من ذلك الجسم
لا بعد زوال الاولى وبطلانها البتة فان بقي فيه شيء من رسم الصورة الاولى لم يقبل الصورة
الثانية على التمام بل تختلط به الصورتان فلا يخلص له احداهما على التمام (مثال ذلك) اذا
قبل الشمع صورة نقش في الخاتم لم يقبل غيره من النقوش الا بعد ان يزول عنه رسم النقش
الاول وكذلك الفضة اذا قبلت صورة الخاتم وهذا حكم مستقيم مستمر في الاجسام ونحن نجد
انفسنا نقبل صور الاشياء كلها على اختلافها من المحسوسات والمعقولات على التمام
والكمال من غير مفارقة الاولى ولا معاقبة ولا زوال رسم بل يبقى الرسم الاول تاما كاملا
وتقبل الرسم الثاني ايضا تاما كاملا ثم لا تنزل نقبل صورة بعد صورة ابداد اتمان غير
ان تضعف او تقصر في وقت من الاوقات عن قبول ما يرد عليهم من الصور بل تزداد
بالصورة الاولى قوة على ما يرد عليهم من الصورة الاخرى وهذه الخاصة مضادة لخواص
الاجسام ولهذا العلة يزداد الانسان كلما ارتاض وتخرج في العلوم والآداب فليست
النفس اذن جسمها * فاما انما ليست بعرض فقد تبين ان قبل ان العرض لا يحمل عرضا
لان العرض في نفسه محمول ابدام وجود في غيره لا قوام له بذاته وهذا الجوهر الذي
وصفنا حاله هو قابل ابداحا مل اتم واكمل من حمل الاجسام للعرض فاذا النفس ليست
جسم ولا جزء من جسم ولا عرضا وايضا فان الطول والعرض والعمق الذي به صار الجسم
جسم لا يحصل في النفس في قوتها الوهمية من غير ان تصير به طوله عريضة عميقة ثم تزداد
قيها هذه المعاني ابدان اتمية فلا تصير بها أطول ولا أعرض ولا أعق بل لا تصير بها جسمها
البتة ولا اذا تصورت ايضا كيفيات الجسم تكيفت بها العنق اذا تصورت الالوان والطعوم
والروائح لم تصور بها كما تصور الاجسام ولا يمنع بعض قبول بعض من تضادها كما يمنع
في الجسم بل تقبلها كلها في حالة واحدة بالسواء وكذلك حالها في المعقولات فتمت زداد بكل
معقول تحصله قوة على قبول غيره دائما ابدان اتمية وهذه حالة قابلة لحوال الاجسام وخاصة
في غاية البعد من خواصها وايضا فان الجسم قوام لا تعرف العلوم الام الحواس ولا يميل الا
اليها فهي تنشوقها باللبسة والمشاكلة كاشهوات البدنية ومحبة الانتقام والقلبة وبالجملة كل
ما يحس ويوصل اليه بالحس * والجسم يزداد بهذه الاشياء قوة ويستفيد منها تمامها وكالاتها
تأديته واسباب وجوده فهو يفرح بها ويشقى اليها من اجل انها تتم وجوده وترزق فيه وقده

فاما هذا المعنى الآخر الذي مميّنه نفسا فانه كلما تباهى من هذه المعاني البديهة التي احصيناها وتدخل الى ذاته وتحتل من الحواس باكثر ما يمكن ازداد قوة عما وكالا وتظهر له الاراء الصحيحة والمعة ولات البسيطة وهذا اذن دليل على ان طباعه وجوهره من غير طباع الجسم والبدن وانها كرم جوهر او افضل طباعا من كل ما في هذا العالم من الامور الجسمانية * وايضا فان تشوقها الى ما ليس من طباع البدن وجر صها على معرفة حقائق الامور الالهية وميلها الى الامور التي هي افضل من الامور الجسمانية واظهارها وانصرافها عن الامور والذات الجسمانية يدلنا دلالة واضحة انها من جوهر اعلى واكرم جدامن الامور الجسمانية لانه لا يمكن في شيء من الاشياء ان يتشوق ما ليس من طباعه وطبيعته ولا ان ينصرف في محبة كمال ذاته ويقيم جوهره فاذا كانت افعال النفس اذا انصرفت الى ذاتها فترك الحواس مخالفة لافعال الابدن ومضادة لطا في محاربتها وارادتها فلا محالة ان جوهرها مفارق لجوهر البدن ومخالف له في طبعه * وايضا فان النفس وان كانت تأخذ كثير من مبادئ العلوم عن الحواس فاما من نفسها ما دأخر وافعال لا تأخذها عن الحواس البتة وهي المبادئ الثمينة العالية التي تنبئ عليها القياسات الصحيحة وذلك انها اذا حكمت انه ليس بين طرفي النقيض واسطة فانها لم تأخذ هذا الحكم من شيء آخر لانه أولى ولو اخذته من شيء آخر لم يكن أوليا وايضا فان الحواس تدرك المحسوسات فقط واما النفس فانها تدرك اسباب الازهافات واسباب الاختلافات التي من المحسوسات وهي معقولاتها التي لا تستعين عليها بشيء من الجسم ولا انار الجسم وكذلك اذا حكمت على الحس انه صدق او كذب فليست تأخذ هذا الحكم من الحس لان الحس لا يضاد نفسه فيما يحكم فيه ونحن نجد ان النفس العاقلة فيناتستدرك شيئا كثيرا من خطأ الحواس في مبادئ انعالمها وترد عليها احكامها من ذلك ان البصر يخطئ فيما يراه من قرب ومن بعد اما خطؤه في البعد فبادرا كذا الشمس صغيرة مقدارها عرض قدم وهي مثل الارض مائة ونيفا وستين مرة يشهد بذلك البرهان العقلي فتقبل منه وترد على الحس ما شهد به فلا يقبله واما خطؤه في القرب فبعدم نزله ضوء الشمس اذا وقع علينا من ثقب من بعث صغار كحل الالهواز واشياها التي يستظل بها فانه يدرك بها الضوء الواصل اليه انما هو مسدودا فترد النفس العاقلة عليه هذا الحكم وتغلطه في ادراكه وتعلم انه ليس كما يراه وتخطئ البصر ايضا في حركة القمر والاصحاب والسيوف والساطع ويخطئ في الاساطين المسطرة والخيال واشياها حين يراها مختلفة في اوضاعها ويخطئ ايضا في الاشياء التي تتحرك على الاستدارة حتى يراها كالحلقة والاطوف ويخطئ وايضا في الاشياء الغائصة في الماء حتى يرى ان بعضها اكبر من مقداره ويرى بعضها مكسورا وهو صحيح وبعضها موهج ومستقيم وبعضها مكسور وهو منتصب فيستخرج العقل اسباب هذه كلها من مبادئ عقلية ويحكم عايم احكاما صحيحة وكذلك الحال في حاسة الدمع وحاسة الذوق وحاسة الشم وحاسة اللمس اعني حاسة الذرق تغلط في المحلوتجيد منها عند الصد او ما شبهه وحاسة الشم تغلط كثيرا في الاشياء الممتنة لاسيما في المنتقل من رائحة الى رائحة فالعقل يرد هذه القضايا ويقف فيها ثم يستخرج اسبابها ويحكم فيها احكاما صحيحة والمحكم في الشيء المزيف له او المصحح افضل واعلى رتبة من الحكموم عليه وبالجملة فان النفس

قوله فان تشوقها
الى النفس وان
كان سياق العبارة
يقضي تذكير
الاصح

إذا علمت أن الحس صدق أو كذب فليست تأخذ هذا العلم من الحس ثم إذا علمت أنها قد أدركت معقولاً لم تأخذ العلم من علم آخر فأنها لو علمت هذا العلم من علم آخر لاحتاجت في ذلك العلم أيضاً إلى علم آخر وهذا غير بلانية فاذن علمها بأنها علمت ليس بخوف من علم آخر البتة بل هو من ذاتها وجوهرها المعنى العقل وليست محتاجة في ادراكها ذاتها إلى شيء آخر غير ذاتها ولهذا ما قيل في آخر هذا العلم أن العقل والعقل والمعقول شيء واحد لا غيرية شيء يقين في موضعه فاما الحواس فلا تحس ذاتها ولا ما هو موافق لها كل الموافقة كما يتبين أيضاً واذن تدبر من هذه الأشياء يانا واضحا أن النفس ليست بجسم ولا تجزء من جسم ولا حال من أحوال الجسم وانما هي آخر مقارن للجسم بجوهره واحكامه وخواصه وافعاله فنقول

أما شوقها إلى أفعالها الخاصة بها أعني العلوم والمعارف مع هربها من أفعال الجسم الخاصة به فهو فضيلة لموجب طلب الإنسان لهذه الفضيلة وحرصه عليها يكون فضله وهذا الفضل يتزايد بسبب عناية الإنسان بنفسه وانصرافه عن الأمور الدنيا ثقة له عن هذا المعنى بجهده وطاقته وقد وضع مما تقدم ما الأشياء العائقة لتناع الفضائل أعني الأشياء البدنية والحواس وما يتصل بها فلما الفضائل أنفسها فليست تحصل لنا إلا بعد أن تظهر نفوسنا من الرذائل التي هي اضدادها أعني شهوات الرذيلة البدنية ونزواتها الفاحشة البهيمية فان الإنسان إذا علم أن هذه الأشياء ليست فضائل بل هي رذائل تجنبها وكره أن يوصف بها وإذا ظن أن أفضالش له أو صارت له عادة وبسبب التباسه وتدنهسها يكون بعده من قبول الفضائل وقد يظهر للإنسان أن هذه الأشياء التي يشتهها البدن بالحواس ويميل إليها الجمل هو راعى الماء كل والمشارب والمناجيح هي رذائل وليست فضائل وأنه إذا علمها في الحيوانات الآخر وجد كثير منهم ما أقدر على الاستكثار منها وأحرص عليها كالخنزير والكلاب وأصناف كثيرة من حيوان الماء وسباع الوحش والطير فأنها أقوى وأحرص من الإنسان على هذه الأشياء وأكثر احتماؤها وليست تكون بها أفضل من الإنسان وأيضاً فإن الإنسان إذا اكتفى من طعامه وشربه وسائر لذاته البدنية اعترض عليه الاستزادة منها كما يستزاد من الفضائل إلى ذلك وعافه وتبين له قبح صورة من يتعاطاها لا سيما مع الاستغناء عنهم ولا كثرة ما من بل يتجاوز ذلك إلى مقتله وذمه بل إلى تقويته وتاديبه فينبغي أن تقدم لهم ما من مطالبه من سعادة النفس وفضائلها كلاً ما يسهل به فهو ما نريد فقول

كل موجود من حيوان ونبات وجماد وكذلك بسائطها أعني النار والهواء والأرض والماء وكذلك الأجرام العلوية له قوى وملكات وأفعال بها يصير ذلك الموجود هو ما هو وبها يميز عن كل ما سواه وله أيضاً قوى وملكات وأفعال بها يشارك ما سواه ولما كان الإنسان من بين الموجودات كلها هو الذي يلتمس له الخلق المحمود والافعال المرضية وجب أن لا ننظر في هذا الوقت في قواه وملكانه وأفعاله التي بها يشارك سائر الموجودات إذ كان ذلك من حق صناعة أخرى وعلم آخر يعمى العلم الطبيعي وأما أفعاله وقواه وملكانه التي يختص بها من حيث هو إنسان وبها تتم إنسانيته وفضائله فهي الأمور الإرادية التي جهات على قوة الفكر والتمييز والنظر فيها يسمى الفلسفة العلمية والأشياء الإرادية التي تنسب إلى الإنسان

مطلب فضيلة
النفس وهي
الميل إلى العلوم
وتفاوت الناس
بتفاوتها فيها

مطلب اقتصار
الكتاب على ذكر
قوى الإنسان
وملكاته وأفعاله
الغير المشتركة
مع باقي الحيوانات

تنقسم الى الخسرات والشرو وذلك ان الغرض المقصود من وجود الانسان اذا توجه الى الواحد
 من الالهة حتى يحصل هو الذي يجب ان يسمى به خيرا او سعيدا فاما من عاقبه عنها عوائق آخر
 فهو الشرير الشقي فاذن الخيرات هي الامور التي تحصل للانسان بآرادته وسعيه في الامور
 التي لها اوجد الانسان ومن اجلها خاق والشرو هي الامور التي توقعه عن هذه الخيرات
 وآرادته وسعيه او كسله وانصرافه والخيرات قد تنقسمها الاولون الى اقسام كثيرة وذلك ان منها
 ماهي شريفة ومنها ماهي مذمومة ومنها ماهي نافعة ومنها ماهي بالقوة كذلك ونعني بالقوة التميز
 والاستعداد ونحن نعدد لها فيما بعد ان شاء الله تعالى وقد قدمنا القول ان كل واحد من
 الموجودات له كمال خاص وفعل لا يشاركه فيه غيره من حيث هو ذلك الشيء اعني انه لا يجوز
 ان يكون موجود اخر سواء بصلح لذلك الفعل منه وهذا حكم مستمر في الامور العلوية والسفلية
 كالشمس وسائر الكواكب وكانواع الحيوان كلها كالفرس والبازي وكانواع النبات والماذن
 وكانواع البسائط التي متى تصفحت احوالها تبين لك من جملة هاهنا ما قلناه وحكمنا به
 فاذا الانسان من بين سائر الموجودات له فعل خاص به لا يشاركه فيه غيره وهو ما صدر عن
 قوته المميز المروية فكل من كان يتميز به اصغر ورويته اصدق واختياره افضل كانا كمال
 في انسانيته وكان السيف والشاروان صدر عن كل واحد منهما فاعله الخاص بصورته
 الذي من اجله عمل فافضل السيف ما كان امضى وانصر وما كفاه يسير من الائمة في بلوغ
 كماله الذي اعدله وكذلك الحال في الفرس والبهي وسائر الحيوانات فان افضل الافراس
 ما كان امره حركة واشد تيقظا ما يريد الفارس منه في طاعة اللباص وحسن القبول في
 الحرب كات وخفة العدو والنشاط فكذلك الانسان افضلهم من كان اقدر على افعاله الخاصة
 به واشدهم تسكبا بشر انطجوه الذي يتميز به عن الموجودات باذن الواجب الذي لا مزية
 فيه ان نخرص على الخيرات التي هي كمالنا والتي من اجلها خلقنا ونجتهد في الوصول الى التمام
 اليها وتجنب الشرور التي توقعها عنها وتنقص حظها فان الفرس اذا قصر عن كماله ولم
 تظهر افعاله الخاصة به على افضل احواله لاحظ من مرتبة الفرسية واستعمل بالا كاف
 كما تستعمل الحبر وكذلك حال السيف وسائر الالات متى قصرت ونقصت افعاله الخاصة
 بها حطت عن مراتبها واستعمال ما دونها والانسان اذا نقصت افعاله وقصرت عما
 خلق له اعني ان تكون افعاله التي تصدر عنه وعن رويته غير كماله اخرى بان يحيط عن مرتبة
 الانسانية الى مرتبة البهيمية هذا ان صدرت افعاله الانسانية عنه نافعة غير تامة فاذا صدرت
 هذه الافعال بضد ما اعدله اعني الشرور التي تكون بالروية الا قصرة والعدول بهما عن جهتها
 لاجل الشهوة التي يشارك فيها البهيمة أولا ولا غترار بالامور الحسية التي تشغله عما عرض
 له من تزكية نفسه التي يتنسى بها الى الملك الرفيع والسرور الخفيقي وتوصله الى قررة العين التي
 قال الله تعالى فلاتعلم نفس ما اخفي لهم من قررة عين وتباعدته الى رب العالمين في النعيم المقيم
 والذات التي لم ترها عين ولا سمعها اذن لا خطر على قلب بشر وانخدع عن هذه المؤهبة
 السرمدية الشريفة بتلك الحساسات التي لا ثبات لها فهو حقيق بالثبات من خاتمة وجل
 خليق بتجهيل العقوبة له وراحة العباد والبلاد منه واذا قد تبين ان سعادة كل موجود انما هي
 في صدور افعاله التي تخص صورته عنه تامة كماله وان سعادة الانسان تكون في صدور افعاله
 الانسانية

مطلب تقسيم
 الخسرات الى
 شريفة ومذمومة
 ونافعة الى غير
 ذلك

الانسانية عنه بحسب تميزه ورويته وان لهذه السعادة مراتب كثيرة بحسب الروية والمروية فيه ولذلك قيل افضل الروية ما كان في افضل مروية ثم ينزل رتبة فرتبة الى ان يفتى الى النظر في الامور الممكنة من العالم الحسي فيكون الناظر في هذه الاشياء قد استعمل رويته والصورة الخاصة به التي صار من اجلها سعيدا معرضا للآلام الابدية والنعيم السرمدى في اشياء دنيوية لا وجود لها بالحقيقة فقد تبين ايضا اجناس السعادات بالجملة واضدادها من الشقاوات واجناسها وان الخيرات والشرور في الافعال الارادية هي اما باختيار الافضل والعمل به واما باختيار الاذون والميل اليه ولما كانت هذه الخيرات الانسانية وملكاتنا التي

في النفس كثيرة ولم يكن في طاقة الانسان الواحد القيام بجميعها وجب ان يقوم بجميعها جماعة كثيرة منهم. ولذلك وجب ان تكون اشخاص الناس كثيرة وان يجتمعوا في زمان واحد على تحصيل هذه السعادات المشتركة التامة كل واحد منهم بمعاونة الباقين له فتكون الخيرات مشتركة والسعادة مفروضة بينهم فيتوزعوا غراحتي يقوم كل واحد منهم بحجز منها ويتم للجميع معاونة الجميع الكمال الانسي وتحصل لهم السعادات الثلاث التي شرحتها في كتاب الترتيب ولاجل ذلك وجب ان تكون الناس بحسب بعضهم بعض الان كل واحد يرى كماله عند الآخر ولولا ذلك لما تمت لهذات سعاداته فيكون اذن كل واحد بمنزلة عضو من اعضاء البدن وقوام الانسان به مام اعضاءه بدنه * وقد تبين للناظر في امر هذه النفس وقواها انها تنقسم الى ثلاثة اقسام اعني القوة التي بها يكون الفكر والتمييز والنظر في حقائق الامور والقوة التي بها يكون الغضب والتجدة والاندام على الاحوال والشوق الى التسلط والترفع وضروب الكرامات والقوة التي بها تكون الشهوة وطالب الغذاء والشوق الى الملاذ التي في المآكل والمشارب والمناكم وضروب الازدحام الحسية وهذه

مطلب تقسيم القوى الى ثلاث وان الفضائل تنولد عنها

الثلاث متباينة وبهم من ذلك ان بعضها اذا قوى اضر بالآخر وربما ابطل احدها فعمل الآخر وبما جعلت نفوسا وربما جعلت قوى لنفس واحدة والنظر في ذلك ليس يليق به في هذا الموضع وانت قد كنت في تعلم الاخلاق بأنها قوى ثلاث متباينة تقوى احداها وتضعف بحسب المزاج والعادة والتأديب * فالقوة الناطقة هي التي تسمى الملكية وآلتها التي تستعملها من البدن الدماغ * والقوة الشهوية هي التي تسمى بالهيمية وآلتها التي تستعملها من البدن الكبد * والقوة الغضبية هي التي تسمى بالسبعية وآلتها التي تستعملها من البدن القلب فلذلك وجب ان يكون عدد الفضائل بحسب اعداد هذه القوى وكذلك اعدادها التي هي رذائل فتى كانت حركة النفس الناطقة معتدلة وغير خارجة عن ذاتها وكان شوقها الى المعارف الصحيحة لا المظنونة معارف وهي بالحقيقة جهالات حدثت عنها فضيلة العلم وتبعتها الحكمة ومتى كانت حركة النفس الهيمية معتدلة متفاداة للنفس العاقلة غير متأينة عليها فيما تقسطه لها ولا منهمة في اتباع هواها حدثت عنها فضيلة العفة وتبعتها فضيلة السخاء ومتى كانت حركة النفس الغضبية معتدلة تعاضد النفس العاقلة فيما تقسطه لها فلا تنجس في غير حيزها ولا تنغمس اكثر مما ينبغي لها حدثت عنها فضيلة الحلم وتبعتها فضيلة الشهادة فيحدث عن هذه الفضائل الثلاث باعتبارها ونسبة بعضها الى بعض فضيلة هي كمالها وتسميها وهي فضيلة العدالة فلذلك اجتمع الحكماء ان

قوله الناطقة وفي نسخة العاقلة اه

اجناس الفضائل اربع وهى الحكمة والعفة والشجاعة والعدل فلهذا لا يفخر احد ولا يتباهى الا بهذه الفضائل فقط فأما من افخر بآبائه واسلافه فلا يمت كاتوا على بعض هذه الفضائل أو علمها كالأكل واحدة من هذه الفضائل اذا تعدت صاحبها الى غيره تسمى صاحبها باسم واحد علمها اذا اقتصر على نفسه لم يسم بها بل غيرت هذه الاسماء اما الجود فانه اذا لم يتعد صاحبه سمي صاحبه منقافا واما الشجاعة فان صاحبها يسمى انقا واما العلم فان صاحبه يسمى مستبصر اثم ان صاحب الجود والشجاعة اذا هم غير بفضيلته وتعدناه رجي باحداها راجع شتم وهيب بالآخرى وذلك فى الدنيا فقط لانهم افضيلتان حيوانيتان اما العلم اذا تعدى صاحبه فانه يرجى ويحشم فى الدنيا والآخرة لانه فضيلة انسانية ملكية

فلهذا نرى هذه الفضائل الاربع اربع باضاد وهى الجهل والشر والخبث والجور وتحت كل واحد من هذه الاجناس انواع كثيرة سنذكر منها ما يمكن ذكره فأما انخصاص الانواع فهى بلاتماية وهى امراض نفسانية تحدث منها امراض كثيرة كالخوف والحزن والنضب وانواع العشق الشهوانى وضروب من سوء الخلق وسنذكرها ونذكر علاجاتها فيما بعد ان شاء الله تعالى والذي يجب علينا الآن هو تحديد هذه الاشياء اعنى الاجناس الاربعة التى تحتوى على

قوله أنفاله
زيادة غير اربعة
اه

جل الفضائل فنقول

مطلب بيان
الفضائل الاربع
ومبداها

اما الحكمة فهى فضيلة النفس الناطقة المميزة وهى ان تعلم الموجودات كلها من حيث هى موجودة وان شئت فقل ان تعلم الامور الالهية والامور الانسانية ويشمر علمها بذلك ان تعرف الما قوليات ايم يجب ان يفعل وايم يجب ان يعقل * واما العفة فهى فضيلة الحس الشموانى وظهور هذه الفضيلة فى الانسان يكون بان يصرف شهواته بحسب الراى اعنى ان يوافق التمييز الصحيح حتى لا ينفق لها ويصير بذلك حرا غير متعبدا لشي من شهواته * واما الشجاعة فهى فضيلة النفس الغضبية وتظهر فى الانسان بحسب انقيادها للنفس الناطقة المميزة واستعمال ما بوجبه الراى فى الامور الهائلة اعنى ان لا يخاف من الامور المفزعة اذا كان قهلا جريلا والصبر علمها محمودا فاما العدالة فهى فضيلة للنفس تحدث لها من اجتماع هذه الفضائل الثلاثة التى عندناها وذلك عند مدالة هذه القوى بعضها ببعض واستسلامها للقوة المميزة حتى لا تتغالب ولا تتحرك نحو مطالباتها على سوم طباتها ويحدث للانسان بهامة يختار بها ابد الانصاف من نفسه على نفسه أولا ثم الانصاف والانتهاف من غيره وله وستكلم على كل واحدة من هذه الفضائل بكلام اوسع من هذا اذا ذكرنا الفضائل التى تحت كل جنس من هذه الاربع اذ كان غرضنا فى هذا الموضع الاشارة اليها بالرسوم الوجيزة لية تصورها التعلل والذي ينبغي ان نتبع ما قدمناه ذكر انواع هذه الاجناس وما تحت كل واحد منها فنقول (الاقسام التى تحت الحكمة) الذكاء الذى هو العقل مرعة الفهم وقوته صفاء الذهن سهولة التعلم وبهذه الاشياء يكون حسن الاستعداد للحكمة فأما الوقوف على جواهر هذه الاقسام فيكون من حدودها وذلك ان العلم بالحدود يفهم جواهر الاشياء المطلوبة الموجودة دائما على حال واحد وهو العلم الالهى الذى لا يتغير ولا يذله الشك بوجه من الوجوه والفضائل التى هى بذاتها فضائل ليست تكون فى حال من الاحوال غير فضائل فكذلك العلوم بها أما الذكاء فهو سرعة انقذاح النتائج وسهولتها

الذكور
الذال

على النفس وأما الذكر فهو ثبات صوزة ما يخصه العقل أو الوهم من الامور وأما التعقل فهو موافقة بحث النفس عن الاشياء الموضوعة بقدر ما هي عليه وأما صفاء الذهن فهو استعداد النفس لاستخراج المطلوب وأما جوده الذهن وقوته فهو تأمل النفس لما قد لزمن من المقدم وأما سهولة التعلم فهي قوة للنفس وحده في الفهم بما تدرك الامور النظرية

والفضائل التي تحت العفة هي الحياء الدعة الصبر السخاء الحرية الفناعة الدماثة الانتظام حسن الهدى المسامحة الوفاق الورع * اما الحياء فهو انحصار النفس خوفاً لتيان القبايح والحذر من الذم والسب الصادق وأما الدعة فهو سكون النفس عند حركة الشهوات وأما الصبر فهو مقاومة النفس الهوى لثلاثة قد لا قبائح الذات وأما السخاء فهو التسويف في الاعطاء وهو ان ينفي الاموال فيما ينبغي على مقدار ما ينبغي وعلى ما ينبغي وتحت السخاء خاصة أنواع كثيرة تخصها فيما بعد كثرة الحاجة اليها وأما الحرية فهي فضيلة للنفس بها يكتسب المال من وجهه ويعطى في وجهه ويمتنع من اكتساب المال من غير وجهه وأما الفناعة فهي التساهل في المال كل المشارب والزينة وأما الدماثة فهي حسن انقياد النفس لما يجمل وتسرعها الى الجميل وأما الانتظام فهو حال للنفس تقودها الى حسن تقدير الامور وترتيبها كما ينبغي وأما حسن الهدى فهو محبة تكميل النفس بالزينة الحسنة وأما المسامحة فهي موادة تحصل للنفس عن ملكة لا اضطرار فيها وأما الوفاق فهو سكون النفس وثباتها عند الحركات التي تكون في المطالب وأما الورع فهو لزوم الاعمال الجميلة التي فيها كمال النفس * (الفضائل التي تحت الشجاعة) * كبر النفس النجدة عظم الهمة الثبات الصبر الحلم عدم الطيش الشهامة احتمال الكد والفرق بين هذا الصبر والصبر الذي في العفة ان هذا يكون في الاورالهائلة وذلك يكون في الشهوات الهائجة أما كبر النفس فهو الاستهانة باليسير والاعتدال على جل الكرائم والهوان فصاحبه أبداً يؤهل نفسه للامور العظام مع استخفافه لها وأما النجدة فهي ثقة النفس عند المخاوف حتى لا يخامرها جزع وأما عظم الهمة فهي فضيلة لا نفس تختمل بهاساً عادية الجذوض ذها حتى الشدائد التي تكون عند الموت وأما الثبات فهو فضيلة لا للنفس تقوى بها على احتمال الالام ومقاومة تمها في الالوال خاصة وأما الحلم فهو فضيلة للنفس تكسبها الطمأنينة فلا تكون شعبة ولا يحركها الغضب سهولة وسرعة وأما السكون الذي نغني به عدم الطيش فهو أمان عند الخصومات وأمان في الحروب التي يذب بها عن الحرم أو عن الشر بعة وهي قوة للنفس تقسرح كتمانها في هذه الاحوال لشدها وأما الشهامة فهي الحرص على الاعمال العظام توقعا لا حدود الجيلة وأما احتمال الكد فهو قوة للنفس تستعمل آلات البدن في الامور الحسنة بالتمرين وحسن العادة

* (الفضائل التي تحت السخاء) * الكرم الايثار النيل المواساة السماحة المسامحة أما الكرم فهو اتفاق المال الكثير بسهولة من النفس في الامور الجيلة القدر الكثير النفع كما ينبغي وباقي شرائط السخاء التي ذكرناها وأما الايثار فهو فضيلة للنفس بها يكف الانسان عن بعض حاجاته التي تخصه حيي يسدله ان يستحقه وأما النيل فهو سرور النفس بالافعال العظام وابتهاجها بلزوم هذه السيرة وأما المواساة فهي معاونته الاصدقاء والمستحقين ومشاركتهم في الاموال والاقوات وأما السماحة فهي بذل بعض ما لا يجب وأما

المساهمة فهي ترك بعض ما يجب والجيب يكون بالارادة والاختيار

* (الفضائل التي تحت العدالة) * الصداقة الالفة صلة الرحم المكافاة حسن الشكر

القضاء التردد العبادة ترك الحقد مكافاة الشر بالخير استعمال اللطاف ركوب المروءة في جميع

الاحوال ترك المعادات ترك الحكاية عن ليس بعدل مرضى البحث عن سيرة من يحكى عنه

العدل ترك لفظ واحدة لا خير فيهما سلم فضلا عن حكاية توجب حذرها او قلها أو قطعها

ترك السكون الى قول سقطة الناس وسقطهم ترك قول من يكذب بين الناس ظاهرا باطنا

او يحذف في مسألة او يلج السؤال فان هؤلاء برضهم الشئ اليسير فية ولون لاجله حسنا

و يسهطهم اذا منعوا اليسير فيقولون لاجله فيها ترك الشر في كسب الحلال وترك ركوب

الدناءة في الكسب لاجل العيال الرجوع الى الله والى عهده وميثاقه هند كل قول يتلفظه

او لحظ يلحظه او خطرة في اعدائه واصدقائه ترك اليمين بالله وبشي من اسمائه وصفاته راسا

وليس بعدل من لم يكرم زوجته واهلها المتصلين بها واهل المعرفة الباطنة به وخير الناس

خيرهم لاهله وعشيرته والمتصلين به من اخ او ولد او متصل باخ او ولد او قريب او نسب

او شر يك او جار او صديق او خبيب ومن احب المال حبسا فرط لم يؤهل لهذه المرتبة

فان حرصه على جميع المال بصدقه عن استعمال الرفاة وامتناع الحق وبذل ما يجب ويضطره الى

الخطاة والكذب والاختلاق والزور ومنع الواجب والاستقصاء واستحلاب الدائق والحبة

والذرة لببيع الدين والمروءة وربما نفق اموال الجمة محبة منه للمجدة وحسن الثناء ولا يريد

بذلك وجه الله وما عنده بل يتخذها مصيدة ويجعل ذلك مكسبة ولا يعلم ان ذلك عليه سبيقة

ومسبة * اما الصداقة فهي محبة صادقة يتم معها جميع اسباب الصديق وايشار

فعل الخير التي يمكن فعلها به واما الالفة فهي اتفاق الآراء والاعتقادات وتحدث عن

التواصل فيعتمد معها التضافر على تدبير العيش وامالة الرحم فهي مشاركة ذوى الالفة في

الخيرات التي تكون في الدنيا واما المكافاة فهي مقابلة الاحسان بمثله او بزادة عليه

واما حسن الشكر فهو الاخذ والاعطاء في المعاملات على الاعتدال الموافق للجميع واما

حسن القضاء فهو مجازاة بغير ندم ولا من واما التودد فهو طلب ودات الاكفاء واهل

الفضل بحسن اللقاء والاعمال التي تستدعي المحبة منهم واما العبادة فهي تعظيم الله تعالى

في تعريفه وطاعته وكرام اوليائه من الملائكة والانبياء والائمة والعمل بما توجبه الشريعة

القضاء تأمل اه وتقوى الله تعالى تتم هذه الاشياء وتكملها * واذا قد تقصينا الفضائل الاول واقسامها

وذكرنا انواعها واجزاءها فقد عرفنا الرذائل التي تضاد الفضائل لانه يفهم من كل واحدة

من تلك الفضائل كلها ما يقابلها لان العلم بالاضداد واحد ولما كانت هذه الفضائل هي

اوساط بين اطراف وتلك الاطراف هي الرذائل وجب ان تفهم منها وان اتسع لس الزمان

ذكرنا هالان وجود اسمائها في هذا الوقت تعذر و ينبغي ان نفهم من قولنا ان كل فضيلة

هي الرذائل وبيان معنى الوسط في

فهي وسط بين رذائل ما انا واصغره ان الارض لما كانت في غاية البعد من السماء قيل انها وسط

وبالجملة المر كزن الدائرة هو على غاية البعد من المحيط واذا كان الشئ على غاية البعد من

شئ آخر فهو من هذه الجهة على القطر فعلى هذا الوجه ينبغي ان يفهم معنى الوسط من الفضيلة

اذا كانت بين رذائل بعدد هاتم اقصى البعد ولهذا اذا انحرفت الفضيلة عن موضعها

الخاص بها ادنى انحراف قريب من رذيلة اخرى ولم تسلم من العيب بحسب قربها من تلك

يكذب بتشديد

الدال وماضيه

كدي كذلك اى

يسأل الناس اه

قوله التضافر

اتعاون وتضافر

انقوم تعاونا

على الامر اه

في تعريف حسن

القضاء تأمل اه

مطلب ان تلك

الفضائل هي

اوساط بين اطراف

هي الرذائل وبيان

معنى الوسط في

ذلك وتفسير اصابة

الفضيلة تأمة

الرذيلة التي غلب اليها ولهذا اصعب جدا وجود هذا الوسط ثم التمسك به بعد وجوده اصعب
ولذلك قالت الحكماء اصابة نقطة الهدى اعمى من العدول عنها ولزوم الصواب بعد ذلك
حتى لا يخطئها اعمى واصعب وذلك ان الاطراف التي تسمى رذائل من الافعال والاحوال
والزمان وسائر الجهات كثيرة جدا ولذلك دواعي الشر اكثر من دواعي الخير ويجب ان يطلب
اوساط تلك الاطراف بحسب انسان انسان فاما ما يجب على شخص شخص فان هذا
الاوساط وقوانينها بحسب ما يليق بالصناعة لا على ما يجب على شخص شخص فان هذا
غير ممكن فان التجار والصائغ وجيع ارباب الصناعات انما يحصل في نفوسهم قوانين واصول
فيعرف التجار صورة الباب والمدير والصائغ صورة الخاتم والتاج على الاطلاق فاما
اشخاص ما قام في نفسه فانما يستخرجها بتلك القوانين ولا يمكنه تعريف الاشخاص لانها
بالنهاية وذلك ان كل باب وخاتم انما يعمل بمقدار ما ينبغي وعلى قدر الحاجة وبحسب المادة
والصناعة لا تضمن المعرفة الاصول فقط وان قد ذكرنا معنى الوسط في الاخلاق وما ينبغي
ان يفهم منه فلندكر هذه الاوساط لتفهم منها الاطراف التي هي رذائل وشرور فتقول
وبالله التوفيق

مطلب طرفي
الحكمة واقسامها

(١) اما الحكمة فهي وسط بين السفه والبله واعني بالسفه ههنا استعمال القوة الفكرية
فيما لا ينبغي وكالا ينبغي وسماه القوم الجريرة واعني بالبله تعطيل هذه القوة واطراحها
وليس ينبغي ان يفهم ان البله ههنا نقصان الخلقة بل ما ذكرته من تعطيل القوة الفكرية
بالارادة واما الذكاء فهو وسط بين الخبث والبلادة فان احدث في كل وسط افراط والآخر
تفريط اعني الزيادة عاياه والنقصان منه فالخبث والدهاء والحيل الرديئة هي كلها الى جانب
الزيادة فيما ينبغي ان يكون الذكاء فيه واما البلادة والبله والعجز عن ادراك المعارف فهي كلها
الى جانب النقصان من الذكاء واما الذكر فهو وسط بين النسيان الذي يكون باهمال ما ينبغي
ان يحفظ وبين العناية بما لا ينبغي ان يحفظ واما التعقل وهو حسن التصور فهو وسط بين
الذهاب بالنظر في الشيء الموضوع الى اكثر مما هو عليه وبين القصور بالنظر فيه عما هو عاياه
واما سرعة الفهم فهو وسط بين اختطاف خيال الشيء من غير احكام لفهمه وبين الابطاء عن
فهم حقيقته واما صفاء الذهن فهو وسط بين ظلمة النفس عن استخراج المطلوب وبين التراب
بعرض فيما ينبغي من استخراج المطلوب واما جودة الذهن وقوته فهو وسط بين الافراط في
التأمل المألوم من المقدم حتى يخرج منه الى غيره وبين التفريط فيه حتى يقصر عنه واما سهولة
التعلم فهو وسط بين المبادرة اليه بسلاسة لا تثبت معه صعوبة العلم وبين التعصب عليه
وتعذره

مطلب طرفي العفة
واطراف اقسامها

(٢) اما العفة فهي وسط بين رذيلتين وهما الشره ونحو الشهوة واعني بالشره الانهماك في
الذات والخروج فيما عاياه ينبغي واعني بجهود الشهوة السكون عن الحركة التي تسلك نحو
اللاذة الجميلة التي يحتاج اليها البدن في ضرر ورائته وهي ما رخص فيه صاحب الشريعة
والعقل (واما الفضائل التي تحت العفة) فان الحياء وسط بين رذيلتين احدهما الوفاقة
والاخرى الخرق وانت تقدر على أن تلاحظ اطراف الفضائل الاخرى التي هي رذائل وربما
وجدت لها اسما بحسب اللغة وربما تجد لها اسما وليس بعسير عليك فهم معانيها والسلوك

خرق الرجل من
باب تعب اذا دهش
من شدة الحياء

فيم ا على السبيل التي ساكنها (واما الشجاعة) فهي وسط بين رذيلتين احدهما الجبن
والاخرى التهور * واما الجبن فهو الخوف فيه الا ينبغي أن يخاف منه واما التهور فهو الاقدام
على ما لا ينبغي أن يقدم عليه (واما السخاء) فهو وسط بين رذيلتين احدهما السرف والتبذير
والاخرى البخل والتقتير * واما التبذير فهو بذل ما لا ينبغي لمن لا يستحق واما التقتير فهو منع
ما ينبغي عن يستحق (واما العدالة) فهي وسط بين الظلم والانظلام اما الظلم فهو التوصل الى
كثرة المقتنيات من حيث لا ينبغي وكما لا ينبغي واما الانظلام فهو الاستغناء والاستهانة في
هاتين المقتنيات من لا ينبغي كما لا ينبغي ولذلك يكون للثروة اموال كثيرة لانه يتوصل اليها من حيث
الهندية ان معناه لا يجب ووجوه التوصل اليها كثيرة واما المنظلم فمقتنياته وامله بسيرة جدا لانه يتركها من
الاعطاء واما حيث يجب واما العادل فهو في الوسط لانه يقتني الاموال من حيث يجب ويتركها من حيث لا
الاستهانة بالتساقط يجب فالعدالة فضيلة ينصف بها الانسان من نفسه ومن غيره من غير ان يعطي نفسه من النافع
فهو الاستعراج أكثر وغيره اقل واما في الضار فبالعكس وهو لا يعطي نفسه اقل وغيره أكثر لكن يستعمل
ومراده هنا المساواة التي هي تناسب ما بين الاشياء ومن هذا المعنى اشتق اسمه اعني العدل واما الجائر
بيان معنى فانه يطلب لنفسه الزيادة من المنافع ولغيره النقصان منها واما في الاشياء الضارة فانه يطلب
الانظلام وهو لنفسه النقصان ولغيره الزيادة منها * فقد ذكرنا الاخلاق التي هي خيرات وفضائل
وتعمل الظلم اه واطرافها التي هي شرور وذائل على طريق الامتزاج وحدها ما يجد منها ورسمه ما يرسم
فلجبرته وسنشرح كل واحد منها على سبيل الاستقصاء فيما بعد ان شاء الله تعالى * وينبغي ان نلخص
في هذا الموضوع شيئا من الحقائق طالع هذه الفضائل فنقول * اننا قد بينا فيما تقدم ان الانسان
من بين جميع الحيوان لا يكتفي بنفسه في تكميل ذاته ولا بد له من معاونة قوم كثير العدد
حتى يتم به حياته طيبة ويجري امره على السداد ولهذا قال الحكماء ان الانسان مدني
بالطبع اعى هو محتاج الى مدينة فيها خلق كثير ليرتفع له السعادة الانسانية فكل انسان
بالطبع وبالضرورة يحتاج الى غيره فهو لذلك مضطر الى مصافاة الناس ومعاشرتهم العشرة
الجميلة ومحبتهم المحبة الصادقة لانهم يكملون ذاته ويتممون انسانيته وهو ايضا يفعل بهم
مثل ذلك فاذا كان كذلك بالطبع وبالضرورة فكيف يؤثر الانسان العاقل العارف
بنفسه التفرد والتخلي ويتعاطى ما يرى الفضيلة في غيره فاذا القوم الذين رأوا الفضيلة في
الزهد وترك مخالطة الناس وتفردوا عنهم اما بملزمة المغارات في الجبال واما ببناء
الصوامع في المفارز واما بالسباحة في البلدان لا يحصل لهم شيء من الفضائل الانسانية
التي عددناها وذلك ان من لم يخالط الناس ولم يساكنهم في المدن لا تظهر فيه العفة ولا
النجدة ولا السخاء ولا العدالة بل تصير قواء ومذكاته التي ركبت فيه باطلة لانها لا توجه لالى
خير ولا الى شرفاذا بطلت ولم تظهر افعالها الخاصة بها صاروا بمنزلة الجمادات والموتى من
الناس ولذلك يظنون ويظن بهم انهم اعفاء وليسوا باعفاء وانهم عدول وليسوا بعدول وكذلك
في سائر الفضائل اعني انه اذا لم يظهر منهم احد هذه التي هي شرور وظن بهم الناس انهم
أفاضل وليست الفضائل اعدا ما بل هي افعال واعمال تظهر عندهم مشاركة الناس ومساكنتهم
وفي المعاشلات وضروب الاجتماعات ونحن انما نعلم وتعلم الفضائل الانسانية التي
نساكن بها الناس ونخالطهم ونصير على اذاهم لنصل منها وبها الى سعادات اخر اذا صبرنا
الى

الى حال اخرى وتلك الحال غير موجودة لنا الا ان تمت المقالة الاولى بحمد الله ومنه
* (المقالة الثانية) *

الخلق حال للنفس داعية لها الى افعالها من غير فكر ولا روية * وهذه الحال تنقسم الى
قسمين * منها ما يكون طبيعيا من اصل المزاج كالانسان الذي يجره الى شئ نحو غضب
ويبيع من اقل سبب وكالانسان الذي يجبن من ايسر شئ كالذي يفزع من ادنى صوت بطرق
سمعه او يرتاع من خبر يسمعه وكالذي يضحك ضحكا مفرطاً من ادنى شئ يهجهه وكالذي يغم
ويحزن من ايسر شئ يخاله * ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدرب وربما كان مبدؤه
بالرؤية والفكر ثم يستمر عليه اولا فاولاً حتى يصير ملكة وخلقاً ولهذا الاختلاف القدامى في
الخلق فقال بعضهم الخلق خاص بالنفس غير الناطقة وقال بعضهم قد يكون للنفس الناطقة
فيه حظ ثم اختلف الناس أيضاً اختلافات ثانياً فقال بعضهم من كان له خلق طبيعي لم ينتقل عنه
وقال آخرون ليس شئ من الاخلاق طبيعياً للانسان ولا نقول انه غير طبيعي وذلك انا
مطبوعون على قبول الخلق بل ننتقل بالتأديب والمواظب اما سريرا او بطيئاً وهذا الرأي
الاخير هو الذي نختاره لانا نشاهد عياناً ولان الرأي الاول يؤدي الى ابطال قوة التمييز
والعقل والى رفض السياسات كلها وترك الناس هباءً منثوراً الى ترك الاحداث والصبيان
على ما يتفق ان يكونوا عليه بغير سياسة ولا تعليم وهذا ظاهر الشناعة جدا * واما الرواقيون
فظنوا ان الناس كلهم يتخلقون اخيراً بالطبع ثم بعد ذلك يصيرون اشراراً بمجالاتهم اهل
الشر والميل الى الشهوات الرديئة التي لا تقمع بالتأديب فينمك فيها ثم يتوصل اليها من كل
وجه ولا يفكر في الحسن منها والقبيح * واما قوم آخرون كانوا قبل هؤلاء فظنوا ان
الناس خلقوا من الطينة السفلى وهي كدر العالم فهم لاجل ذلك اشرار بالطبع وانما
يصيرون اخبيراً بالتأديب والتعليم الا ان فيهم من هو فيه غايبة الشر لا يصلح له التأديب وفيهم
من ليس هو فيه غايبة الشر فيمكن ان ينتقل من الشر الى الخير بالتأديب من الصباغ بمجالاتهم
الاخيار واهل الفضل * فاما جالينوس فانه رأى ان الناس فيهم من هو خير بالطبع وفيهم
من هو شر بالطبع وفيهم من هو متوسط بين هذين ثم افسد المذهبين الاولين اللذين
ذكرناهما * اما الاول فبان ان كان كل الناس اخبيراً بالطبع وانما ينتقلون الى
الشر بالتعليم فمن الضرورة ان يكون تعلمهم الشر واما من انفسهم واما من غيرهم فان تعلموا
من غيرهم فان المعلمين الذين علموهم الشر اشراراً بالطبع فليس الناس اذا كلهم اخبياراً
بالطبع وان كانوا تعلموه من انفسهم فاما ان يكون فيهم قوة يشقون بها الى الشر فقط فهم
اذا اشراراً بالطبع واما ان يكون فيهم مع هذه القوة التي تشق الى الشر قوة اخرى تشق
الى الخير الا ان القوة التي تشق الى الشر غالباً فاهرة لاتي تشق الى الخير وعلى هذا أيضاً
يكونون اشراراً بالطبع * واما الرأي الثاني فانه افسدهم مثل هذه الحجة وذلك انه قال ان كان
كل الناس اشراراً بالطبع فاما ان يكونوا تعلموا الخير من غيرهم او من انفسهم ونعيد الكلام
الاول بعينه * ولما افسد هذين المذهبين صحى رأى نفسه من الامور البينة الظاهرة وذلك
انه ظاهر جداً ان من الناس من هو خير بالطبع وهم قليلون وليس ينتقل هؤلاء الى الشر
ومنهم من هو شر بالطبع وهم كثيرون وليس ينتقل هؤلاء الى الخير ومنهم من هو متوسط

بين هذين وهؤلاء قد ينتقلون بمصاحبة الاخيار ومواعظهم الى الخير وقد ينتقلون بمقاربه
 اهل الشر واغوائهم الى الشر * واما رسد طو طاليس فقد بين في كتاب الاخلاق وفي كتاب
 المقولات ايضا ان الشر يرقد ينتقل بالتأديب الى الخير ولكن ليس على الاطلاق لانه يرى
 ان تكرير المواعظ والتأديب وأخذ الناس بالسياسات الجيدة الفاضلة لا بد أن يؤثر ضرب
 التأثير في ضرب الناس فمنهم من يقبل التأديب ويحرك الى الفضيلة بسرعة ومنهم من
 يقبله ويحرك الى الفضيلة بابطاء ونحن نؤلف من ذلك قياسا وهو هذا كل خلق يمكن تغييره
 ولاثنى مما يمكن تغييره هو بالطبع فماذا لا خلق ولا واحد منه بالطبع والمقدمة صيحتان
 والقابض منبج في الضرب الثاني من الشكل الاول اما تصحيح المقدمة الاولى وهى ان كل خلق
 يمكن تغييره فقد ثبت كما نعلمه واوضحناه وهو بين من العيان ومما استدللنا به من وجوب
 التأديب ونفعه وتأثيره في الاحداث والصبيان ومن الشرائع الصادقة التى هى سياسة الله
 لخلقهم * واما تصحيح المقدمة الثانية وهى انه لا شئ مما يمكن تغييره هو بالطبع فهو ظاهر أيضا
 وذلك اننا لزوم تغيير شئ مما هو بالطبع أبدا فان أحد الايروم ان يغير حركة النار التى الى
 فوق بان يعود الى الحركة الى اسفل ولا ان يعود الحجر حركة العلور وم بذلك ان يغير حركة
 الطبيعة التى الى اسفل ولوراءه ما صح له تغيير شئ من هذا ولا ما يجرى مجراه اعنى الامور
 التى هى بالطبع فقد صحت المقدمة ثان وصح التأليف فى الشكل الاول وهو الضرب الثانى
 منه وصار برهانا * فاما مراتب الناس فى قبول هذه الآداب التى هيئنا لها خلقا والمسارعة
 الى تعلمها والحرص عليها فانها كثيرة وهى تشهد وتعين فيهم وخاصة فى الاطفال فان
 اخلاقهم تظهر فيهم منذ بدء نشأتهم ولا يستر ونهار وية ولا فكر كما يفعله الرجل التام الذى
 انتهى فى نشوه وكاله الى حيث يعرف من نفسه ما يستحق منه فيخفيه بضر وبمن الحيل
 والافعال المضادة لما فى طبيعته وانت تتامل من اخلاق الصبيان واستعدادهم لقبول الادب
 او نفورهم عنه وما يظهرون فى بعضهم من القحة وفى بعضهم من الحياء وكذلك ما ترى فيهم من
 الجود والنجل والرحمة والقسوة والحسد ووضده ومن الاحوال المتفاوتة متاعرف به مراتب
 الانسان فى قبول الاخلاق الفاضلة وتعلم مع انهم ليسوا على رتبة واحدة وان فيهم المتوائى
 والمتمتع والسهل السلس والفظ العسر والخير والشرير والمتوسطون بين هذه الاطراف فى
 مراتب لانهم كثره واذا اهلست الطبائع ولم ترض بالتأديب والتقويم نشأ كل انسان على
 سوم طباعه وبقي عمره كله على الحال التى كان عليها فى الطفولة وتبع ما وافقه فى الطبع اما
 الغضب واما اللذة واما الزعارة واما الشره واما غير ذلك من الطبائع المذمومة والشر يعطى التى
 تقوم الاحداث وتعودهم الافعال المرضية وتعد نفوسهم لقبول الحكمة وطايب الفضائل
 والبلوغ الى السعادة الانسية بالفكر الصحيح والقياس المستقيم وعلى الوالدين اخذهم بها
 وبسائر الآداب الجميلة بضر وبالسياسات من الضرب اذا دعت اليه الحاجة او
 التوبيخات ان صدقوا والطامع فى الكرامات او غيرهما يميلون اليه من الراحة ويحذرونه
 من العقوبات حتى اذا تعودوا ذلك واستمر واعليه مدة من الزمان كثيرة امكن فيهم حينئذ ان
 يعلموا برهين ما اخذوه تقليدا وبغيره على طرق الفضائل واكتسابها والبلوغ الى غاياتها
 بهذه الصناعة التى نحن سبيلها والله الموفق (وللانسان فى ترتيب هذه الآداب وسبيلاتها

الزحارة بشديد
 الراه شراسة
 الخلق

اولا اولاً الى السكمال الاخير ماربى طبيعى يتشبه فيها بفعل الطبيعة) وهو ان ينظر الى هذه القوى التى تحدث فيها أيها السابق الينا وجودا فيبدأ بتقويمها ثم بما يليها على النظام الطبيعى وهو بين ظاهر وذلك ان اول ما يحدث فينا هو انشئ العام للحيوان والنبات كله ثم لا يزال يختص بشئ شئ يتميز به عن نوع نوع الى ان يصير الى الانسانية فلذلك يجب ان تبدأ بالشوق الذى يحصل فينا للغة ذاء فنقومه ثم بالشوق الذى يحصل فينا الى الغضب ومحبة الكرامة فنقومه ثم بالشوق الذى يحصل فينا الى المعارف والمعلوم فنقومه وهذا الترتيب الذى قلنا انه طبيعى انما حكمنا فيه بذلك لما يظهر فينا منذ اول نشوتنا اعنى انا نكون اولاً اجنة ثم أطفالاً ثم ناساً كاملياً وتحدث فينا هذه القوى مرتبة فاما ان هذه الصناعات هي افضل الصناعات كلها اعنى صناعة الاخلاق التى تعنى بتجويد افعال الانسان بما هو انسان فيرتبها * مما اقول * لما كان للجوهر الانسانى فعل خاص لا يشاركه فيه شئ من موجودات العالم كما بيناه فيما تقدم وكان الانسان اشرف موجودات عالمنا لم تصدر عنه افعاله بحسب جوهره وشبهناه بالفرس الذى اذا لم تصدر عنه افعال الفرس على التمام استعمل مكان الحمار بالكاف وكان وجوده ارواح له من عدمه وجب ان تكون الصناعة التى تعنى بتجويد افعال الانسان حتى تصدر عنه افعاله كلها تامة كاملة بحسب جوهره وورقه عن رتبة الاخس التى يستحق بها المقت من الله والقرارى العذاب الليم اشرف الصناعات كلها واكرمها واماسائر الصناعات الاخر فرأيت انهما من الشرف بحسب مراتب جوهر الشئ الذى تستصلحه وهذا ظاهر جدا من تصفح الصناعات لان فيها الدباغة التى تعنى باستصلاح جلود البهائم الميته وفيها صناعة الطب والعلاج التى تعنى باستصلاح الجواهر الشريفة الكريمة وهكذا اللهم المتفاوتة التى ينصرف بعضها الى العلوم الدينية وبعضها الى العلوم الشريفة واذا كانت جواهر الموجودات متفاوتة فى الشرف فى الجماد والنبات والحيوان اما فى الحية وان فكجوهر الديدان والحشرات اذا قيس الى جوهر الانسان واما فى جوهر الموجودات الاخر فظاهر ان اراد ان يحصيها فالصناعة والمهنة التى تنصرف الى اشرفها اشرف من الصناعة والمهنة التى تنصرف الى الادون منها ويجب ان يعلم ان اسم الانسان وان كان يقع على افضلهم وعلى اودونهم فان بين هذين الطرفين أكثر مما بين كل متضادين من البعد وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شئ خيرا من ألف مثله الا الانسان وقال عليه الصلاة والسلام الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة واحدة وقال الناس كاسنان المشط وفى بعضها كاسنان الحمار وانما ينفذوا بالقل ولاخير فى صحبة من لا يعرف لك من الفضل ما تعرف له وفى نظائر هذه أشباه كثيرة تدل على هذا المعنى وأن الشاعر الذى قال

ولم أر أمثال الرجال متفاوتا * الى المجد حتى عد ألف بواحد

وان كان عنده انه قد بانغ فانه قد قصر والخبر المروى عن النبي عليه الصلاة والسلام انى وزنت بامتى فريحتهم اصدق وأوضح وليس هذا هو الانسان وحده بل فى كثير من الجواهر الاخر وان كان فى الانسان أكثر وأشد تفاوتاً فان بين السيف المعروف بالصمصام وبين السيف المعروف بالسكاهم تفاوتاً عظيماً وكذلك الحال فى التفاوت الذى بين الفرس والكريم

وبين البرذون المقرف من أمكنه ان يرقى بالصناعة ادون هذه الجواهر مرتبة الى أعلاها
فاشرف به وبصناعتها كرمها * فاما الانسان من بين هذه الجواهر فهو مستعد
بضروب من الاسئدة ادات لضروب من المقامات * وليس ينبغي ان يكون الطمع في
استصلاحه على مرتبة واحدة وهذا شئ يتبين فيما بعد بشيئة الله وعونه الا ان الذي ينبغي
ان يعلمه الان ان وجود الجواهر الانساني متعلق بقدره فاعله وخالفه تبارك وتقدس اسمه
وتعالى فاما تجويد جوهره ففوض الى الانسان وهو متعلق بارادته فاهرف هذه الجملة الى ان
تلخص في موضعها ان شاء الله تعالى وقد قدمنا في صدر هذا الكتاب قلنا ينبغي ان نعرف
نفوسنا ما هي ولاى شئ هي ثم قلنا ان لكل جوهر موجودا كالاخصا به وفعلالا يشاركه فيه
غيره من حيث هو ذلك الشئ وقد بينا ذلك غاية البيان في الرسالة المسعدة واذا كان ذلك
محفوظا فنحن مضطرون الى أن نعرف السكال الخاص بالانسان والفعل الذى لا يشاركه
فيه غيره من حيث هو انما نلخص على طلبه وتحصيله ونجتهد في البلوغ الى غايته ونهائيه
* ولما كان الانسان مركبا لم يجوز ان يكون كماله وفعله الخاص به كمال بساطه وافعالها الخاصة
بها والا كان وجود المركب باطلا كالحال في الخاتم والسيرير فاذا فعل خاص به من حيث
هو مركب وانسان لا يشاركه فيه شئ من الموجودات الاخرى فافضل الناس أقدرهم على
اظهار فعله الخاص وأزعمهم له من غير تلون فيه ولا اخلال به في وقت دون وقت واذا عرف
الافضل فقد عرف الانقص على اعتبار الضد * فالسكال الخاص بالانسان كماله وذلك ان له
قوتين احدها العامة والآخرى العاملة لذلك يشتاقي باحدى القوتين الى المعارف
والعلوم وبالاخرى الى نظم الامور وترتيبها وهذا السكال لانها الاذان نص عليها
الفلاسفة فقالوا الفلسفة تنقسم الى قسمين الى الجزء النظري والجزء العملي فاذا كل
الانسان بالجزء العملي والجزء النظري فقد ساعد السعادة التامة * اما كماله الاول باحدى
قوته اعنى العاملة وهى التى يشتاقي بها الى العلوم فهو ان بصير في العلم بحيث يصدق نظره
وتصح بصيرته وتستقيم رويته فلا يغلط في اعتقاده ولا يشك في حقيقة وينتهى في العلم
بامور الموجودات على الترتيب الى العلم الالهى الذى هو آخر مرتبة العلوم ويثق به ويسكن
اليه ويطمئن قلبه وتذهب حيرته ويحلى له المطالب الاخير حتى يتحده وهذا السكال قد
بيننا الطارقي اليه وأوضحنا سبله في كتب آخر * وأما السكال الثانى الذى يكون بالقوة
الآخرى اعنى القوة العاملة فهو الذى نقصده في كتابنا هذا وهو السكال الخلقى ومبدؤه
من ترتيب قواه وافعاله الخاصة بها حتى لا تتغالب وحتى تتسالم هذه القوى فيه وتصدر
افعاله كلها بحسب قوته الميميزة منتظمة مرتبة كاي شئ وينتهى الى التدبير المدنى
الذى يرتب الافعال والقوى بين الناس حتى تنظم ذلك الانتظام ويسعدوا سعادة
مشتركة كما كان ذلك في الشخص الواحد فاذا السكال الاول النظري منزلته منزلة
الصورة والسكال الثانى العملي منزلته منزلة المادة وليس يتم احدها الا بالآخر لان
العلم مبدأ والعمل تمام والمبدء بلاثمام يكون ضائعا والتمام بلا مبدء يكون مستحيلا وهذا
السكال هو الذى سميناه غرضا وذلك ان الغرض والسكال بالذات هما شئ واحد وانما
يختلفان بالاضافة فاذا نظر اليه وهو بعد في النفس ولم يخرج الى الفعل فهو غرض فاذا

تخرج الى الفعل وتم فهو كمال وكذلك الحال في كل شيء لان البيت اذا كان منصورا للبيان
 وكان عالما باجزائه وتر كيبه وسائر أحواله كان غرضا فاذا أخرجه الى الفعل ونعمه كان
 كمالا قد صبح من جميع ما قدمناه ان الانسان يصير الى كماله ويصدر عنه فعله الخاص به
 اذا علم الموجودات كلها اي يعلم كلياتها وحدودها التي هي ذواتها لا اعراضها وذواصمها
 التي تصيرها بلانهاية فانك اذا علمت كليات الموجودات فقد علمت جزئياتها بفهم ما لان
 الجزئيات لا تخرج عن كلياتها فاذا كانت هذا الكمال فتتممه بالفعل المنظوم وترتب
 القوى والمسكات التي فيك ترتيبا علميا كما سبق علمك به فاذا انتهيت الى هذه الرتبة فقد
 صرت عالما وحده واستحققت ان تسمى عالما صغيرا لان صور الموجودات كلها قد حصلت
 في ذاك فصررت انت هي بفهمها ثم نظمتهما بافعالك على نحو استطاعتك فصرت فيها خليفة
 لاولا خالق الكل جلت عظمتها فلم تخط فيها ولم تخرج عن نظامه الاول الحكمي فتصير
 حينئذ عالما تاما والتسام من الموجودات هو الدائم الوجود والدائم الوجود هو الباقي بقائه
 سرمد يا فلا يفوتك حينئذ شيء من النعم المقيم لانك بهذا الكمال مستعد لقبول الفيض من
 المولى دائما ابدا وقد فربت منه القرب الذي لا يجوز أن يحول بينك وبينه حجاب وهذه هي
 الرتبة العليا والعادة القصوى ولولا ان الشخص الواحد من اشخاص الناس يمكنه تحصيل
 هذه المنزلة في ذاته وتكميل صورته بها وانما نقصانه بالترقى اليها كان سببا له سبيل اشخاص
 الحيوانات الاخر او كبديل اشخاص النباتات في مصيرها الى الفناء والاستحالة التي تلحقها
 والنقصات التي لا سبيل الى غناها ولا استحالة فيه البقاء الابدی والنعم السرمدى والمصير
 الى ربه ودخول جنته ومن لا يتصور هذه الحالة ولا يفتشى الى علمها من المتوسطين في
 العلم يقع له شكوك فيظن ان الانسان اذا انتقض تركيبه الجسماني بطل وتلاشى كالحال
 في الحيوانات الاخر وفي النبات حينئذ يستحق اسم الحساد ويخرج عن رتبة الحكمية وسنة
 الشريعة وقد ظن قوم ان كمال الانسان وغايته هما في الذات الحسية وانها هي الخير المطلوب
 والسعادة المقصود وظنوا ان جميع قواه الاخر انما ركبت فيه من أجل هذه الذات
 والتمول اليها وان النفس الشر بقة التي سميناها باطاقة انما وهبت له ليرتب بها الافعال
 ويميزها عنهم بوجهها نحو هذه الذات لتكون الغاية الاخيرة هي حصولها على النهاية
 والغاية وظنوا ايضا ان قوى النفس الناطقة اعني الذكاء والحفظ والروية كلها تزداد تلك
 الغاية قالوا وذلك ان الانسان اذا تذكر الذات السعي كانت حصصاته له بالمطاعم والمشارب
 والمناكم اشتاق اليها وأحب معاودتها فقد صارت منفعة الذكاء والحفظ انما هي الذات
 وتخصها لاجل هذه الظنون التي وقعت لهم جعلوا النفس المعيزة الشريفة كالعباد المهين
 وكالاجير المستعمل في خدمة النفس الشهوية لتخدمها في المساكل والمشارب والمناكم
 وترتيبها وتدها اعدادا كاملا موافقا وهذا هو رأى الجمه ورأس العامة الرعاع وجهال
 الناس السقاط والى هذه الخيرات التي يملونها غاياتهم تشوقوا عند ذكر الجنة والقرب من
 بارئهم عز وجل وهي التي يسألونها ربهم تبارك وتعالى في دعواتهم وصلواتهم واذ اخلوا
 بالعبادات وتركوا الدنيا سر هدا فيها غاياتهم اذك منهم على سبيل التجبر والمراجعة في هذه
 بعينها كأنهم تركوا قلوبها ليهلوا الى كثيرها واهلوا من القانيات منها ليهلوا الى

الحكمي نسبة
 الى الحكمة
 والقياس كما قال
 السيد تسكين
 الكافي لكن
 المستعمل فحريتها
 بالفتح اه

الباقيات الا انك تجدهم مع هذا الاعتقاد وهذه الافعال اذ اذ كرهندهم الملائكة والخلق
 الاعلى الاشرف وما نزههم الله عنه من هذه القاذورات علوا بالجملة انهم اقرب الى الله تعالى
 واعلى رتبة من الناس انهم غير محتاجين الى شئ من حاجات البشر بل يعاونون ان خالقهم
 وخالق كل شئ الذى تولى ابداع الكل هو منزّه عن هذه الاشياء متعال عنها غير موصوف باللذة
 والتمتع مع التمكن من ايجادها وان الناس يشاركون في هذه اللذات الخنافس والديدان
 وصغار الحشرات والهوام من الحيوان وانما يناسبون الملائكة بالعقل والتميز ثم
 يجمعون بين هذا الاعتقاد والاعتقاد الاول وهذا هو العجب العجيب وذلك انهم يرون عيانا
 ضرورتهم بالاذى الذى يلحقهم بالجوع والعري وضروب النقص وحاجتهم الى مداواتها بما
 يدفعها عنهم فاذا زالت آثارها وعاد الى حال السلامة منها التذوا بذلك وجدوا الراحة
 لذّة ولا يشعرون انهم اذا اشتاقوا الى لذّة المأكل فقد اشتاقوا الى ألم الجوع وذلك انهم ان
 لم يؤموا بالجوع لم يبتذوا بالاكل وهكذا الحال في سائر اللذات الاخر الا ان هذا الحال في بعضها
 اظهر منها في بعض * وسنتكلم على صورته الجميع واحدة وان اللذات كلها انما تحصل للملئذ
 بعد الام لحظها لان اللذة هي راحة من ألم وان كل لذّة حسية انما هي خلاص من ألم أو ذى في غير
 هذا الموضع * وسيظهر عند ذلك ان من رضى لنفسه بتحصيل اللذات البدنية وجعلها غاية
 واتقى سعادته فقد رضى باخس العبودية لاخس الموالى لانه يصير نفسه الكريمة التى يناسب
 بها الملائكة عبد الله من الدنيا التى يناسب بها الخنازير والخنافس والديدان وخسائس
 الحيوانات التى تشاركه في هذا الحال * وقد تعجب جالينوس في كتابه الذى سماه باخلاق النفس
 من هذا الرأى وكثر استعجاله للقوم الذين هذه مرتبة من العقل الا انه قال ان هؤلاء الخبيثين
 الذين سيرتهم أسوأ الير وادائم اذا وجدوا انساها ذارأيه ومذهبه نصره ونو هوا به ودعوا
 اليه ليؤهموا بذلك انهم غير منفردين بهذه الطريقة لانهم يظنون انهم متى وصفوا
 الفضل والنبل من الناس بمثل ما هم عليه كان ذلك عدرا لهم وتمويها على قوم آخرين في مثل
 طريقتهم وهؤلاء هم الذين يفسدون الاحداث بايهامهم ان الفضيلة هي ما تدعوههم اليه
 طبيعة البدن من الملاذ وأن تلك الفضائل الاخر المأكية اما أن تكون باطلة ليست بشئ
 البتة واما ان تكون غير ممكنة لاخس من الناس والناس ما تلون بالطبع الجسدانى الى
 الشهوات فيكثر اتباعهم وتقل الفضلاء فيهم * واذا تذكروا الواحد بعد الواحد منهم الى ان
 هذه اللذات انما هي لضرورة الجسد وان بدنه من كب من الطبائع المتضادة اعنى الحرارة
 والبرودة واليبوسة والرطوبة وانه انما يعالج بالما كل واشرب وان امرضا تحدث به عند الانحلال
 لحفظ تركيبه على حالة واحدة أبدا ما يمكن ذلك فيه وان علاج المرض ليس بسعادة تامة
 والراحة من الالم ليست بغاية مطلوبة ولا خير محض وان السعيد التام هو من لا يعرض له مرض
 البتة وعرف مع ذلك ايضا ان الملائكة الابرار الذين اصطفاهم الله بقربه لا تلحقهم هذه
 الآلام فلا يحتاجون الى مداواتها بالاكل والشرب وان الله تعالى منزّه متعال عن هذه
 الاوصاف * عارضوه بان بعض البشر أشرف من الملائكة وان الله تعالى أجل من ان يذكر
 مع الخلق وشأنه وسفه وارباه وأدناه وشبهها باطلة حتى يشك في صحة ما نفيه اليه وارشده
 عقله والبصيرة التى لا ينقضى هو انهم مع رأيهم هذا اذا وجدوا واحد من الناس قد

ترك طريقتهم التي يميلون اليها واستعان بالذلة والذمعة وصام وطوى واقتصر على ما أنبتت الارض عظمه وكثر تعجبهم منه وأهلوه للراتب العظيمة وزعموا انه ولى الله وصفيه وانه شبيه بالملك وانه أرفع طبقة من البشر ويخضعون له ويزلون غاية الذل ويعدون انفسهم اشقياء بالاضافة اليه والسبب في ذلك هو انهم وان كانوا من أفن الرأى وسفاهته على ما ترى فان فيهم من تلك القوة الاخرى الكريمة المميزة وان كانت ضعيفة ما يريهم فضيلة ذوى الفضائل فيضطرون الى اكرامهم وتعظيمهم * واذا كانت القوى ثلثا كما قلنا مرارا فأدونها النفس البهيمية وأوسطها النفس السبعية وأثر فيها النفس السابعة والانسان انما صار انسانا بفضل هذه النفوس أعنى الناطقة وبها شارك الملائكة وبها يابن البهائم * فاشرف الناس من كان حظهم من هذه النفس أكثر وأصرافه اليها أتم وأوفر ومن غلبت عليه احدى النفسين الاخرى بين الفخ عن مرتبة الانسانية بحسب غلبة تلك النفس عليه فانظر رحك الله اين تضع نفسك و اين تحب ان تنزل من المنازل التي رتبها الله تعالى للوجودات فان هذا امر موكول اليك ومردود الى اختيارك فان شئت فانزل في منازل البهائم فانك تكون منهم وان شئت فانزل في منازل السباع وان شئت فانزل في منازل الملائكة وكن منهم وفي كل واحدة من هذه المراتب مقامات كثيرة) فان بعض البهائم اشرف من بعض وذلك لقبول التأديب لان الفرس انما اشرف على الجار لقبوله الادب وكذلك في البازي فضيلة على الغراب واذا تأملت الحيوان كله وجدت القابل للتأديب الذي هو اثر النطق اعنى النفس الناطقة افضل من سائرته وهو يتدرج في ذلك الى ان يصير الى الحيوان الذي هو في افق الانسان اعنى الذي هو اكمل البهائم وهو في اخس مرتبة الانسانية وذلك ان اخس الناس هو من كان قليل العقل قريبا من البهيمية وهم القوم الذين في أقاصى الارض المعمورة وسكان اخر ناحية الجنوب والشمال لا ينفصلون عن القرد ولا بشئ قليلا من التمييز وبذلك القدر يستحقون اسم الانسانية ثم يميزون ويتزايدون في هذا المعنى حتى يبلغوا الى وسط الاقاليم ويعتدل فيهم المزاج القابل لصورة العقل فيصير فيهم الماقل التام والمميز العالم ثم يتفاضلون في هذا المعنى ايضا الى ان يصيروا الى غاية ما يمكن للانسان ان يبلغ اليه من قبول قوة العقل والنطق فيصير حينئذ في الافق الذي بين الانسان والملك و يصير فيهم القابل للوحى والمطبق لحمل الحكمة فتفيض عليه قوة العقل ويسبح اليه نور الحق ولا حالة للانسان اعلى من هذه مادام انسانا * ثم ارجع القهقري الى النظر في الرتبة الناقصة التي هي ادون مراتب الانسان فانك تجد القوم الذين تضع فيهم القوة الناطقة وهم القوم الذين ذكرنا انهم في افق البهائم تقوى فيهم النقص البهيمية فيميلون الى الشهوات والمأخوذة بالحواس كالمأكل والمشرب والملبوس وسائر التزوات الشبيهة بها وهؤلاء هم الذين تجذبهم الشهوات القوية بقوة نفوسهم البهيمية حتى يرتكبوا ولا يرتدعوا عنها وبقدر اما يكون فيهم من القوة العاقلة يستحيون منها حتى يستترروا بالبيوت ويتواروا بالظلمات اذا هموا بلذة تخدمهم وهذا الخياء منهم هو الدليل على قبحها وان الجميل بالاطلاق هو الذي يتظاهره به ويحب اخرج به واذا عته وهذا القبح ليس شئ أكثر من النقصانات اللازمة للبشر وهي التي يشتاقون الى ازالها واغشها وانقصها وانقصها الى السبر والدفن

الافق بالتحريك
ضعف الراى

مطلب بيان
مراتب القوى
وشرفها

مطلب بيان
نما في القوى
الثلث من
المقامات

ولم تأت القوم الذين يعظمون أمر اللذة ويجهلون بها الخير المطلوب والغاية الانسانية لم تسكنهم الوصول الى اعظم الخيرات عندكم وما بالكم تعدون موافقنا خيرا ثم تستروننا ان ترون سترها وتكتمنا فضيلة ومروءة وانسانية والمجاهرة بها واظهارها بين اهل الفضل وفي مجامع الناس خساسة وقحة لظهور من انقطاعهم وتبليدهم في الجواب ما تعلم به سوء مذهبهم وخيب سيرةهم واقلهم حظا من الانسانية اذ ارأى انسانا فاضلا احششه ووقره واحب ان يكون مثله الا الشاذ منهم الذي يبلغ من خساسة الطبع ونزارة الانسانية ووقاحة الوجه الى ان يقسم على نصرته ما هو عليه من غير محبة لرتبة من هو افضل منه * فاذا يجب على العاقل ان يعرف ما ابلى به الانسان من هذه النقائص التي في جسمه وحاجاته الضرورية الى ازالتهما وتكميلها * اما بالغذاء الذي يفظ به اعتدال مزاجه وقوام حياته فينال منه قدر الضرورة في كماله ولا يطالب اللذة لعينها بل قوام الحياة التي اتبعه الاذة فان تجاوز ذلك قليلا فبقدر ما يفظ رتبته في مروءته ولا ينسب الى الدناءة والجهل بحسب طالع ومزاجه بين الناس * واما باللباس فالذي يدفع به اذى الحر والبرد ويستر العورة فان تجاوز ذلك فبقدر ما لا يستحق ولا ينسب الى الشح على نفسه والى ان يسقط بين اقرانه واهل طبقة * واما بالجماع فالذي يحفظ نوعه ويتقي به صورته اعنى طلب النسل فان تجاوز ذلك فبقدر ما لا يخرج به عن السنة ولا يتعدى ما يملكه الى ما يملك غيره * ثم ياتمس الفضيلة في نفسه العاقلة التي بها صار انسانا وينظر الى النقائص التي في هذه النفس خاصة فيروم تكميلها باطاقته وجهده فان هذه الخسرات هي التي لا تستر واذا وصل اليها لا يمنع عنها الحياة ولا يتوارى عنها بالحيطان والظلمات ويتظاهر بها بدا بين الناس وفي المحافل وهي التي يكون بها بعض الناس افضل من بعض وبهضهم اكثر انسانية من بعض ويغزو هذه النفس بغذائها الموافق لها المتمم لنقصاتها كما يغزو تلك بأغذيتها الملائمة لها فان غذاء هذه هو العلم والزيادة في المعقولات والارتياض بالصدق في الآراء وقبول الحق حيث كان ومع من كان والنفور من الكذب والباطل كيف كان ومن أين جاء في اتفق له في الصبا أن يربى على ادب الشريعة و يؤخذ بوظائفها وشرائطها حتى يتعودها ثم ينظر بعد ذلك في كتب الاخلاق حتى تتأ كذا تلك الآداب والمحاسن في نفسه بالبراهين ثم ينظر في الحساب والهندسة حتى يتعود صدق القول وصحة البرهان فلا يسكن الا اليها ثم يندرج كإرسائه في كتابها الموسوم بترتيب السموات ومنازل العلوم حتى يبلغ الى أقصى مرتبة الانسان فهو السعيد الكامل فليكن حمد الله تعالى على الموهبة العظيمة والمنة الجسيمة ومن لم يتفقه له ذلك في مبدئه نشوئهم ابتلى بأن يربيه والده على رواية الشعر الفاحش وقبول أكاذيبه واستحسان ما يوجد فيه من ذكر القبايح ونيل اللذات كما يوجد في شعر امرئ القيس والناغية وأشبهها ثم صار بعد ذلك الى رؤساء يقر بونه على روايتها وقول مثلها ويجز لون له العطية وامتن باقران يساعدهن على تناول اللذات الجسدانية وما لطبعه الى الاسنة كذا من المطاعم والملابس والمراكم والزينة وارتباط الخيل الفره والعبيد الروقة كما اتفق لي مثل ذلك في بعض الاوقات ثم انهم كل فيما واشتغل بها عن السعادة التي اهل لها فليعد جميع ذلك شقاء لا نعيم وخسرانا لا ربح ولا يجتهد على التسديد الى فطام نفسه منها وما أصعب ذلك الا أنه على كل حال خير

مطلب ما يجب
على العاقل
معرفته ولزوم
انتصاره على
ما به قوام حياته

من التمداد في الباطل وليعلم الناظر في هذا الكتاب اني خاصة تدرجت الى قطام نفسي
بعد الكبر واستحقاق العادة وجاهدتها جاهد اعظم ما ورضيت لك أيها الفاحص عن
الفضائل والطالب للادب الحقيقي بما رضيت لنفسي بل تجاوزت لك في النصيحة الى أن
أثرت عليك بما فاتني في ابتداء أمرى لتدرك أنت ودلائك على ما ربي النجاة قبل أن تنبئه
في مفاوز الضلالة وقد مدت لك السفينة قبل ان تغرق في بحر المهالك فالله الله في نفوسكم معاصر
الاخوان والاولاد اسلموا الله في وتادبوا بالادب الحقيقي لا المزور وخذوا الحكمة البالغة
واتمسكوا الصراط المستقيم وتصوروا حالات أنفسكم وتذكروا قواها واعلموا أن أصبح
مثل ضرب بلسكم من نفوسكم الثلاث التي مرز كرها في المقالة الاولى مثل ثلاثة حيوانات
مختلفة جهت في مكان واحد ملك وسبع وخنزير غايها غلب بقوة الباقين كان الحكم
له وليعلم من تصوره هذا المثال ان النفس لما كانت جوهر غير جسم ولا شيء فيها من قوى
الجسم واعراضه كما بينا ذلك في صدره هذا الكتاب كان اتحادها واتصالها بخلاف اتحاد
الاجسام واتصال بعضها ببعض وذلك ان هذه الانفس الثلاث اذا اتصلت صارت شيئا
واحدا ومع انها تكون شيئا واحدا فهي باقية التغاير وباقية القوى تنور الواحدة بعد
الواحدة حتى كأنها لم تتصل بالآخرى ولم تتحد بها وتستجدي أيضا الواحدة للآخرى حتى
كأنها غير موجودة ولا قوة لها تنفرد بها وذلك أن اتحادها ليس بان تتصل نهايتها ولا بان
تتلاقى سطوحها كما يكون ذلك في الاجسام بل تصير في بعض الاحوال شيئا واحدا في بعض
الاحوال أشياء مختلفة بحسب ما تنبع قوة بعضها وتسكن ولذلك قال قوم ان النفس واحدة
ولها قوى كثيرة وقال آخرون بل هي واحدة بالذات كثيرة بالعرض وبالموضوع وهذا شيء
يخرج الكلام فيه عن غرض الكتاب وسيمر بك في موضعه وليس يضرك في هذا الوقت
ان تعتقد أي هذه الآراء شئت بعد ان تعلم ان بعض هذه كريمة أدبية بالطبع وبعضها
مهينة عادية للادب بالطبع وليس فيها استعداد لقبول الادب وبعضها عادية للادب
الا انها تقبل التأديب وتنفذ التي هي أدبية اما الكريمة الادبية بالطبع فالنفس الناطقة
وأما العادية للادب وهي مع ذلك غير قابلة فهي النفس الهيمنية وأما التي عدت للادب
ولكنها تقبله وتنفذ له فهي النفس الغضبية وانما وهب الله تعالى لنا هذه النفس خاصة
لنستمع بها على تقويم الهيمنية التي لا تقبل الادب * وقد شبه القدماء الانسان وحاله في
هذه الانفس الثلاث بانسان راكب دابة قوية بقود كلبا او فهدا لاقتص فان كل الانسان من
بينهم هو الذي يروض دابته وكله يصرف فهم او يطعم عانه في سيرة وتصيد وسائر تصرفاته فلا
شك في رغبة العيش المشترك بين الثلاثة وحسن أحواله لان الانسان يكون مرعها في مطالبه
يجري فرسه حيث يجب وكما يجب ويطلق كلبه ايضا كذلك فاذا نزل واستراح اراحه معه
واحسن القيام عليه ما في المطعم والشرب وكفاية الاغذاء وغير ذلك من مصالحهما وإذا
كانت الهيمنة هي الغالبة ساءت حال الثلاثة وكان الانسان مضطربا فعند ما قطع فارسها
وغلبت فان رات عشبها من بعيد دعت نحوه وتوسفت في عدوها وعدلت عن الطريق المهيج
فاعترضها الاودية والوهاد والشوك والشجر فتقحمتها وتورطت فيها ولحق فارسها ما يلحق
مثله في هذه الاحوال فيصيبهم جميعا من انواع المكاره والاشراف على الهلكة كما لا يخفى فيه

(فصل في تأديب الأحداث والبيان خاصة نقلت أكثره من كتاب بروس) قد قلنا فيما

تقدم

تقدّم ان اول قوة تظهر في الانسان اول ما يكون هي القوة التي يشتاق بها الى الغذاء الذي هو سبب كونه حيا فيحرك بالطبع الى الابن ويلتمسه من الثدي الذي هو معدنه من غير تعليم ولا توقيف ويحدث له مع ذلك قوة على التماسه بالصوت الذي هو مادته ودليله الذي يدل به على اللذة والأذى ثم تزايد فيه هذه القوة ويتشوق بها ابدا الى الازدياد والتصرف بها في انواع الشهوات ثم تحدث فيه قوة على التحرك نحوها بالآلات التي تخالف له ثم يحدث له التشوق الى الافعال التي تحصل له هذه ثم يحدث له من الحواس قوة على تحييل الامور ويرسم في قوته الخيالية مثلالات فيتشوق اليها ثم تظهر فيه قوة الغضب التي يشتاق بها الى دفع ما يؤذيها ومقاومة ما يمنعها من منفاعه فان أطلق بنفسه ان ينتقم من مؤذياته انتقم منها والا التمس معونة غيره وانتصر بوالديه بالتصويت والبكاء ثم يحدث له الشوق الى تمييز الافعال الانسانية خاصة اولادها لحتى يصير الى كماله في هذا التمييز فيسمى حينئذ عاقلا وهذه القوى كثيرة وبعضها ضروري في وجود الاخرى الى أن ينتهي الى الغاية الاخيرة وهي التي لا تراد لغاية أخرى وهو الخير المطلق الذي يتشوقه الانسان من حيث هو وانسان فأول ما يحدث فيه من هذه القوة الحياء وهو الخوف من ظهور شيء قبيح منه ولذلك قلنا ان اول ما ينبغي أن يتفرس في الصبي ويستدل به على عقله الحياء فانه يدل على انه قد أحس بالقبح ومع احساسه به هو يحذر به ويتجنبه ويخاف أن يظهر منه أو فبه فاذا نظرت الى الصبي فوجدته مستحييا مطرقا بطرفة الى الارض غير وقاح الوجه ولا محددق اليك فهو اول دليل نجابته والشاهد لك على ان نفسه قد احست بالجميلة والقبيح وان حياءه هو انحصار نفسه خوفا من قبيح يظهر منه وهذا ليس بشيء اكثر من ايثار الجميل والحرب من القبح بالتمييز العقل وهذه النفس مستعدة للتأديب صالحة للعناية لا يجب ان تحمل ولا تترك ومخالطة الاضداد الذين يفسدون بالمقارنة والمداخلة وان كانت به هذه الحال من الاستعداد لقبول الفضيلة بان نفس الصبي ساذجة لم تنقش بعد بصورة ولا الهاراي وعزيمة تعميها من شيء الى شيء فاذا اقتت بصورة وقبلتها نشأ عليها واعتمادها فالاولى بمثل هذه النفس ان تنبه بداء على حب الكرامة والاسيما ما يحصل له منها بالدين دون المال ولزوم سنه وظائفه ثم يدح الاخيار عنده ويدح هوى نفسه اذا ظهر شيء جميل منه ويخوف من لذة على ادنى قبيح يظهر منه ويؤاخذ باشترائه للمال كل والمشارب والملابس الفاخرة يزين عنده خلف النفس والترفع عن الحرص في المآكل خاصة وفي اللذات عامة ويحبب اليه ايثار غيره على نفسه بالغذاء والاقتصار على الشيء المعتدل والاقتصاد في التماسه ويعلم ان الى الناس بالملابس الملوقة والمنقوشة النساء اللاتي يتزين لرجال ثم العبيد والحوال وان احسن باهل النبل والشرف من اللباس البياض وما شبهه حتى اذا تزي على ذلك وسهه من ما من يقرب منه وتكرره عليه ولم يترك ومخالطة من يسمع منه ضد ما ذكرته لاسيما من اترا به ان كان في مثل سنه من يعاشره وبلاعه وذلك ان الصبي في ابتداء نشوه يكون على الاكثر في الافعال اما كها واما اكثرها فانه يكون كذوبا ويخبر ويهكي ما لم يسمعه ولم يره ويكون حسودا فاعنا ما لجواذا فضول اضرب شيء بنفسه وبكل امر يلا به ثم لا يزال به التاديب والسفن جارب حتى يتنقل في اجوال بعد احوال فلذلك ينبغي ان يؤخذ مادام طفلا بما ذكرناه

مطلب ما فيه
الاطفال

ونذكره ثم يطالب بحفظ محاسن الاخبار والاشعار التي تجري مجرى مانعوه بالادب حتى
 بناكد عنده بروايتها وحفظها والمذاكر بها جميع ما قدمنا ذكره ويحذر النظر في الاشعار
 الحقيقية وما فيها من ذكر العشق واهله وما يوهه اصحابها انه ضرب من النظر ورقة الطبع
 فان هذا الباب مفسدة الاحداث جدا ثم يدح بكل ما يظهر منه من خلق جميل وفعل حسن
 ويكره عليه فان خالف في بعض الاوقات ما ذكرته فالاولى ان لا يوح عليه ولا يكشف بانه
 اقدم عليه بل يتغافل عنه تغافل من لا يخطر بباله انه قد تجاسر على مثله ولا هم به لاسيما ان
 ستر ما يصي واجتهد في ان يخفي ما فعله من الناس فان عاد فليوح عليه سرا ولا يعظم عنده
 ما اتاه ويعذر من معاودته فانك ان عودته التوبخ والمكاشفة حائته على الوقاحة وحضنته
 على معاودة ما كان استهجه وهان عليه سمع الملامة في ركوب قبائح الذات التي ندعو
 اليها نفسه وهذه الذات كثيرة جدا * والذي ينبغي ان يبدأ به في تقويمها ادب المطاعم
 فيفهم ان لا انها انما تاردا للصحة لالذة وان الاغذية كلها انما خلقت واعدت لالتصالح بها
 ابداننا وتصير مادة لحياتنا فهي تجري مجرى الادوية بداوى بها الجوع والام الحادث منه
 فكما ان الدواء لا يرام للذة ولا يستكثر منه للشهوة فكذلك الاطعمة ما ينبغي ان يتناول منها
 الا ما يحفظ صحة البدن ويدفع الم الجوع ويمنع من المرض فيحذر عنده قدر الطعام الذي
 يستعظمه اهل الشره ويقبح عنده صورة من شره اليه وينال منه فوق حاجته بدنه أو ما لا يوافق
 حتى يقتصر على لون واحد ولا يرغب في الالوان الكثيرة واذ اجلس مع غيره لا يبادر الى
 الطعام ولا يديم النظر الى لوانه ولا يحدق اليه شديدا يقتصر على ما يليه ولا يسرع في الاكل
 ولا يوالى بين اللقم بسرعة ولا يعظم اللقمة ولا يتلعها حتى يحميدهم ضغها ولا يلطمخ يده ولا ثوبه
 ولا يلطمخ من يؤاكله ولا يتبع بنظره واقع يده من الطعام ويعود ان يؤثر غيره بما يليه ان
 كان افضل ما عنده ثم يضبط شهوته حتى يقتصر على ادنى الطعام وادونه ياكل الخبز
 القفار الذي لا ادم معه في بعض الاوقات وهذه الآداب وان كانت جميلة بالافراء فهي بالاغنياء
 افضل واجل وينبغي ان يستوفي غداه بالعشى فان استوفاه بالنهار كسل واحتاج الى النوم
 وتبلفه مع ذلك وان مع اللحم في اكثر اوقاته كان انفع له وقعا في الحر كة والتيقظ وقلة
 البلاد وبهته على المشاط والخفة واما الخلاء والهالكه فينبغي ان يتمتع منها البتة ان امكن
 والا فليتناول اقل ما يمكن فانها تسهل في بدنه فتكثر الخلاله وتعوده مع ذلك على الشره
 ومحبة الاستكثار من الماء كل ويعود ان لا يشرب في خلال طعمه الماء فاما التبيذ واصناف
 الاشربة المسكرة فاياها فانه انضره في بدنه ونفسه ونحوه على سرعة الغضب والتهو
 والاقدام على القبايح والقعة وسائر الخلال المذومة ولا ينبغي ان يحضر مجالس اهل الشرب
 الا ان يكون اهل المجلس ادياء فضلا وأما غيرهم فلا تلبسهم كلام القبيح والسخافات
 التي تجري فيها وينبغي ان لا ياكل حتى يفرغ من وظائف الادب التي يتعلمها ويتعب تعبها
 كافيا وينبغي ان يمنع من كل فعل يستره ويخفيه فانه ليس يخفي شيئا الا وهو يظن أو يعلم انه
 يبيع ويمنع من النوم الكثير فانه يبعه ويغفل ذهنه ويميت خاطره هذا بالليل ماما بالهار
 فلا ينبغي ان بتعود البتة ويمنع ايضا من الفراش الوطى وجميع أنواع الترفه حتى يصيب بدنه
 بتعود الخسونة ولا بتعود الحيش والامراب في الصيف ولا الاوبار والنيران في الشتاء

بيان ما يبدا به
 في تقويم النفس
 وهو ادب المطاعم

الاسراب هكذا
 في الذم فاعل
 مراده السرب
 محرك وهو الماء
 السائل ولم اعثر
 على جمعه او المرق
 وهو شق الحرير
 الابيض وكل
 هنا يبين نامل

للاسباب التي ذكرناها ويعود المشي والحركة والركوب والرياضة حتى لا يتعود اضدادها ويعود ان لا يكشف أطرافه ولا يسرع في المشي ولا يرخي يديه بل يضعهما الى صدره ولا يربى شعره ولا يزين بملابس النساء ولا يابس خاتما الاوقات حاجته اليه ولا يطهر على أقرانه بشئ مما يملكه والداه ولا بشئ من ما كاه وملابسه وما يجري مجراه بل يتواضع لكل أحد ويكرم كل من عاشره ولا يتوصل بشرف ان كان له أو سلطان من أهله ان اتفق الى غضب من هودونه أو استبداد من لا يمكنه ان يردعه عن هواه أو تطاوله عليه كن اتفق له ان كان خاله وزيرا أو عمه سلطانا فتمطرق به الى هضبة أقرانه وتلم اخوانه واستباحة أموال جيرانه ومعارفهم وينبغي ان يعود ان لا يبصق في مجالسهم ولا يتمخط ولا يتشاءب بحضرة غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضرب تحت ذقنه يساعده ولا يعمد رأسه بيده فان هذا دليل الكسل وأنه قد بلغ به التفتيح الى ان لا يحمل رأسه حتى يستعين بيده ويعود ان لا يكذب ولا يخلف البتة لاصداق ولا كاذبا فان هذا قبيح بالرجال مع الحاجة اليه في بعض الأوقات فاما الصبي فلا حاجة به الى اليمين ويعود أيضا الصمت وقلة الكلام وان لا يتكلم الاجوابا ولذا حضر من هو أكبر منه اشتغل بالاستماع منه والاهتم له ويمنع من حديث الكلام وهيجنه ومن السب واللعن ولغو الكلام ويعود حسن الكلام وظريفه وجميل اللقاء وكرمه ولا يرخص له ان يستمع لأضدادها من غيره ويعود خدمة نفسه ومعلمه وكل من كان أكبر منه * وأحوج الصبيان الى هذا الادب اولاد الاغنياء والمترفين وينبغي اذا حضر به المعلم ان لا يصرخ ولا يشتمع باحد فان هذا فعل المماليك ومن هو خوار ضعيف ولا يعير أحدا الا بالقيبح والبدئي من الادب ويعود ان لا يوحش الصبيان بل يبرهم ويكافئهم على الجميل باكثر منه لئلا يتعود الرجح على الصبيان وعلى الصديق ويغض اليه الفضة والذهب ويحذر منهما أكثر من تحذير السباع والحيات والعقارب والافاعي فان حب الفضة والذهب آفته أكثر من آفة السموم وينبغي ان يؤذن له في بعض الاوقات ان يلعب لعبا جسيلا ليس يرجح اليه من تعب الادب ولا يكون في لعبه ألم ولا تعب شديد ويعود طاعة والديه ومعلميه ومؤدبيه وان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم ويهاجم وهذه الآداب النافعة للصبيان وهي لا تكبار من الناس أيضا نافعة ولحكمها للاحداث أنفع لانها تعودهم محبة الفضائل وينشؤون عليها فلا يثقل عليهم تجنب الرذائل ويسهل عليهم بعد ذلك جميع ما ترسمه الحكمة وتحدده الشريعة والسنة ويعتادون ضبط النفس عما تدعوهم اليه من اللذات القبيحة وتكفهم عن الانغمال في شئ منها والفكر الكثير فيها وتسوقهم الى مرتبة الفلسفة العالية وترقيهم الى أعلى الامور التي وصفناها في أول الكتاب من التقرب الى الله عز وجل ومجاورة الملائكة مع حسن الحال في الدنيا وطيب العيش وجمل الاحدثة وقلة الاعداء وكثرة المداح والراغبين في مودتهم من الفضلاء خاصة فاذا تجاوز هذه الرتبة وبلغ أيامه الى ان يفهم أغراض الناس وعواقب الامور يفهم ان الغرض الاخير من هذه الاشياء التي يقصدها الناس ويحرصون عليها من الثروة واقتناء الضياع والعبيد والخيل والفرش وأشياء ذلك انما هو ترفيه البدن وحفظ مخته وان يبتني على اعتداله مدة ما وان لا يقع في الاغراض ولا تفجأه المنية وان يتعنى بنعمة الله عليه ويستعد لدار البقاء والحياة البر بعدية وان اللذات كلها بالحقبة هي خسران من الآلام

وزاحات من تعب فاذا عرف ذلك وتحققه ثم تعود بالسيرة الدائمة عودا الى رياضات التي تعمرها الحرارة القريزية وتحفظ الصحة وتنفي المكسل وتطرد البلادة وتبعث النشاط وتذكي النفس فن كان عمولا ترفا كانت هذه الاشياء التي رسمتها أصعب عليه لكثرة من يحتف به ويغويه ووافقة طيبة الانسان في أول ما تنشأ هذه اللذات واجماع جهور الناس على نيل ما أمكنهم منها وطلب ما تعذر عليهم بعبادة جهدهم فاما الفقراء فلا هم عليهم - أسهل بل هم قريبون الى الفضائل قادرين عليها متمكنون من نيلها والاصابة منها رجال المتوسطين من الناس متوسطة بين هاتين الحالتين وقد كان لملك الفرس الفضلاء لا يربون أولادهم بين حشدهم وخواصهم خوفا عليهم من الاحوال التي ذكرناها ومن سماع ما حذرت منه وكانوا ينفذونهم مع ثقافتهم الى النواحي البعيدة منهم وكان يتولى تربيتهم أهل الجفاء وخشونة العيش ومن لا يعرف الشعم ولا الترفه وأخبارهم في ذلك مشهورة وكثير من رؤساء بل في زماننا هذا ينقلون أولادهم عندما ينشؤون الى بلادهم لينة ودأبها هذه الاخلاق وببعضها وعن التفجع

بيان من تشأ من
الاطفال على
خلاف الآداب
والفضائل
المتقدمة

وعادات أهل البلدان الرديئة * واذا قد عرفت هذه الطرق المحمودة في تأديب الاحداث فقد عرفت اضدادها أعني ان من شأ على خلاف هذا المذهب والتأديب لم يرج فلاحه ولا ينبغي ان يشتغل بصلاحه وتقويمه فانه قد صار بمنزلة الخنزير الوحشي الذي لا يطمع في راضته فان نفسه العاقلة تصير خادمة لنفسه البهيمية ولنفسه الغضبية فهي منه مكنة في مطالبها من التزوات وكانه لا سبيل الى رياضة سباع البهائم الوحشية التي لا تقبل التأديب كذلك لا سبيل الى رياضة من تشأ على هذه الطريقة واعتادها او مع قليل في السن اللهم الا ان يكون في جميع أحواله عالما بقبح سيرته ذاما لما عاثبها على نفسه عازما على الاقلاع والاناة فان مثل هذا الانسان من يرجى له النزوع عن أخلاقه بالتدريج والرجوع الى الطريقة المثلى بالتوبة وبمصاحبة الاخيار وأهل الحكمة وبالكباب على التفلسف * واذا قد ذكرنا الخلق المحمود وما ينبغي ان يؤخذ به الاحداث والصبيان فنحن واصفون جميع القوى التي تحدث للحيوان أولا وألأ الى ان ينتهي الى أقصى الكمال في الانسانية فانك شديد الحاجة الى معرفة ذلك لتبتدئ على الترتيب الطبيعي في تقويم واحد واحد منها فنقول * ان الاجسام العاجية كلها اشتركت في الحد الذي يعمها ثم تنفاضل بقبول الانوار الشريفة والصور التي تحدث فيها فان الجماد منها اذا قبل صورة مقبولة عند الناس صار بها أفضل من الطينة الاولى التي لا تقبل تلك الصورة فاذا بانغ الى ان يقبل صورة النبات صار بزادة هذه الصورة أفضل من الجماد وتلك الزيادة هي الاغتمذاء والنمو والامتداد في الافطار واجتذاب ما يوافقه من الارض والماء وترك ما لا يوافقه ونفض الفضول التي تتولد فيه من غذائه عن جسمه بالهوع وهذه هي الاشياء التي ينفصل بها النبات من الجماد وهي حال زائدة على الجسمية التي حددناها وكانت حاصلة في الجماد وهذه الحالة الزائدة في النبات التي شرف بها على الجماد تنفاضل وذلك ان بعضه يفارق الجماد بمقاربة يسيرة كالرجان واشباهه ثم يتدرج فيها فيحصل له من هذه الزيادة شيء بعد شيء فبعضه ينبت من غير زرع ولا بذور ولا يحفظ نوعه بالتمر والتزويج كبقية في حد ذاته امتزاج العناصر وهبوب الرياح وطلوع الشمس فانك هو في باقي الجمادات وقريب الحال منها ثم تزداد هذه الفضيلة في النبات فيفضل بعضه على بعض

بيان تنفاضل
الاجسام
الطبيعية
بقبول الانوار
الشريفة

مطلب بيان
ما يشرف به
النبات على
الجماد

بعض بنظام وترتيب حتى تظهر فيه قوة الانتماء وحفظ النوع بالبرز الذي يخلق به مثله فتصير هذه الحالة زائدة فيه ويميزه عن حال ما قبله ثم تقوى هذه الفضيلة فيه حتى يصير فضل الثالث على الثاني كفضل الثاني على الاول ولا يزال يشرف ويفضل بعضها على بعض حتى يبلغ الى افعه و يصبر في أفق الحيوان وهي كرام الشجر كالزيتون والرمان والكرم واصناف الفواكه الانها بعد مختلطة القوى اعني ان قوى ذكورها واناثها غير متميزة فهي تحمل وتلد المثل ولم تباهم غاية أفعها الذي يتصل بافق الحيوان ثم تزداد وتمعن في هذا الأفق الى ان تصير في افق الحيوان فلا تهمل زيادة ذلك انها ان قبالت زيادة بسيرة صارت حيوانا وخرجت عن افق النبات فحينئذ تتميز قواها ويحصل فيها ذكورة وانوثة وتقبل من فضائل الحيوان امور يتميز بها عن سائر النباتات والشجر كالفصل الذي طالع افق الحيوان بالخواص الشرا المسذ كورة في مواضعها ولم يبق بينه وبين الحيوان الامرية واحدة وهي الانتقال من الارض والسعي الى الغذاء وقدره في الخبر ما هو كالاشارة او كالمضي الى هذا المعنى وهو قوله صلى الله عليه وسلم اكرموا عما تكلم النخل فانما اخلاقت من بقية طينة آدم فاذا تحرك النبات وانقلع من افعه وسعى الى غذائه ولم يتعدي في موضعه الى ان يصير اليه غذاؤه وكونت له آلات اخر يتناول بها حاجاته التي تكملها فقد صار حيوانا وهذه الآلات تتزايد في الحيوان من اول افعه و تفضل فيه فبشرف فيه بعضها على بعض كما كان ذلك في النبات فلا يزال يقبل فضيلة بعد فضيلة حتى تظهر فيه قوة الشعور بالذوق الاذى فيلتهذ بوضوئه الى منافعه ويتألم بوصول مضاره اليه ثم يقبل الهام الله عز وجل اياه فيتمدى الى مصالحه فيطلبها والى اضداده فيهرب منها وما كان من الحيوان في اول أفق النبات فانه لا يتزوج ولا يخلف المثل بل يتولد كالديدان والذباب واصناف الحشرات الخسيسة ثم يتزايد فيه قبول الفضيلة كما كان في النبات سواء ثم تحدث فيه قوة الغضب التي ينهض بها الى دفع ما يؤذيه فيعطى من السلاح بحسب قوته وما يطيق استعماله فان كانت قوته الغضبية شديدة كان سلاحه تاما قويا وان كانت ناقصة كان ناقصا وان كانت ضعيفة جد الم يعطى سلاح البتة بل اعطى آلة الحرب كشدة العدو والقدرة على الحيل التي تعجبه من مخاونه وانت ترى ذلك عيانا من الحيوان الذي اعطى القرون التي تجرى له مجرى الرياح والذي اعطى الانياب والمخالب التي تجرى له مجرى السكاكين والخنابجر والذي اعطى آلة الرمي التي تجرى له مجرى النبل والنشاب والذي اعطى الحوافر التي تجرى له مجرى الدبوس والطير زين فاما ما يعطى سلاحا لضعفه عن استعماله واقلة شهواته ونقصان قوته الغضبية ولانه لو اعطيه اصارا كالاغذية فقد اعطى آلة الحرب والحيل بجودة العدو والخفة والختل والمر او غمه كالارانب واشباهها واذا انصرفت احوال الموجودات من السباع والوحش والطير رابت هذه الحكمة مستمرة فيها فتبارك الله احسن الخالقين * فاما الانسان فقد عوض من هذه الآلات كلها بان هدى الى استعمالها كلها وصحرت هذه كلها وسنة - كام على ذلك في موضعه فاما اسباب هذه الاشياء كلها والشكوك التي تعترض في قصد بعضها بعضها بالتلف والانواع من الاذى فليس يليق بهذا الموضوع وسأذكرها ان شاء الله في الاجل عند بلوغنا الى الموضوع الخاص بها * ونعود الى ذكر مراتب الحيوان فنقول ما اهدى منها الى الازدواج ومطلب النسل وحفظ الولد وترتيبه والاشفاق عليه بالكن والعش واللباس كما

مطلب بيان
ما يتزايد في
الحيوان من
القوى بالتدريج

بيان مراتب
الحيوان

نشاهد في عالمه وبيوض وتغير لونه اما بالهين واما بجل الغذاء اليه فانه افضل مما لا يتبدل
 لشيء منها ثم لا تزال هذه الاحوال تتزايد في الحيوان حتى يقرب من ارق الانسان فيرتد
 يقبل التأديب ويصير بقبوله الادب ذاتية يتميز بها من سائر الحيوانات ثم تتزايد هذه
 الفضيلة في الحيوانت حتى يشرف بها ضروب الشرف كالفرس والبازي العلم ثم يصير من هذه
 المرتبة الى مرتبة الحيوان الذي يحاكي الانسان من تلقاء نفسه ويتشبه به من غير تعليم كالقردة
 وما أشبهها ويبلغ من ذكائها أن تستكفي في التأديب بان ترى الانسان يعمل عملاً فتعمل مثله من
 غير أن تهوج الانسان الى تعيها ور يا صفة لها وهذه غاية أرق الحيوانات التي ان تحيا وزها
 وقبل زيادة بسيرة خرج بها عن اقله وصار في ارق الانسان الذي يقبل العقل والتمييز
 والنطق والآلات التي يستعملها والصورة التي تلائمها فاذا بلغ هذه المنبة تحرك الى المعارف
 واشتاق الى العلوم وحدها فتله قوى وملكات ومواهب من الله عز وجل يقتدر بها على
 الترقى والامعان في هذه الرتبة كما كان ذلك في المراتب الأخر التي ذكرناها من أول هذه
 المراتب من الاق الى الانساني المتصل بآخر ذلك الاق الحيواني مراتب الناس الذين
 يسكنون في اقاصي المعمورة من الشمال والجنوب كما و آخر الترك من بلاد يا جوج وما جوج
 وأواخر النج واشباههم من الامم التي لا تميز عن القردة الا بمرتبة يسيرة ثم تتزايد فيهم قوة
 التمييز والفهم الى أن يصيروا الى وسط الاقاليم فيحدث فيهم الذكاء وسرعة الفهم والقبول
 للفضائل والى هذا الموضع ينتهي فعل الطبيعة التي وكلها الله عز وجل بالمحسوسات ثم
 يستعبد هذا القبول لا كساب الفضائل واقتنائها بالارادة والسعي والاجتهاد الذي ذكرناه
 فيما تقدم حتى يصل الى آخر اقله فاذا صار الى آخر اقله اتصل باول اقل الملائكة وهذا
 أعلى مرتبة الانسان وعندها تتاحد الموجودات ويتصل أولها بآخرها وهو الذي يسمى
 دائرة الوجود لان الدائرة هي التي قيل في حدها انها خط واحد يتدعى بالحر كفة من نقطة
 وينتهي اليها بعينها ودائرة الوجود هي المتأحدة التي جعلت السمكة وحدة وهي التي تدل
 دلالة صادقة برهانية على وحدانية موجدتها وحكمته وقدرته وجوده تبارك الله وتعالى جلده
 وتقدس ذكره ولولا أن شرح هذا الموضع لا يليق بصناعة تهذيب الاخلاص لشرحت حته وان
 تقف عليه أن بلغت هذه الرتبة بمشيئة الله واذا تصورت قد رما أو ما نال اليه وفهمته لطلعت
 على الحالة التي خلقت ونبت اليها وعرفت الاق الذي يتصل باقله وتنته في مرتبة
 بعد طرية وركوبك طرية ما عن طبق وحدتك الايمان الصحيح وشهدت ما غاب عن غيرك
 من الدماء وبلغت ان تدورج الى العلوم الشريفة المكنونة التي مبدوها تعلم المنطق (فانه)
 الا لفي تقويم الفهم والعقل العزى ثم الوصول به الى معرفة الخلائق وطباعتها ثم
 التعلق بها والتوسع فيها والتوصل منها الى العلوم الالهية وحديثه تستعد لقبول مواهب
 الله عز وجل وعطاياها فيا تيسر الفهم الى الله فتسكن من خلق الطبيعة وحركاتها نحو
 الشهوات الحيوانية وتلاحظ المرتبة التي ترقبت فيها اولاً ولا من مراتب الموجودات وعلمت
 ان كل مرتبة منها محتاجة الى ما قبلها في وجودها وعلمت ان الانسان لا يتم له كماله الا بعد أن
 يحصل له ما قبله واذا صار انساناً كاملاً وبلغ غاية اقله اشرف نور الاق الى الله عز وجل
 وصار احكاماً تاماً فانتهى الالهيات فيها يتصرف فيها من المحاولات الحكيمة فوائداً بيد
 الملوحة

مطلب بيان
 اول مراتب
 الاق الانسانى

العلوية في التصورات العقلية وأما نبأ مؤيد آياته الوحي على ضرب المنازل التي تكون له عند الله تعالى ذكره فيكون حينئذ واسطة بين الملا الأعلى والملا الأسفل وذلك بتصوره حال الموجودات كلها والحال التي ينقل اليها من حال الانسية ومطالعة الآفاق التي ذكرناها وحينئذ يفهم عن الله عز وجل قوله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وتصوره مني قوله صلى الله عليه وسلم هناك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر* وإذا بلغ هذا الكلام إلى ذكر هذه المنزلة العالمة الشريفة التي أهل الانسان لها ونسقنا أحواله التي يترقى فيها وأنه يكون أولا بالشوق إلى المعارف والمعلوم فيذبغ في ان يزيد في بيانها وشرحه فنقول*

ان هذا الشوق ربما ساق الانسان على منهج قويم وقصد صحيح حتى ينتهي إلى غاية كماله وهي سعادته التامة وقلماية في ذلك وربما عوج به عن السمت والسنن وذلك لاسباب كثيرة يطول ذكرها ولا حاجة بك إلى علمها الآن وانت في تمذيب خلقك فسكنا الطبيعة المدبرة للأجسام ربما شوفت إلى ما ليس بتسما للجسم الطبيعي لعل يتحدث به وآفات تعارأ عليه به بمنزلة من يشتاق إلى كل الطين وما جرى مجراه مما لا يكمل طبيعة الجسد بل يفسده ولا يشوقها نحو سعادتها بل يحركها إلى الاشياء التي تعوقها وتقصير بها عن كمالها حينئذ يحتاج إلى علاج نفساني روحاني كما احتاج في الحالة الاولى إلى طب طبيعي جسماني ولذلك تكثر حاجات الناس إلى المقومين والمنفعين وإلى المؤدبين والمسددين فان وجود تلك الطبائع الغائقة التي تنافي بذاتها من غير توفيق إلى السعادة عسرة الوجود لا توجد الا في الأزمنة الطوال والمدد البعيدة (وهذا) الأدب الحق الذي يؤدي بنا إلى غايتنا يجب ان نلاحظ فيه المبدأ الذي يجري مجرى الغاية حتى اذا لحظت الغاية تدرج منها إلى الامور الطبيعية على طريق التخييل ثم يتبدى من أسفل على طريق التركيب فيسلك فيها إلى ان ينتهي إلى الغاية التي لحظت اولاً وهذا المعنى هو الذي حوحنافي مبدأ هذا الكتاب وفي فصول أخر منه أن ذكر اشياء عالية لا تأتي بهذه الصناعات ليتشوق اليها من يستحقها وليس يمكن الانسان ان يشتاق إلى ما لا يعرفه الميتة فاذا لاحظها من فيه قبول لها وعناية بها عرفها بعض المعرفة فتشوقها وسعى نحوها واحتمل التعب والنصب فيها ويثبني ان يعلم أن كل انسان معذب نحو فضيلة ما فهو اليها اقرب وبالوصول اليها أخرى ولذلك ما تنصير سعادة الواحد من الناس غير سعادة الآخر الا من اتفق له نفس صافية وطبيعة فائقة فينتهي إلى غايات الامور والجز غاياتها اعني السعادة القصوى التي لا سعادة بعدها ولا جعل ذلك ويجب على مدبر المدن أن يسوق كل انسان نحو سعادته التي تخصه ثم يقيم عناية بالناس نظيره لهم بقسمين أحدهما في تسديد الناس وتقويمهم بالعلوم الفكرية والاخر في تسديدهم نحو الصناعات والاعمال الحسية واذا سددهم نحو السعادة الفكرية بدأ بهم من الغاية الاخيرة على طريق التخييل ووقف بهم عند القوى التي ذكرناها واذا سددهم نحو السعادة العملية بدأ بهم من عند هذه القوى وانتهى بهم إلى تلك الغاية ولما كان غرضنا في هذا الكتاب السعادة الخلقية وان تصدر عنا الافعال كلها جميلة كما رسمنا في صدر الكتاب وعملنا له محي الفلسفة خاصة لا الاعوام وكان النظر يتقدم العمل فوجب ان نذكر الخبر

مطلب زيادة
بيان للمنزلة
العالية التي
أهل الانسان
للترقى اليها
وما يعرض في
الانثناء

المطلق والسعادة الانسانية لتلاحظ الغاية الاخيرة ثم تطلب بالافعال الارادية التي ذكرنا جلها في المقالة الاولى وارسمها وما ليس انما يبدأ كتابه بهذا الموضوع وانتهى بذكر الخير المطلق ليعرف ويتشوق ونحن نذكر ما قاله ونتبعه بما اخذناه ايضا عنه في موضع آخر ليجتمع ما فرقه ونضيف الى ذلك ما اخذناه من مفسري كتبه والمتقدمين الحكمة فنحوا استطاعتنا والله الموفق الموفق يد فان الخير بيده وهو حسبنا ونعم الوكيل

(المقالة الثالثة)

نبدأ بحمد الله تعالى في هذه المقالة بذكر الفرق بين الخير والسعادة بعد أن ذكرنا ألقاظ ارسطو ليس افتداه به وتوفية لحقه فنقول ان الخير على ما حدده واستحسنه من آراء المتقدمين هو المقصود من السك والكل وهي الغاية الاخيرة وقد يسمى الشيء الدافع في هذه الغاية خيرا فاما السعادة فهي الخير بالاضافة الى صاحبها وهي كمال له فالسعادة اذا خير ما وقد تكون سعادة الانسان غير سعادة الهرس وسعادة كل شيء في تمامه وكماله الذي يخصه فاما الخير الذي يقصده السك بالشوق فهو طبيعة تقصد لها ذات وهو الخير العام للانسان من حيث هم ناس فهم باجهم مشتركون فيما فاما السعادات فهي خير ما لو واحد واحد من اناس فهي اذا بالاضافة ليس لها ذات معينة وهي تختلف بالاضافة الى قاصديها فذلك يكون الخير المطلق غير مختلف فيه وقد بطن بالسعادة أنها تكون غير الناطقين فان كان ذلك فانما هي استعدادات فيها القبول تمامها وكالاتها من غير قصد ولا روية ولا ارادة وتلك الاستعدادات هي الشوق او ما يجري مجرى الشوق من الناطقين بالارادة فاما ما يتأني للحيوانات في ما كها وشار بها وراحتنا فيمنع ان يهي بختنا او اتفاقا ولا يؤهل لاسم السعادة كما يسمى في الانسان أيضا وانما استحسن الحد الذي ذكرنا للخير المطلق لان العقل لا يطلق السعي والحركة لا الى نهاية وهذا اول في العقل ومثال ذلك ان الصناعات والحكم والتدابير الاختيارية كلها يقصدها خيرا وما لم يقصده خيرا فهو عبث والعقل يحظره ويمنع منه وبالواجب صار الخير المطلق هو المقصود اليه من كل الناس ولكن بقي ان يعلم هو وما الغاية الاخيرة منه التي هي غاية الخيرات التي ترتقي الخيرات كلها اليها حتى نجعله غرضنا وتوجه اليه ولا نلتفت الى غيره ولا نتشرفا كارتنا في الخيرات الكثيرة التي تؤدي اليه اما تادية بعيدة واما تادية قريبة ولا نغلط ايضا فيما ليس بخير فنظنه خيرا ثم نفق اعمارنا في طلبه والتعب به وكلنا سنهين

محيطة الله وعونه

(اقسام الخير)

الخير على ما قسمه ارسطو الى سوس وكاه عنه فرفوربوس وغيره هكذا قال الخيرات منها ما هي شريفة ومنها ما هي مدوحة ومنها ما هي بالقوة كذلك وما هي نافعة فيها * فالشريفة منها هي التي شرفها من ذاتها وتجعل من اقتنائها مثيرا وهي الحكمة والعقل * والممدوحة منها مثل الفضائل والافعال الجميلة الارادية * والتي هي بالقوة مثل التميز والامتنان لئلا لئلا الاشياء التي تقدمت * والنافعة هي جميع الاشياء التي تطالب لانتهاها لئلا ليتوصل بها الى الخيرات (وعلى جهة اخرى) الخيرات منها ما هي غايات ومنها ما ليست بغايات والغايات منها ما هي تامة ومنها ما هي غير تامة قالتي هي تامة كالسعادة وذلك انما اوصلنا اليها

لم نخرج ان نستقر بذلها شيئا اخر والى هي غير تامة فكالهبة واليسا من قبل ان اذلا
وصلنا اليها احقنا ان نستريد فتقننى اشياء اخر واما التى لبست بغاية البتة فكالعلاج
والتعلم والرياضة (وعلى جهة اخرى) الخيرات منها ما هو مؤثر لاجل ذاته ومنها ما هو مؤثر
لاجل غيره ومنها ما هو مؤثر للامرين جميعا ومنها ما هو خارج عنهما (وعلى جهة اخرى)
الخيرات منها ما هو خير على الاطلاق ومنها ما هو خير عند الضرورة والاتقافات
التي تتفق لبعض الناس وفي وقت دون وقت وايضا منها ما هو خير لجميع الناس
ومن جميع الوجوه وفي جميع الاوقات ومنها ما ليس بخير لجميع الناس ولا من جميع
الوجوه (وعلى جهة اخرى) الخيرات منها ما هو في الجوهر ومنها ما هو في الكمية ومنها
ما هو في الكيفية وفي سائر المقولات فمنها ما هو اقوى والممكنات ومنها ما لا احوال ومنها ما لا احوال
ومنها ما لا فيايات ومنها ما لا مواد ومنها ما لا لا * ووجود الخيرات في المقولات كلها
يكون على هذا المثال اما في الجوهر اعني ما ليس بعرض فانه تبارك وتعالى هو الخير الاول
فان جميع الاشياء تتحرك نحوه بالشوق اليه ولان ما لا الخيرات الالهية من البقاء
والسرمدية والتمام منه واما في الكمية فالعدد المعتدل والمقدار المعتدل واما في الكيفية
فكالذات واما في الاضافة فكالهدى والرياسات واما في الايمان والى فكالاسكان
المعتدل والزمان الا يتيق اليهم واما في الوضع فكالعود والاضطجاع والانسكاء المواقف واما
في الملكة كالاموال والمنافع واما في الانفعال فكالسماح الطيب وسائر المحسوسات المؤثرة
واما في الفعل فمثل نفاذ الامور واج الفعل (وعلى جهة اخرى) الخيرات منها ما هو في
ومنها محسوسات (واما السعادة) فقد قلنا انها خير ما هو تمام الخيرات وغايتها والتمام
هو الذي اذا بلغنا اليه لم نحتاج معه الى شيء آخر فذلك نقول ان السعادة هي افضل الخيرات
ولكننا نحتاج في هذا التام الذي هو الغاية القصوى الى السعادات اخرى وهي التي في
البدن والتي خارج البدن (وارسطوطاليس) يقول انه يعسر على الانسان ان يفعل الافعال
الشريفة بلا مادة مثل اتساع اليد وكثرة الاصدقاء وجودة الهبة قال ولهذا ما احتاجت
الحكمة الى صناعة الملك في اظهار شرفه فقال ولهذا انسان كل شيء عطية من الله تعالى
وهو هبة للناس فهو السعادة لانها عطية منه عز اسمه وهو هبة في اشرف منازل الخيرات
وفي اعلى مراتبها وهو خاصة بالانسان التام ولذلك لا يشاركه فيها من ليس بشام
كالصبيان ومن يجري مجراهم (واما اتسام) السعادة على مذهب هذا الحكيم فهي خمسة
اقسام (احدها) في صحة البدن ولطف الحواس يكون ذلك من اعتدال المزاج اعني ان يكون
جيدا مع البصر والشم والذوق واللمس (والثاني) في الثروة والاعوان واشباهها ما حتى
يتسع لان يضع المال في موضعه ويعمل به سائر الخيرات واما في اهل الخيرات خاصة
والمستحقين عامة ويعمل به كل ما يرضى في فضائله ويسحق الثناء والمدح عليه (والثالث)
ان تحسن احد وثته في الناس ويشر ذكروه بين اهل الفضل فيكون محسودا بينهم يكثر
الثناء عليه لما يتصرف فيه من الاحسان والمعرف (والرابع) ان يكون منجها في الامور
وذلك اذا استتم كل ما روى فيه وعزم عليه حتى يصير الى ما يأمله منه (والخامس) ان يكون
جيدا في جميع الفكر سليم الاعتقادات في دينه وغير دينه برئ من الخطأ والزلل

مطلب بيان
ان الخيرات في
سائر المقولات

مطلب بيان
اقسام السعادة
على مذهب
أرسطوطاليس

جيد المشورة في الآراء من اجتمعت له هذه الاقسام كلها فهو السعيد الكامل على منذهب
 هذا الرجل الغاضل ومن حصل له بعضها كان حظهم من السعادة بحسب ذلك (واما
 الحكماء) قبل هذا الرجل مثل فيثاغورس وبقرات وافلاطون واشبهاهم فانهم اجمعوا
 على ان الفضائل والسعادة كلها في النفس وحدها ولذلك لما قسموا السعادة جعلوها
 كلها في قوى النفس التي ذكرناها في اول الكتاب (وهي الحكمة والشجاعة والعفة
 والعدالة) واجمعوا على ان هذه الفضائل هي كافية في السعادة ولا يحتاج معها الى غيرها
 من فضائل البدن ولا ما هو خارج البدن فان الانسان اذا حصل تلك الفضائل لم يضره في
 سعادته ان يكون سقيما ناقص الاعضاء مبتلى بجميع امراض البدن اللهم الا ان يلحق
 النفس منها مضره في خاص افعالها مثل فساد العقل ورداءة الذهن وما اشبههما وما الفقر
 والحمول وسقوط الحال وسائر الاشياء الخارجة عنها فليست عندهم بقادحة في السعادة
 البتة * وأما الرواقيون وجماعة من الطبيعيين فانهم جعلوا البدن جزءا من الانسان ولم
 يجعلوه آلة كما شرحناه فيما تقدم فلذلك اضطروا الى أن يجعلوا السعادة التي في النفس غير
 كاملة اذا لم يقترن بها سعادة البدن وما هو خارج البدن أيضا أعني الاشياء التي تكون
 بالبحث والجد * والمحققون من الفلاسفة يحقدون أمر البحث وكل ما يكون به ومعهم ولا
 يؤهلون تلك الاشياء لاسم السعادة لان السعادة شيء ثابت غير زائل ولا متغير وهو هي أشرف
 الامور وكرمه وارفعها فلا يجعلون لآحسن الاشياء وهو الذي يتغير ولا يثبت ولا يتحصل
 بروية ولا فكر ولا يتأني بعقل وفضيلة فيها نصيبا ولهذا النظر اختلاف القدماء في السعادة
 العظمى فظن قوم أنها لا تحصل للانسان الا بعد مفارقة البدن والطبيعيات كلها وهذا هم
 القوم الذين كيناهم ان السعادة العظمى هي في النفس وحدها وهو الانسان ذلك
 الجوهر وحده دون البدن ولذلك حكموا أنها ما دامت في البدن ومتصلة بالطبيعة وكدرها
 ونجاسات البدن وضروراته وحاجاته الانسان به وافنقاراته الى الاشياء الكثيرة فليست
 سعيدة على الاطلاق وأيضا لما رأوها لا تكمل لوجود الاشياء العقلية لانها لا تستمر عنها
 بظلمة الهيولى أعني قصورها وقصائصها ظنوا أنها اذا مارقت هذه الكدورة مارقت
 الجهالات وصفت وخلصت وقبضت الاضائة والنور الالهي أعني العقل التام ويجب على
 رأى هؤلاء أن الانسان لا يسعد السعادة التامة الا في الآخرة بعد موته * وأما الفرقة
 الاخرى فانهم قالت انه من القبيح الشنيع أن يظن ان الانسان مادام حي يعمل الاعمال
 الصالحة ويعتقد الاراء الصحيحة ويسعى في تحصيل الفضائل كلها الا ان لم لا يناء جنسه
 ثانيا ويهلف رب العزة تقديس ذكره في خلقه بهذه الافعال المرضية فهو شقي ناقص حتى اذا
 مات وعدم هذه الاشياء صار سعيدا تام السعادة وارسطوطاليس يتحقق به هذا الرأي وذلك
 انه تكلم في السعادة الانسانية والانسار هو المركب عنده من بدن ونفس ولذلك حذر الانسال
 بالناسط المايت بالناسط الماشي برجلين وما أشبه ذلك وهذه الفرقة وهي التي رئيسها
 أرسطوطاليس رأت أن السعادة الانسانية تحصل للانسان في الدنيا اذا سعى لها وتعب
 بها حتى يصير الى أقصاها ولما رأى الحكماء ذلك وان الناس مختلفون في هذه السعادة
 الانسانية وإنما قد أشككت عليهم اشكالا شديدا احتاج أن يتعب في الاثبات عنها

مطلب بيان
 السعادة على
 رأى بقراط
 وافلاطون

مطلب بيان
 السعادة على
 رأى المحققين من
 الفلاسفة

واماالة الكلام فيها وذلك أن الفقير يرى ان السعادة العظمى في الثروة واليسار المر بصر يرى أنها في الصحة والسلامة والدليل يرى أنها في الجاه والسلطان والخليع يرى أنها في التمكن من الشهوات كلها على اختلافها والعاشق يرى أنها في الظفر بالمعشوق والفاضل يرى أنها في افاضة المعروف على المستحقين والفيلسوف يرى ان هذه كلها اذا كانت مرتبة بحسب تقسيط العدل اعنى عند الحاجة وفي الوقت الذي يجب وكما يجب وعند من يجب فهي سعادات كلها وما كان منها يراد لشيء آخر فذلك الشيء أحق باسم السعادة * وما كان كل واحدة من هاتين الفرقين نظرت نظر اما وجب ان نقول في ذلك ما نراه صوابا وجامعا للرايين فتقول * ان الانسان ذو فضيلة روحانية يناسبها الارواح الطيبة التي تسمى ملائكة وذو فضيلة جسمانية يناسبها الانعام لانه مركب منهما فهو بالخير الجسماني الذي يناسبه الانعام مقيم في هذا العالم السفلي مدة قصيرة ليعمره وينظمه ويرتبه حتى اذا نظفر بهذه المرتبة على السكال انتقل الى العالم العلوي واقام فيه دائما سرمدا في صحبة الملائكة والارواح الطيبة وينبغي ان يفهم من قولنا العالم السفلي والعالم العلوي ما ذكرناه فيه. اتقدم فانا قد قلنا هناك اننا لسنا نفي بالعلو المكان الاعلى في الحس ولا بالعالم السفلي المكان الاسفل في الحس بل كل محسوس فهو اسفل وان كان محسوسا في المكان الاعلى وكل معقول فهو اعلى وان كان معقولا في المكان الاسفل وينبغي ان يعلم انه ليس يحتاج في صحة الارواح الطيبة المستغنية عن الابدان الى شيء من السعادات البدنية التي ذكرناها سوى سعادة النفس فقط اعنى المعقولات الابدانية التي هي الحكمة فقط فاذا دام الانسان انسانا فليس تتم له السعادة بالتحصيل الحاصلين جميعا وليس يحصل ان على التمام الا بالاشياء النافعة في الوصول الى الحكمة الابدانية فالسعيد اذا من الناس يكون في احدي مرتبتين اما في مرتبة الاشياء الجسمانية متعلقا باحوالها السفلى سعيدا بها وهو مع ذلك يطالع الامور الشريفة باحسانها مشافها اليها متحر كاتحوها مغتبطا بها * واما ان يكون في رتبة الاشياء الروحانية متعلقا باحوالها العليا سعيدا بها وهو مع ذلك يطالع الامور البدنية معتبرا بها ناظرا في علامات القدرة الالهية ودلائل الحكمة الباطنية مقتد يا بها ناظرا لها مقيضا للخيرات عابسا بها لها نحو الافضل فالأفضل بحسب قبولها وعلى نحو استعانتها وأي امرئ لم يحصل في احدي هاتين المنزلتين فهو في رتبة الانعام بل هو افضل وانما صار افضل لان تلك غير معرضة لهذه الخيرات ولا أعطيت استطاعة تحرك بها نحو هذه المراتب العالية انما تحرك بقواها نحو كمالها الخاصة بها والانسان معرض لها من دواب اليها مزاح العلة فيها وهو مع ذلك غير محصل لها ولا ساع نحوها وهو مع ذلك مؤثر ارضاها يستعمل قواه الشريرة في الامور الدنيئة وتلك محصلة لكمالها التي تخصها فاذا الانعام اذا منعت الخيرات الانسية حرمت جوار الارواح الطيبة ودخول الجنة التي وعد المتقون فهي معذورة والانسان غير معذور * مثل الاول مثل الاعشى اذا جازع عن الطريق فيتردى في بئر فهو مرحوم غير ملوم ومثل الثاني مثل بصير يجر على بصيرة حتى يتردى في البئر فهو معقوت ملوم * واذا قد تبين ان السعيد لا محالة في احدي المرتبتين اللتين ذكرناهما فقد تبين ايضا ان احدهما ناقص مقصير عن الآخر وان الا نقص منهما ليس يحلولا يتعري من الا لأم والخيرات

نسخة المعقولات
الحقيقة التي
بالحقيقة هي
الحكمة اه

لأجل خدائع الطبيعة والزخارف الحسية التي تعترضه فيما يلاسه وتوقعه عما يلاحظه وتمنعه من الترفي فيها على ما ينبغي وتشغله بما يتعلق به من الأمور الجسمية فانما هي فصاحب هذه المرتبة غير كامل على الاطلاق ولا سعيد تام * وان صاحب المرتبة الاخرى هو السعيد التام وهو الذي توفر حفظه من الحكمة فهو مقيم برؤايته بين الملا على يستمد منهم لطائف الحكمة ويستنير بالنور الالهي ويستز يد من فضائله بحسب عنايته بما وقلة عوائقه عنها ولذلك يصكون أبدأ خايماس الآلام والحسرات التي لا يخلو صاحب المرتبة الاولى منها او يكون مسرورا بأبدانته مغتبطا بحاله وما يحصل له دأئما من فيض نور الاول فليس يسر الا بتلك الاحوال ولا يغمط الا بتلك المحاسن ولا يمش الا لاظهار تلك الحكمة بين اهلها ولا يرتاح الا لمناسبة اوقار به واحب الاقتباس منه وهذه هي المرتبة التي من وصل اليها فقد وصل الى آخر السعادات واقصاها وهو الذي لا يزال بفرار الاحباب من اهل الدنيا ولا يهتسر على ما يفوته من التمتع فيها وهو الذي يرى جسمه وماله وجسم خيرات الدنيا التي عدتها في السعادات التي في بدنه والجارحة عنه كلها كلال عليه الا في ضرورات يحتاج اليها لبدنه الذي هو مربوط به لا يستطيع الانحلال عنه الا عند مشيئة خالقه وهو الذي يشناق الى محبة اشكاله وملاقاة من يناسبه من الارواح الطيبة والملائكة المقربين وهو الذي لا يفعل الا ما أرواه الله منه ولا يختار الا ما قرب اليه ولا يخالفه الى شيء من شهواته الرديئة ولا يخذع بخدائع الطبيعة ولا يلتفت الى شيء يعوقه عن سعادته وهو الذي لا يجزن على فقد محبوب ولا يقصر على فوت مطلوب الا ان هذه المرتبة الاخيرة تتفاوت وتفاوتا عظيما اعني ان من يصل اليها من الناس يكونون على طبقات كثيرة غير متقاربة وهاتان المرتبتان هما اللتان ساق الحكيم الكلام اليهما واختار المرتبة الاخيرة منهما اود ذلك في كتابه المسمى فضائل النفس (وانا اورد الفاظه التي نقلت الى العربية بعينها) * قال اول رب الفضائل تسمى سعادة ان يصرف الانسان ارادته ومحاولاته الى مصالحه في العالم المحسوس والامور المحسوسة من امور النفس والبدن وما كان من الاحوال متصلا به او مشاركا له من الامور النفسانية ويكون تصرفه في الاحوال المحسوسة تصرفا لا يخرج به عن الاعمال الملائم لادواله الحسية * وهذه حال قد يتابس فيها الانسان بالاهواء والشهوات الا ان ذلك بقدر معتدل غير مفرط وهو الى ما ينبغي اقرب منه الى ما ينبغي وذلك انه يجري امره نحو صواب التدبير المتوسط في كل فضيلة ولا يخرج به عن تقدير الفسك وان لا يس الامور المحسوسة وتصرف فيها * ثم الرتبة الثانية وهي التي يصرف الانسان فيها ارادته ومحاولاته الى الامر الافضل من صلاح النفس والبدن من غير ان يتابس مع ذلك بشيء من الاهواء والشهوات ولا يكثر بشيء من النفسانيات المحسوسة الا بما تدعو اليه الضرورة ثم تتزايد رتبة الانسان في هذا الضرب من الفضيلة وذلك ان الاماكن والرتب في هذا الضرب من الفضائل كثيرة بعضها فوق بعض وسبب ذلك اما اولها فاختلاف طبائع الناس وثانيها على حسب العادات وثالثها بحسب منازل الناس ومواقعهم من الفضل والعلم والمعرفة والفهم ورابعها بحسب همهم وخامسها بحسب شوقهم ومعانائهم ويقال ايضا بحسب جدهم * ثم تكون النقطة في آخر هذه المرتبة اعني هذا الصنف من الفضيلة الى الفضيلة الالهية المحضة وهي التي لا يكون فيها

يشوف الى آت ولا تلفت الى ماض ولا تشيع سلال ولا تطلع الى ناء ولا ضن بقر يب ولا خوف
 ولا فرح من امر ولا شغف بحال ولا طاب لحظ من حظوظ الانسانية ولا من الحظوظ
 النفسانية ايضا ولا مائد الضرورة اليه من حاجة البدن والقوى الطبيعية ولا القوى
 النفسانية لكن يتصرف بتصرف الخير العقلي في اعالى رتب الفضائل وهو صرف الوكد الى
 الامور الالهية ومعاناتها ومحاولاتها بلا طاب عوض اهني ان يكون تصرفه فيها ومعاناته
 ومحاولته لها لنفس ذاته فقط وهذه الرتبة ايضا تنزايد بالناس بحسب الهمم والشوق وفضل
 المعاناة والمحاولة وقوة الهزيمة وضخمة الثقة وبحسب منزلة من بلغ الى هذا المبلغ من الفضيلة في
 هذه الاحوال التي عدناها الى ان يكون تشبهه بالعلة الاولى واقتداؤهم بها وبقاها * وآخر
 المراتب في الفضيلة ان تكون افعال الانسان كلها افعالا الهية وهذه الافعال هي خير
 محض والفعل اذا كان خيرا محض فليس بفعله فاعله من اجل شيء آخر غير الفعل نفسه وذلك
 ان الخير المحض هو غاية متوخاة لذاتها اي هو الامر المطلوب المقصود لذاته والامر الذي
 هو غاية في نهاية النفاسة ليس يكون من اجل شيء اخر فاعمال الانسان اذا صارت كلها الهية
 فهي كلها انما تصدر عن له وذاته الحقيقية التي هي عقله الالهي الذي هو ذاته بالحقيقة وتزول
 وتمسد وتوحد سائر دواعي طباعه البدني بسائر عوارض النفس من البهيمية وغيره من
 التخلي المتولد عنهم ما عن دواعي نفسه الحسية فلا يبقى له حينئذ ارادة ولا همة خارجة عن
 فعله من اجلها ما يفعل ما يفعل لكنه يفعل ما يفعله بلا ارادة ولا همة في سوى الفعل اي لا يكون
 غرضه في فعله غير ذات الفعل وهذا هو سبيل الفعل الالهي * فهذه الحال هي اخر رتب
 الفضائل التي يتقبل فيها الانسان افعال المبدأ الاول خالق الكل عز وجل اعني ان يكون
 فيما يفعله لا يطالب به حقا ولا مجازاة ولا عوضا ولا زيادة لكن يكون فعله بعينه هو غرضه
 اي ليس بفعل من اجل شيء اخر سوى ذات الفعل ومعنى ذاته هو ان لا يفعل ما يفعله من اجل
 شيء غير فعله نفسه وذاته نفسها هي الفعل الالهي نفسه وهكذا يفعل الباري تعالى لذاته
 لا من اجل شيء اخر خارج عنه وذلك ان فعل الانسان في هذه الحال يكون كما قلنا خيرا
 محضا وحكمة محضة فيبدأ بالفعل لنفس اظهار الفعل فقط لا لغاية اخرى بتوخاها
 بالفعل وهكذا فعل الله عز وجل الخاص به ليس هو على القصد الاول من اجل شيء خارج
 عن ذاته اعني ليس ذلك من اجل سياسة الاشياء التي نحن بعضها لانه لو كان كذلك
 لكانت افعاله حينئذ انما كانت وتكون ويتم بمشافة الامور التي من خارج وتديرها
 وتدير احوالها واهتمامها بها وعلى هذا تكون الاشياء التي من خارج اسبابا وعللا
 لافعاله وهذا شنيع قبيح تعالى الله عنه علوا كبيرا لكن عنايته عز وجل بالاشياء
 التي من خارج وفعله الذي يدبرها به ويرفدها انما هو على القصد الثاني وليس بفعله
 ما يفعله من اجل الاشياء انفسها لكن من اجل ذاته ايضا وذلك لاجل ان ذاته تفعل
 لذاتها لا من اجل المفضل عليه ولا من اجل شيء اخر وهكذا سبيل الانسان اذا بلغ الى
 الغاية القصوى في الامكان من الاقتداء بالباري عز وجل تكون افعاله التي يفعلها
 على القصد الاول من اجل ذاته تقسم الى هي العقل الالهي ومن اجل الفعل نفسه وان
 فعله لا يرفد به غيره ويذوقه به فليس فعله ذلك على القصد الاول من اجل ذلك الغير لكن

الوكد القصد
 ووكد وكدة
 قصد قصد
 الهزيمة الطبيعية
 هـ

يفعل بذلك الغير ما يفعله به بقصد ثنائ وفده - له ذلك من اجل ذاته بالقصد الاول ومن اجل الفعل نفسه اى لنفس الفضيلة ولنفس الخير لان فعله ذلك فضيلة وخير ففعله لنفس الفعل للاحتساب منفعة ولا دفع مضرة ولا للتباعد وطلب الرياسة ومحبة الكرامة فهذا هو غرض الفسافة ومنتهى السعادة الا ان الانسان لا يصل الى هذه الحال حتى تنفى ارادته كلها التى بحسب الامور الخارجة وتنفى العوارض النفسانية وتغوت خواطره التى تكون عن العوارض ويمتلئ شعاع الهيا وهمة الهية وانما يمتلئ من ذلك اذا صفاه من الامور الطبيعية البتة ونفى منه نفيا كاملا ثم حينئذ يمتلئ معرفة الهية وشوق الهيا ويوق بالامور الالهية بما يتقرر فى نفسه وفى ذاته التى هى العقل كما تقرر فى نفسه القضايا الاول التى تسمى العلوم الاوائل الا ان تصور العقل ورؤيته فى هذه الحال الامور الالهية وتيقنه لها يكون بمعنى اشرف والطف واطهر واشهد ان كشافه وبيانا من القضايا الاول التى تسمى العلوم الاوائل العقلية * فهذه الفاظ هذا الحكيم قد نقلتها نقلها وهى نقل ابي عثمان الدمشقي وهذا الرجل فصيح اللغتين جميعا اعنى اليونانية والعربية مرضى النقل عند جميع من طالع هاتين اللغتين وهو مع ذلك شديد التحرى لا يراى الا لفاظ اليونانية ومعانيها فى الفاظ العرب ومعانيها لا تختلج فى لفظ ولا معنى ومن رجع الى هذا الكتاب اعنى المسمى بفضائل النفس فقرأ هذه الالفاظ كما نقلتها * وليس تحصل هذه المراتب التى يترقى فيها صاحب السعادة التامة الا بعد ان يعلم اجزاء الحكمة كلها علما صحيحا ويسمى فيها اولاولا كما رتبناها فى كتابنا المسمى بترتيب السعادات ومن ظن من الناس انه يصل اليها بغير تلك الطريقة وعلى غير ذلك المنهج فقد ظن باطلا وبعد عن الحق بعدا كثيرا وليتذكر فى هذا الموضع الخطأ العظيم الذى وقع فيه قوم ظنوا انهم يدركون الفضيلة بتعطيل القوة العاملة واهمالها وترك النظر الخاص بالعقل واكتفائهم باعمال ليست مدنية ولا بحسب ما يقسطه التمييز والعقل وقد سماهم قوم العاملة والنساجية ولذلك رتبنا هذا الكتاب عقب ذلك الكتاب لياحظ منهم العادة الاخيرة المطلوبة بالحكمة البالغة وتنذب لها النفس وتتهبأ لقبولها غسل وتنقية من الامور الطبيعية وشهوات الابدان ولذلك سميتها ايضا بكتاب طهارة الاعراق (وقد قال ارسطو طاليس فى كتابه المسمى بالاخلاق) ان هذا الكتاب لا ينتفع به الا حدث كثير منفعة ولا من هو فى طبيعة الاحداث قال ولست اعنى الحدث ههنا حدث السن لان الزمان لا تأثير له فى هذا المعنى وانما اعنى السيرة التى يقصدها اهل الشهوات واللذات الحسية * واما انا فاقول انى ما ذكرته هذه المرتبة الاخيرة من السعادة طمعا فى وصول الاحداث اليها بل ايمر على سمعهم فقط وليعلم ان ههنا مرتبة حكمية لا يصل اليها اهلها الا علون مرتبة حسب فليلمس كل من نظم فى هذا الكتاب المرتبة الاولى منها بالاخلاق التى وصفتها فان وفق بعد ذلك واعانه الشوق الشديد والحرق الشديد وسائر ما ذكرناه ووصفناه عن الحكيم فليترقى فى درجة الحكمة وليتصاعدها بجهده فان الله عز وجل يعينه ووفقه فاذا بلغ الانسان الى غاية هذه السعادة ثم فارق بجسمه الكثيف دنياه الدنية وتجرد بنفسه اللطيفة التى عنى بتطهيرها وغسلها من الدنابس الطبيعية لآخره العلية فقد فاز وأعد ذاته للقاء خالق عز وجل اعدادا

اهداداد روحانيا ليس فيه نزاع الى تلك القوى التي كانت تعوقه عن سعادته ولا شوق اليها
لانه قد تظهر منها وتنزه عنها ولم تبقى فيه ارادة لها ولا حرص عليها وقد استخلصها لقاء
رب العالمين وايقول كراماته وفيض نوره الذي كان غير مستعد له ولا فيه قبول من عطائه
وبأنه حينئذ الذي وعد به المتقون والابرار كما سبق في الايمان اليه مما راني قوله عز وجل
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم هناك ملاعين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واذا دخلنا من امرها تين المنزلتين من السعادة
القصوى فقد تبين بيانا كافيا ان احدها هوها بالاضافة اليها الاولى والاخرى ثانية ومن
الحال ان تسلك الى الثانية من غير ان تمر بالاولى * فقد وجب ان نعود الى ما بدأنا به من
ذكر الرتبة الاولى من السعادة الاخيرة ونستوفي الكلام فيها وفي الاخلاق التي
بنيها الكتاب عليها ونخلى عن بيان الرتبة الثانية الى وقت آخر فنقول ان من عني
ببعض القوى التي ذكرناها دون بعض او تعدلها لاحدها في وقت دون وقت لم تحصل له
السعادة وكذلك يكون حال الرجل في تدبير منزله اذا عني ببعض اجزائه دون بعض او في وقت
دون وقت فانه لا يكون مدبر منزل وكذلك حال مدبر المدينة اذا خص بنظره طائفة دون طائفة
او وقتا دون وقت لم لا يتحقق اهم الرياسة على الاطلاق (وارسطو صاليس) تمثل بأن قال ان
الخطاف الواحد اذا ظهر لا يدل على طبيعة البيع ولا يوم واحد معتدل الهواء يبشر بالربيع
فعلى طالب السعادة ان يطالب السيرة اللذيذة عنده فيسرها دائما فان تلك السيرة هي
واحدة ولذيذة في نفسها ولذلك قلنا انه ينبغي ان يتشوقها دائما ويثبت عليها ابدا * ولما
كانت السيرة ثلاثة لانها تنقسم بانقسام الغايات الثلاثة التي يقصدها الناس اعني
سيرة اللذة وسيرة الكرامة وسيرة الحكمة وكانت سيرة الحكمة اشر فيها واتمها وكانت
فضائل النفس كثيرة وجب ان يفضل الانسان بافضالها وبشرفها بشرفها فاسيرة الافاضل
اسعداء سيرة لذية بنفسها لان افعالهم ابداء مختارة ومعدوحة وكل انسان يلتزم بما هو
محبوب عنده يلتزم بعدل العادل يلتزم بحكمة الحكيم فالافعال الفاضلة والغايات
التي ينتهي اليها بالافضل لذية محبوبة فالسعادة الذم كل شيء * وارسطو طالس يقول
ان السعادة الالهية وان كانت كما ذكرناها من الشرف وسيرتها الذوات من كل سيرة فانها
محتاجة الى السعادات الاخر الخارجة لان تظهر بها والا كانت كاملة غير ظاهرة واذا كانت
كذلك كان صاحبها كالفاضل النائم الذي لا يظهر فعله وحينئذ لا يكون بينه وبين غيره
فرق كما وصفنا حالهما فيما تقدم * فاطاع اذن على حقيقة هذه السعادة المتمكن من
اظهار فعله بها هو الذي يلتزم بها وهو الذي يسر سرورا حقيقيا غير موهوم ولا مشرخر بالباطل
وهو الذي يخرج من حدا المحبة الى العشق والهيمنان وحينئذ ان يصير ساطانه العالي
بمحبة سلطان بطنه وقرجه فلا يتقدم باسرف جزء فيه أحس جزء فيه واعني بالسرو
المزخر بالباطل اللذات التي تشركها فيها الحيوانات التي ليست بشاطقة فان تلك اللذات
حسية تنصرم وشيكا وتناهى الخواص سر يعا فاذ ادامت عليها صارت كريمة وبعادات
مؤلمة وكما ان للعسل لذة عرضية على حدة فكذلك للعقل لذة ذاتية على حدة لان لذة العقل لذة
ذاتية ولذة الحس عرضية فمن لا يعرف اللذة الحقيقية كيف يلتزم بها ومن لا يعرف الرياسة

الذاتية كيف يصير اليها فذلك قد مناه وصفها وشوقنا اليها باعادة الكلام فيها مرارا
وقلنا ثامن لا يعرف الخير المطلق والفضيلة التامة ولا يعرف الحكمة العلمية يعني اينسار
الافضل والعمل به والثبات عليه لا ينشط له ولا يرتاح اليه ومن كان كذلك فكيف يلتذ
ويتنعم بما شرهناه ودللنا عليه * وقد كان الحكماء المتقدمين مثل بضر بونه ويكتبونه في
الحباكل وهي مساجدهم ومصلاتهم وهذا الملك الموكل بالذنب يقول ان ههنا خير او ههنا شر
وههنا ما ليس بخير ولا شر في عرف هذه الثلاثة حتى معرفتهم يتخلص مني ونجاسا ما ومن لم
يعرفها قتله شر قتله وذلك اني لا قتله قتلا وحيلا ولكني أقتله اولاولي زمان طوبى لفلان
المثل من نظريه وتامله عرف منه جميع ما قدمنا ذكره * وينبغي ان يعلم ان السعيد الذي
ذمك رنا حاله مادام حيا تحت هذا الفلك الدائر بكواكبه ودرجاته ومطالع سعادته
ونحوه يرد عليه من النكبات والنوائب وانواع المحن والمصائب ما يرد على غيره الا انه
يذعر منها ولا يطعمه ما يطعم غيره من المشقة في احتماله لانه غير مستعد اسرعة الانقصال
منها بعدد الهلع والجزع والاحزان ولا قابل اثر الهوموم والاحزان بالاحوال العارضة
وان اصابه من هذه الالام شئ فهو يقدر على ضبط نفسه كيلا تنقله عن السعادة الى
مدها بل لا تخرجه عن حد السعادة البتة ولو ابتلى بيلابا لبوب عليه السلام واضعافها
ما اجرجه عن حد السعادة وذلك لما يجد في نفسه من المحافظة على شروط الشجاعة والصبر
على ما يجزع منه اصحاب خور الطبع فيكون سروره والابتذال بالاحاديث الجميلة التي
تنشر عنه ويرى ان القتائل الذي يدعى الشرطارة والمصارع الذي يهوى الغلبة كل واحد
منهم ما يصبر على شدائد عظيمة من تقطيع اعضاء نفسه وترك الشهوات التي يتمكن منها
طلب ما يحصل له من الغلبة وانتشار الصيت فيرى نفسه احرى واولى منهم بالصبر اذ كان
غرضه اشراف وصيته في الفضلاء اباغ واشهر واكرم ولانه يسعد في نفسه ثم يصير قدوة لغيره
* وارسطوطاليس يقول ان بعض الاشياء تعرض من سوء البخت يكون يسيرا سهل المحتمل
فاذا تعرض للانسان واحتمل لم يكن فيه دلالة على كبر نفسه وعظم همة ومن لم يكن سعيدا
ولاسبقته له رياسة بهذه الصناعة الشريفة من تهذيب الاخلاق فانه سينقل انفعالا قويا
فيعرض له عند حلول المصائب احدي الحالتين اما الاضطراب الفاحش والالام الشديدة
والخروج بها الى الحد الذي يرنى له ويرحم وأما ان يشبه بالسعداء وسمع مواعظهم فيظهر
الصبر والسكون الا انه جزع الباطن متألم الضمير وكما ان الاعضاء المفلوجة اذا حركت الى
اليمين فحركت الى الشمال كذلك تكون حركات نفوس الاشرار تتحرك الى خلاف ما يحملونها
تغاييه من الجميل أهني اذا تشبهوا بالاجراد وأهل العدالة كانت هذه حالهم * وما يستدل
به من كلام ارسطوطاليس على انه كان يقول بقاء النفس وبالمعاد كلامه المتداول في كتاب
الاخلاق وهو هذا قال * قد حكمنا ان السعادة شئ ثابت غير متغير وقد علمنا ايضا ان
الانسان قد يطعمه تغيرات كثيرة وانقافات شتى فانه قد يمكن ان عوار غدا الناس عيشا ن يصاب
بمصاب عظمية كالمريض في برنامج ومن يتفق له هذه المصائب ومات عليها فليس يسميه
بحد من الناس سعيدا وليس ينبغي على هذا القياس ان يدعى انسان من الناس سعيدا مادام
حي بل ينتظر به آخر عمره ثم يحكم عليه فالانسان اذن انما يصير سعيدا اذا مات الا ان هذا

قول في غاية الشناعة اذ كأنقول ان السعادة هي خير مما ثم قال في هذا الموضوع أيضا موضع شك فانه قد يظن بالميت ان يلحقه خير وشرا ذ قد يلحق الحي أيضا وهو لا يحس به مثل السكرامة او الهوان واستقامة أسر الاولاد وأولاد الاولاد في هذه الاشياء خير لانه قد يمكن فيمن عاش عمره كله الى أن يبلغ الشيخوخة سعيدا وتوفي على هذا السبيل أن يلحقه مثل هذه التعذيرات في اولاده حتى يكون بعضهم خيرا احسن السيرة وبعضهم بضد ذلك ومن البين انه قد يمكن أن يوجد بين الآباء والاولاد تباعد واختلاف بكل جهة ولكن المنكر أن يكون الميت بتغير غيره بصير مرة سعيدا ومرة أخرى شقيا ومن المنكر أن لا تكون أمور الاولاد متصلة بالوالدين في وقت من الاوقات واسكن ينبغي أن نعود الى ما كان الشك واقعا فيه فهذا الشك الذي أورده أرسطو طالس على نفسه في هذا الموضوع هو شك من يعتقد ان للانسان بعدم موته أحوالا وأنه يتصل به لا محالة من أمور اولاده واولاد اولاده أحوال مختلفة بحسب اخلاق سير الاولاد فكيف ما تقول ليت شعري في الانسان اذا مات سعيدا ثم لحقه من شقاء بعض أولاده أو سوء سيرة من يحيا من نسله ما يكون ضد سيرته وهو حي فانه ان غير سعادته كان هذا شذيا وان لم يلحقه ايضا شئ من ذلك كان ايضا شذيا * ثم أرسطو طالس يحل هذا الشك بأن يقول ما هذا معناه * ان سيرة الانسان ينبغي ان تكون سيرة مجودة لانه يختار في كل ما يعرض له افضل الاعمال من الصبر مرة ومن اختيار الافضل فالأفضل من يوم من التصرف في الاموال اذا اتسع فيها وحسن التخييل اذا عدمها ليكون سعيدا في جميع احواله غير منتقل عن السعادة بوجه من الوجوه فالسعيد اذا ورده عليه نحس عظيم جعل سيرته كثر سعادة لانه يداريه مداراة جميلة ويصبر على الشدائد صبرا حسنا ومتى لم يفعل ذلك كدر سعادته ونقصها واجاب له احزاننا وغمو ما نعوقة هن افعال كثيرة والجملة اذا ظهر من الاعداء في هذه الاحوال والافعال كان اشد اثرا فاما او حسنا وذلك اذا احتمل ما كبر وعظم من المصائب احتملا سهلا بعد ان لا يكون ذلك لعدم حسه ولان نقصان فهمه بالا مواريل لشهامته وكبر نفسه * قال اذا كانت الافعال هي ملاك السيرة كما قلنا فليس يكون احدهم السعداء شقيا لانه لم يفعل في وقت من الاوقات افعالا مذبذبة فاذا كان هكذا فالسعيد ابدا يكون مغبوطا وان حلت به المصائب التي حلت به ناس ولا يكون ايضا شقيا ولا سريعا التقل من ذلك لانه ليس ينتقل عن السعادة بسهولة ولا ينتقله عنها الاوقات اليسيرة بل لا تنتقله عنها الاوقات العظيمة الكثيرة وليس انما يكون سعيدا اذا اناته هذه الامور زمانا يسيرا بل اذا ظفر بأمر رجيلة في زمان طويل * ثم قال بعد قليل واما حال الانسان بعدم موته فالتقول بان الآفات التي تعرض لاولاد الميت واصدقائه باجمعهم ليست تتعلق به اصلا مضادا لما يعتقد جميع الناس واذا كانت الامور العارضة لهؤلاء كثيرة متعينة وكان بعضها يتعداهم الى الميت اكثر وبعضها اقل صارت فسمتنا ياها الى الاشياء الجزئية بلانهاية واما اذا قيل قولنا كليا وعلى طريق الرسم فخلق ان نتكفي بما نقوله فيها * وهو انه كما ان الآفات التي تعرض للميت في حياته بعضها ينقل عليه احتماله ويثبت في سيرته وبعضها يخف عليه احتماله كذلك يكون حاله فيما يعرض لاولاده واصدقائه وكل واحد من العوارض التي تعرض للاحياء بخلاف ما يعرض

لهم اذا ماتوا اكثر من مخالفة كل ما يضرب به المثل وبشبهه ان كان يصل اليهم من هذه الاشياء
شيء خير كان او شر ان يكون يسيرا تر راجعاً دار ما لا يجعل غير السعيد سعيدا ولا يستزع
السعادة من السعداء هذا حل ارسطوطاليس للشك الذي اوردته * ولما قلنا ان السعادة
ألذ الاشياء وافضلها واجودها وارضعها وجب ان نبين وجه اللذة فيها بآتم كما قلناه فيما مضى
ان اللذة تنقسم قسمين احدها اللذة انفعالية والاخرى لذة فعلية اى فاعلة فاما اللذة الانفعالية
فهى شبيهة بلذة الاماث واللذة الفاعلة تشبه لذة الذكور ولذلك صارت اللذة الانفعالية هى
التي تشتركها فيها الحيوانات التي ليست بناطقه وذلك انهم مقترنة بالشهوات ومحبة الانتقام
وهى انفعالات النفسين البهيمتين واما اللذة الاخرى فهى الفاعلة وهى التي يختص بها
الحيوان الناطق ولانها غير هيولانية ولا منفعية لانفعالا لانها صارت لذة تامة وتلك ناقصة
وهذه ذاتية وتلك عرضية واعنى لذاتية والعرضية ان اللذات الحسية المقترنة بالشهوات
تزول سريعاً وتنقضى وشيئا كليل تنقلب لذاتها فتصير غير لذات بل تصير آلاما كثيرة او
مكر وهمة بشعة مستفحجة وهذه اضداد اللذة ومقابلتها واما اللذة الذاتية فانها لا تصير في
وقت آخر غير لذة ولا تنقل عن حالتها بل هى ثابتة ابدًا واذا كانت كذلك فقد صبح حكمنا
ووضح ان السعيد تكون لذته ذاتية لا عرضية وعقلية لاحسية وفعلية لانفعالية والهيبة
لا بهيمية ولذلك قالت الحكماء ان اللذة اذا كانت صحيحة ساقط البدن من النقص الى التمام
ومن السقم الى الصحة وكذلك تسوق النفس من الجهل الى العلم ومن الرذيلة الى الفضيلة الا ان
ههنا مزايا ينبغي ان يفهم عليها المتعلم وهوان ميله الى اللذة الحسية ميل قوى جدا وشوقه
اليها شوق مزعج وليس تزيد العادلة في قوة الطبع الذي لنا كثير ازادة لفرط حاجتنا
عليه في البدأ من القوة والشوق ولذلك متى كانت هذه اللذة حسية قبيحة جدا ثم مال الطبع
اليها باقراط وانفصل عنها بقوة استحسنت الانسان فيها كل قبيح وهون على نفسه منها كل
صعب ويرى موضع الغلط ولا مكان القبيح حتى تبصر الحكمة * واما اللذة العقلية الجميلة
فأمرها بالضد وذلك ان الطبع يكرهها فان انصرف الانسان اليها بمرقة وتمييزه احتاج فيها
الى صبر ورعاية حتى اذا تم صرفها او تدرب لها انكشف له حسمها وبهاؤها وصار بالاضد ما
كان في الحس * ومن هنا تبين ان الانسان في ابتداء كونه محتاج الى سياسة الوالدين ثم الى
الشريعة الالهية والدين القيم حتى تمديه ونقوه الى الحكم البالغة ليتولى تديره الى آخر عمره
وقد تبين مع ذلك تعلق السعادة بالجوود وذلك اننا قد بينا ان اللذة مائة ولذة الفاعل ابدًا تكون
في الاعطاء ولذة المنفعلة ابدًا تكون في الاخذ وليس تظهر لذة السعيد الا ببراز فضائله واطهار
حكمته ووضعه كفائته في مواضعها وكذلك البناء الحاذق والصانع اللطيف والموسيقي
الحسن وبالجملة كل صانع حاذق فاضل في صناعته يذمر ما طار فضائله واذا عتبرنا بين اهلها
ومستغنيها وهذا هو معنى الجود الا ان الجود باعلى الاشياء واكرمها افضل واشرف من الجود
بأدونها واخصها وقد عرض لهذا الجود مع شرفه وعلمه بتدبيره ما عرض لذلك الجود
الا انهم مع تزارته وقتلته وذلك ان صاحب الاموال والمقتنيات الخارجية كلها يذوق ماله
بالانفاق وينظم بالبذل وتنفى ذخائره واما صاحب السعادة التامة فان امواله لا تنقص بالانفاق
بل يزيد ولا تنفنى ذخائره بالتبذير بل تنمو وتلك معرضة للآفات الكثيرة من الاعداء والخصوم

سائر المتسطين وهذه محر وسه من كل آفة لا سبيل للاشراء الاعداء اليها بوجه ولا سبب
 * فقد ظهرت لذة السعيد كيف تكون ومن اين تبتدى والى اين تنتهى وكيف يكون السرور
 الحقيقى واللذة لذاتية وتبين ايضا انها ابديّة وتامة والهيبة وان ضدّها هو الشقاء لذاته بالضد
 وعلى العكس اعنى ان لذاته كاهها عرضية ومنتهقلة عن طبائعها الى اضدادها حتى تصير مؤلمة
 أو مكرهة وانها غير الهيبة بل شيطانية وغير مدوحة بل هي مذمومة وذلك بأن ينظر فى
 السعادة هل هي مدوحة فان ارسلها طوالت ليس يقول ان الاشياء التى هي فى غاية الفضل
 لا يوجد لها مدح لانها افضل وامدح وأجل من ان تمدح قال وذلك انا قد تنسب المتأهلين
 والخيار من الناس الى السعادة وليس يوجد أحد من الناس يمدح السعادة نفسها كما
 يمدح العدل لكنه يمدحها ويكرمها الى ان يأتى أمر الهى بالاشياء التى هي أفضل من المدح وهو
 الله تعالى والى الخير فان المدح هو الفضيلة والعمل به سائمه انتهى كلامه هذا الى أن قال فالتة
 تعالى اكرم وأشرف من ان يمدح بل انما يمدحونه ونحن نمدح الله تعالى ونقدسه تمجيذا كثيرا
 وانما السعادة فلانها أمر الهى وانما تفعل الاشياء كاهها لاجلها فهي كذلك ايضا بمجدة فعلى هذا
 الامر يذفى ان لا تمدح السعادة لانها أجل من كل مدح بل نمدحها فى نفسها وتمدح الامور
 كاهها وبقدر قسطها منها تمت المقالة الثالثة من كتاب تهذيب الاخلاق

المقالة الرابعة

قد قلنا فيما سلف ان السعادة تظهر فى الافعال من العدالة والشجاعة والعمق وسائر ما تحت
 هذه الانواع التى احصيناها وحددناها وهذه الافعال قد تظهر من ليس بسعيد ولا فاضل
 وذلك انه قد يعمل بعض الناس عمل العدل وليس يعادلو يعمل عمل الشجاعة وليس
 بشجاعو يعمل عمل الاعفاء وليس بعفيف مشال ذلك ان من ترك الشهوات من الماء كل
 والمشارب وسائر اللذات التى ينعمك فيها غيره اما لانه ينتظر منها ما كثر ما يحضره واما لانه
 لا يعرفها ولم يباشرها كالاعراب الذين يبعدون عن البلاد وكالرعاة فى البوادر وقل
 الجبال واما لانه يمتدح ما يجده ويحضره واما لانه ودشهوته ونقصان تركه واما لانه استشعر
 خوفا من نسا ولها ومكر وها لحة بسببها واما لانه ممنوع منها فان هؤلاء كلهم يعملون عمل
 الاعفاء وليسوا باعفاء على الحقيقة وانما يسمى عفيفا على الحقيقة من رضى العفة حدها
 المذكور فيما تقدم واختارها لنفسه لا لغرض آخر غيرها واما لانه افضل ففضيلة ثم تناول
 كل واحدة من شهواته بقدر الحاجة ومن الوجه الذى ينبغي وفى الوقت الذى ينبغي وعلى
 الحال الذى ينبغي وكذلك حال الذى يعمل اعمال الشجاعة وليس بشجاع وذلك ان من باشر
 الحر وبواقدم على ركوب الالهوالم لبعض ما يوصل اليه المال أو لبعض الرغبات التى لا تحدد
 كثرة فان مثل هذا يعمل عمل الشجاعة ولا يكن يعمل به بطبيعة الشره لا بطبيعة الفضيلة التى
 تدعى شجاعة وكل من كان اكثر اقداما واصبر على الالهوالم لهذه الاحوال يجب أن يكون أكثر
 شرها ونهما لا كثر شجاعة وذلك انه يخاطر بنفسه الشره وبصبر على المكارة العظيمة
 طمعا فى المال وما يوصل اليه بالمال وقد رأى نسا أهل الشقاوة يعملون عمل الاعفاء وعمل
 الشجاعة بغيرهم أبعد الناس عن كل فضيلة وذلك انهم يصبرون عن الشهوات كاههاو يصبرون
 على محبة السلطان وضرب السياط وتقطيع الاعضاء والجراحات التى لا يؤمن منها ويتبنون

فيه الى أقصى المصير على الصلب وتل العيون وقطع الايدي والارجل وضرب وب التمثيل طلب الامم وذكر بين قوم في مثل حالهم من سوء الاختيار ونقصان الفضائل * وقد يعمل أيضا عمل الشجعان من يخاف لاثمة عشرته أو عقوبة سلطان أو خوف سقوط جباهه أو ما الشجة ذلك وقد يعمل عمل الشجعان من اتفق له مرارا كثيرة أن يغلب أقرانه فهو يقدم ثقة منه بالعادة الجارية وجهلا بواقع الاتفاقات وقد يعمل عمل الشجعان العساكر وذلك أنهم يركبون الاهوال في طلب المعشوق لرغبتهم في الفجور والحرصهم على متعة العين منه لا لطلب الفضيلة ولا لاختيار الموت الجميل على الحياة الرديئة كما يفعل الشجاع بالحقيقة * واما شجاعة الاسد والذئب واشباههما من الحيوان فانما تشبه الشجاعة وليست بشجاعة حقيقة وذلك انها قد وثقت بقوتها وانما تفوق غير هاهنا تقدم لا بطبيعة الشجاعة بل لتمام القدرة وثقة النفس والغلبة وما كان منها سباعا فهو مع هذه الحال مزاج العلة في السلاح الذي عدمه وهو كهاب السلاح مننا اذا قدم على الازل وليست هذه شجاعة مع عدم الاختيار الذي يستعمله الشجاع وذلك ان الشجاع خوفه من الامر اشدهم خوفا من الموت ولذلك يختار الموت الجميل على الحياة القبيحة على ان لذة الشجاع ليست تكون في مبادئ اموره فان مبادئ الامور تكون مؤذية له لكنها تكون في عواقب الامور وتكون ايضا باقية مدة عمره وبعد عمره لا سيما اذا حاخى من دينه وعن اعتقاداته الصحيحة وحداثة الله عز وجل والشرية التي هي سياسة الله ومنته العادلة التي بها مصالح العباد في الدنيا والاخرة فان مثل هذا اذا فكر في قصر مدة عمره وعلم انه لا محالة سيموت بعد ايام ثم كان محبا للجميل تابعا على الراي الصحيح فهو لا محالة يجامى عن دينه وينزع العدو من استباحة حريمه والتغلب على مدبته وبأنف من الفرار ويعلم ان الجبان اذا اختار الفرار فاعيا يستبقى شيئا هو لا محالة فان زائل وان تأخر اياما معدودة ثم هو في هذه الحياة اليسيرة يموت مكدر الحياة بالذل وضروب الصغار وهذه حال الشجاع مع قوى نفسه اعني بمقاومة شهواته واستسلامه فان حاله تلك الحالة الاولى بعينها ومن مع كلام الامام صلوات الله عليه الذي صدره عن حقيقة الشجاعة اذ قال لا محابه ايها الناس ان لم تقتلوا وتوا والذى نفس ابن ابي طالب بيده لاف ضربته بالاسيف على الراس اهون من ميتة على الفراش تبين له ان جميع ما احصيناه لا انسان ليس بمعدود فيها وان كان يشبهها بالصورة وذلك انه ليس كل من يقدم على الاهوال فهو شجاع ولا كل من لا يخاف من الفضائح فهو شجاع وذلك ان من لا يفزع من ذهاب شرفه او فضيحة حرمه او عند حدوث الرجفات والزلازل والصواعق والزمان في الامراض او عدم الاخوان والاصدقاء وعند اضطراب البحر وهول الامواج وهو هاتج فهو بان يوصف بالبنون مرة وبالجملة مرة اولى بان يوصف بالشجاعة وكذلك من خاطر بنفسه في وقت الامن والطمأنينة بان يثب من سطح عال او يصعد من تقي صعبا او يحمل نفسه على خوض ماء غمر يروى ولا يحس السباحة او يساوج لاهل الجبال او توراصعها او فرسالم يرض من غير ضرورة ندعوه الى ذلك بل مرأاة بالشجاعة واطهار مرتبة الشجعان فهو بان يهوى مطر مداما ثاقا الى منه بان يهوى شجاعا واما من خنى نفسه خوفا من الفقر والذل او اهلكها بالاسم وما شبهه من باب الضيم فهو بان يوصف بالجبن اولى منه بان يوصف بالشجاعة وذلك

وذلك ان الاقدام وقع منه بطبيعة الجبن لا بطبيعة الشهادة فان الشجاع يصبر على ما يرد عليه من الشدة ثم يصبر اجيالا يعمل اعمالا تليق بتلك الحال كما شرعنا فيما تقدم ولذلك يجب أن يغظم الشجاع ويشرح نفسه وحقيق على السلطان خاصة والقيم بأمر الدين والملك ان ينافس فيه ويحمل قدره وعلى خطره ويميزه من سائر من ينشبه به من ذكرناه فقد تبين من جميع ما قلناه ان الشجاع هو الذي يستعين بالشدة في الامور الجميلة ويصبر على الامور الهائلة ويستخف بما يستهضمه عوام الناس حتى بالموت لا اختيار الامر الافضل ولا يحزن على ما لا يدرك فيه ولا يضطرب عندما يفدحه من المصائب ويكون غضبه اذا غضب بمقدار ما يجب وعلى من يجب وفي الوقت الذي يجب وكذلك يكون انتقامه على هذه الشروط فان الحكماء قالوا ان من لا ينتقم يلحق قلبه ذبول فاذا انتقم عاد الى حالته من النشاط وهذا الانتقام اذا كان بحسب الشهادة كان محمودا واذا لم يكن كذلك كان مذموما * فقد نقل اليوناني الاخبار الماثورة عن اقدم على سلطان قوى ورام أن ينتقم منه فأهلك نفسه من غير ان يضمر ساطانه روايات كثيرة وكذلك حال من اقدم على قرن قوى او خضع للدلايسة بطبع مقاومة فان الانتقام منه يعود وبالاعليه وزيادة في الذل والمهزلة * فاذا لم يستقم شرائط الشهادة والعفة الا للحكيم الذي يستعمل كل شيء في موضعه الخاص به وبقدر اقساط العقل له فكل شجاع عفيف حكيم وكل حكيم شجاع عفيف وهذه الحال بعينها تظهر في عمل عمل الاسخياء وليس بعضى وذلك أن من بذل أمواله في شهوراته طلبا للسمعة والرياء أو تقربا الى السلطان اولدفع مضرة عن نفسه وحرمه وأولاده وبذل المال لا يستحق من اهل الشر او الملهين أو المساخرا أو بذا لما طمع في أكثر منها على سبيل التجارة والمراحمه فكل هؤلاء يعمل عمل الاسخياء وليس بعضى أما بعضهم فيبذل ماله بطبيعة الشره وأما بعضهم فبطبيعة الطرملة والرياء وبعضهم على طريق الازداد من المال والرجح فيه وأما بعضهم فعلى سبيل التبذير وقلة المعرفة بقدر المال وهذا أكثر ما يعرض للوارث ولن لا يتعب في اكتساب المال فلا يعرف صعوبة الامر فيه وذلك ان المال صعب الاكتساب سهل الانفاق والفرقة قد شبه الحكماء من يرفع حملا ثقيلا الى قلة جبل ثم يرسله فان الامر في ترقية واصعاده صعب ولكن ارساله من هناك امر سهل والحاجة الى المال ضرورية في العيش وهو نافع في اظهار الحكمة والفضيلة ومن اكتسبه من وجهه صعب عليه وذلك ان المكاسب الجميلة قليلة ووجوهها يسيرة عند الرجل العادل الحر وأما غير العادل الحر فليس يبالى كيف اكتسبه ومن اين وصل اليه ولاجل ذلك يوجد كثير من الاحرار والفضلاء ناقص الحظ منه ويوجدون ايضا ذامين للبحث شاكين منه وأما أصدادهم فلاجل انهم يكتسبون المال من وجوه الخيانات ولا يبالون كيف وصل اليهم فانهم يوجدون أبدا وافر الحظ منه واسعى النفاق شاكرين لخبوتهم والعمامة يغبطونهم ويحسدونهم الان العاقل اذا رأى نفسه وهو يرى من المذمات نقي العرض من السوات لم يتدنس بالقيام من المكاسب ولم يتطرق اليه بخيانة ولا سرقة ولا ظلم ان هو دونه ومثله وتجذب فيه وجوه العار والفضائح كالقيادة والخذاع ونزوي السلع الفجحة على الملوك واستنزاهم عن أموالهم بالخدع والمكر ومساعدتهم على الفواحش وتقصين القبايح فيما يوافق هواهم وما يجري مجرى

ذلك من السعاية والنهيمة والغيبة وضروب الفساد التي يرتكبها طالب المال من غير وجهه
بضروب المغايبات ووجوه الظلم يسر بنفسه ويتماهى من المال الراحة والمحمدة فلا يلوم
الجنح ولا يبيغض الذول ولا يحسد اصحاب الاموال المكتسبة من غير وجوهها الجميلة فهذه
احوال المكتسبين للاموال ومنفقيها وكذلك حال من عمل عمل العدول وليس يعدل وذلك
انه اذا عدل في بعض الامور مرءاة ليصل به الى كرامة او مال او غير ذلك من الشهوات وانرض
آخرا بما هو دناء فيه اتقدم فليس هو عادلا وانما يعمل عمل العدول للعرض الذي يقصده
ويبغي ان ينسب فعله الى غرضه فنه بحسب هذا بفعل ذلك كما قلنا وشرحنا فاما العادل
بالحقيقة فهو الذي يعدل قواه وافعاله واحواله كلها حتى لا يزد يد بعضها على بعض ثم يروم
ذلك فيما هو خارج عنه من المعاملات والكرامات ويقصد في جميع ذلك فضيلة العدالة
نفسها لا غرضا اخر سواها وانما يتم له ذلك اذا كانت له هيئة نفسانية اديية تصد رغبته
افعاله كلها بحسبها ولما كانت العدالة وسطا بين اطراف وهيئة يقتدر به اعلى رد الزائد
والناقص اليه صارت اتم الفضائل واشبهها بالوحدة واعني بذلك ان الوحدة هي التي لها
الشرف الاعلى والرتبة القصوى وكل كثرة لا يضبطها معنى يوحد لها فلا تقوم لها ولا ثبات
والزيادة والنقصان والكثرة والقلة هي التي تفسد الاشياء اذا لم يكن بينها مناسبة تحفظ
عليها الاعتدال بوجه ما فالاعتدال هو الذي يرد اليها ظل الوحدة ومعناها وهو الذي
يأبى عنها شرف الوحدة ويزيل عنها ذبيلة الكثرة والتفاوت والاضطراب الذي لا يجد
ولا يضبط بالمساواة التي هي خليفة الوحدة في جميع الكثرات واشتقاق هذا
الاسم بذلك على معناه وذلك ان العدل في الاجمال والاعتدال في الاثقال والعدالة في الافعال
مشتقة من معنى المساواة والمساواة هي أشرف النسب المذكورة في صناعة الارتماطيق
ولذلك لا تنقسم ولا يوجد لها انواع وانما هي وحدة في معناها وظل للوحدة فاذا لم نجد
المساواة التي هي المثل بالحقيقة الى الكثرة عدلنا الى النسب المذكورة التي تحمل اليها وتعود
الى حقيقة ما وذلك اننا حينئذ نضطر الى ان نقول نسبة هذا الى هذا كنسبة هذا الى هذا
ولذلك لا توجد النسبة الا بين أربعة أو ثلاثة يتكرر في الوسط فتصير ايضا أربعة والنسبة
الاولى تسمى منفصلة والثانية تسمى متصلة ومثال الاولى ا ب ج دفنقول نسبة (ا) الى (ب)
كنسبة (ج) الى (د) ومثال الثانية اننا خذ الباء مشتركة فنقول نسبة (ا) الى (ب) كنسبة
(ب) الى (ج) وهذه النسبة توجد في ثلاثة اشياء وهي النسبة العددية والنسبة المساحية
والنسبة التاليفية وجميع ذلك مبين مشروح في المختصر الذي علمناه في صناعة العدد *
واما اثر النسب فراجع اليها ولذلك عظمها الاوائل واستخرجوا بها العلوم الجملة الشريفة
ولما كانت نسبة المساواة عزيزة لانها نظيرة الوحدة عدلنا الى حفظ هذه النسب الاخرى في الامور
الكثيرة التي تلابسها لانها عائدة اليها وغير خارجة عنها فنقول * ان العدالة موجودة في ثلاثة
مواضع احدها قيمة الاموال والكرامات والثاني قسمة المعاملات الارادية كالبيع والشراء
والمعاملات والثالث قسمة الاشياء التي وقع فيها ظلم وتعد * فاما العدالة في الامور التي
تكون في القسم الاول فتكون بالنسبة المنفصلة التي بين الاربعة اعني ان تكون نسبة الاول
الى الثاني كنسبة الثالث الى الرابع مثال ذلك ان يقال نسبة هذا الانسان الى هذه الكرامة

العدل بكسر
العين اه

اولى هذا المال كنسبة كل من كان في مثل مرتبته الى مثل قسطه فاذا يجب ان يوفر عليه
 ويسلم اليه * وأما في الامور التي تكون في القسم الثاني اعني المعاملات والمعاملات فيكون
 بالنسبة المنفصلة مرة واحدة بالنسبة المتصلة أخرى مثال ذلك ان نقول نسبة هذا البراز الى هذا
 الاسكاف كنسبة هذا الثوب الى هذا الخف ثم ليس يمنع مانع ان نقول نسبة البراز الى
 الاسكاف كنسبة الاسكاف الى الخبار أو نقول نسبة الثوب الى الخف كنسبة الخف الى
 الكرسي ويتبين لك من هذين المثالين ان النسبة الاولى تكون بالعمق فقط والنسبة الثانية
 تكون بالعرض والعمق جميعا اعني ان الاولى تقع بين المكايين والجزئين وهو بالعمق اشبه
 والثانية تقع بالعرض في الجزئين وقد تقع بين المكايين والجزئين أيضا وأما العدالة
 التي تقع في المظالم والامور القسومية فهي بالنسبة المساحية اشبه وذلك ان الانسان متى كان
 على نسبة من انسان آخر فابطل هذه النسبة بحيف أو ضرر يلحق به فان العدالة توجب ان
 يلحق به ضرر مثله ليعود للنسب الى ما كان عليه فالعادل من شأنه ان يساوي بين الاشياء
 الغير المتساوية مثال ذلك ان الخط اذا قسم بقدمين غير متساوين نقص من الزائد وزاد
 على الناقص حتى يحصل له التساوي ويذهب عنه معنى القلة والكثرة ومعنى الزيادة
 والنقصان وكذلك الخفة والثقل وجب مع ما شبه ذلك ولكن ينبغي ان يكون عالما بطبيعة
 الوسط حتى يمكنه ان يرد الطرفين اليه مثال ذلك الرمح والخسران فانهم ما في باب المعاملات
 طرفان أحدهما زيادة والاخر نقصان فاذا أخذ أقل مما يجب صار الى جانب النقصان وان
 أخذ أكثر مما يجب كان خارجا الى جانب الزيادة والشرعية هي التي ترسم في كل واحد من
 هذه الاشياء التوسط والاعتدال لان الناس هم مدنيون بالطبيع ولا يتم لهم عيش الا بالتعاون
 فبعضهم يجب ان يخدم بعضا ويأخذ بعضهم من بعض ويعطى بعضهم بعضا فهم يطلبون
 المكافاة المناسبة فاذا أخذ الاسكاف من الخبار عمله وأعطاه عمله فهي المماضة اذا كان العمان
 متساويين ولكن ليس يمنع مانع ان يكون عمل الواحد خيرا من عمل الآخر فيكون الدينار
 هو المقوم والمسوى بينهم فالدينار هو عدل ومتوسط لانه ساكت والانسان الناطق هو الذي
 يستعمله ويقوم به جميع الامور التي تكون بالمعاملات حتى تجرى على استقامة ونظام ومناسبة
 صحيحة عادلة ولذلك يستعان بالحاكم لذي هو عدل ناطق اذا لم يستقم الامر بين الخصمين
 بالدينار الذي هو عدل ساكت وأرسطو ليس يقول ان الدينار ناموس عادل ومعنى
 الناموس في لغته السياسة والتدبير وما أشبه ذلك فهو يقول في كتابه المعروف بشيخوخا ان
 الناموس الاكبر هو من عند الله تبارك وتعالى والحاكم ناموس ثان من قبله والدينار ناموس
 ثالث فناموس الله تعالى قدوة النواميس كلها يعنى الشريعة والحاكم الثاني مقتد به
 والدينار مقتد ثالث وانما قامت الاشياء المختلفة بالاثمان المختلفة لتصبح المشاركت
 والمعاملات ويتبين وجه الاختلاف اعطاء الدينار هو الذي يسرى بين المختلفات ويريد في
 شيء وينقص في آخر حتى يحصل بينهم الاعتدال فتستوى المعاملة بين الفلاح والتجار مثلا
 وهذا هو العدل المدني وباعدل المدني عمرت المدن وبالجزور المدني خربت المدن وليس يمنع
 مانع من ان يكون عمل يسير يساوي عملا كثيرا من اقوام يكدون بين يديه ويعملون بجوارحه
 ويعمل عملا يسيرا ويساوي نظره هذا عملا كثيرا من اقوام يكدون بين يديه ويعملون بجوارحه

وكذلك صاحب الجيش يكون تدبيره ونظره يسيرا ولسكنه يساوى أعمالا كثيرة مما يجرب
بين يديه ويعمل الاعمال الثقيلة العظيمة فالجائر يبطل التساوى وهو عند أرسطو طالع
على ثلاث منازل فالجائر الاعظم هو الذى لا يقبل الشريرة ولا يدخل تحتها والجائر الثانى
هو الذى لا يقبل قول الحماكم العادل فى معاملاته وأمره كلها والجائر الثالث هو الذى
لا يتكسب ويغتصب الاموال فيعطى نفسه أكثر مما يجب لها وغيره أقل مما يجب له قال
فالمسلم مسك بالشريرة يعمل بطبيعة المساواة فيكتسب الخير والسعادة من وجوه العدالة لان
الشريرة تاتى بالاشياء المحموده لانهم عند الله عز وجل فلا تاتى بالخير والاشياء
التي تفعل السعادة وهى ايضا تنهى عن الرذائل البدنية وتاتى بالجماعة وحفظ الترتيب
والثبات فى مصاف الجهاد وتاتى بالعمه وتنهى عن الفسوق وعن الافتراء والشم والهجر
وبالجمله تاتى بجميع الفضائل وتنهى عن جميع الرذائل فالعادل يستعمل العدالة فى ذاته
وفى شركائه المديبر والجائر يستعمل الجور فى ذاته وفى اصدقائه ثم فى جميع شركائه المدينين
قال وايست العدالة جزأ من الفضيله بل هى الفضيله كلها والجور الذى هو ضد هاجز آمن
الرذيله لكنه الرذيله كلها فبعض أنواع الجور ظاهر بفعله بالارادة مثل ما يكون فى البيع
والشراء والكفالات والقروض والحوارى وبعضها خفى بفعله ايضا بالارادة مثل السرقة
والفجور والقيامه وخداع المماليك وشهادة الزور وبعضها غشى عن سبيل التغلب مثل
التعذيب بالدهق والقيود والاغلال فالامام الحماكم العادل بالسوية يبطل هذه الانواع
ويخاف صاحب الشريرة فى حفظ المساواة فهو لا يعطى ذاته من الخيرات أكثر مما يعطى
غيره ولذلك قيل فى الخبر ان الخلافة تطهر الانسان قال فالما العامة فانها تؤهل المرتبة الامامة
التي هى الخلافة العادلة بما ذكرناه من كان شريفاً فى حسبه ونسبه وبعضهم يؤهل لذلك
من كان كثير المال * وأما العقلاء فانهم يؤهلون لذلك من كان حكيماً فاضلأفان الحكمة
والفضيله هى التي تعطى الرياسات والسيادات الحقيقية وهى التي رتبنا الثانى والاولى
مرتبتيهما وفضائليهما على سائر الناس وأسباب المضرات كلها تنفخ الى أربعة أنواع
احدها الشهوة والرذالة التابعة لها والثانى السرارة والجور والتابع لها والثالث الخطأ
وبتبعه الحزن والرابع الشقاء * اما الشهوة فانها تحمل الانسان على الاضرار بغيره الا انه
لا يكون مؤثراً له ولا ملتمذاً به ولكنه يفعل به الى شهوته وربما كان متمسكاً به كراهاله
الان قوة الشهوة تحمل على ارتكاب ما يرتكبه واما الشرير فانه يتعمد الاضرار بغيره على
سبيل الايثار له ولا لئلذابه كن يسرى الى السلطان ويحمله على ازالة النعمة لا يصل اليه من ثائى
ولكن يلتذ بالمرور الذى يصل الى غيره واما الخطأ فان صاحبه لا يقصد الاضرار بغيره
ولا يؤثره ولا يتذبه بل يقصد فعلاً ما يعرض منه فعل آخر وصاحب هذا الفل يحزن ويكتب
لما تلقى اليه من الخطأ واما الشقاء فصاحبه لا يكون مبدأً فعله ولا له فيه صنع بالقصد بل يوقعه
قيسه سبب اخر من خارج وذلك كمن تصدم به دابته صديقه فقتله فله ذابته شقيا وهو
محموم معذور لا يجب عليه عتاب ولا عقوبة واما السكران والغضبان والغيران اذا فعلوا فعلاً
قيهاً فانهم يستحقون العتاب والتقوية لان مبدأً أفعالهم اليهم وذلك ان السكران باختياره
إزالة عقله والغضبان بالغيران اخيار الانقياد بهاتين القوتين اذا حاجتا بما * ونعود الى

الهجر بضم
الهاء الفتحش
فى القول اهـ

الدهق القطع
والتعذيب
والانعاب اهـ

ما كفايته من ذكر العداة فنقول * ان ارسطوطاليس قسم العداة الى اقسام ثلاثة احدها ما يقوم به الناس لرب الماين وهو ان يجرى الانسان فيما بينه وبين الخالق عز وجل على ما ينبغي وبحسب ما يجب عليه من حقه وبقدر طاقتة وذلك ان العدل اذا كان انما هو اعطاء ما يجب من يجب كما يجب في الحال ان لا يكون لله تعالى الذي وهب لنا هذه الخيرات العظيمة واجب ينبغي ان يقوم به الناس والثاني ما يقوم به بعض الناس لبعض من اداء الحقوق وتعظيم الرؤساء وتاديب الاثامات والنصف في المعاملات والثالث ما يقوم به من حقوق اسلافهم مثل اداء الديون عنهم وانفاذ وصاياهم وما اشبه ذلك فهذا ما قاله ارسطوطاليس * واما تحقيق ما قاله مما يجب لله عز وجل وان كان ظاهرا فانا نقول فيه ما يليق بهذا الموضوع وهو ان العداة لما كانت تظهر في الاخذ والاعطاء وفي الكرامة التي ذكرناها وجب ان يكون لها اصل الينا من عطيات الخالق عز وجل ونعمه التي لا تحصى حتى يقال عليه وذلك ان من اعطى خيرا ما وان كان قليلا ثم لم ير ان يقاله بضر من المايلة فوجار فكيف به اذا اعطى جارا كثيرا واخذ اذا انما ثم لم يعط في مقابلته نية البتة ثم على قدر النعمة التي تصل الى الانسان يجب ان يكون اجتهاده في المايلة عليهم او مثال ذلك ان الملك الفاضل اذا امن العرب وبسط العدل ووسع العمارة وحسن الحريم وذبح عن الحوزة ومنع من الظلم ووفر الناس على ما يختارونه من مصالحهم ومعاشهم فقد احسن الى كل واحد من رعيته احسانا يخصه في نفسه وان كان قد عظم بالخير واستحق من كل واحد منهم ان يقاله بضر ما من المايلة متى قد عظمه كان جارا اذا كان يأخذ نعمته ولا يعطيه شيئا لكن مقابلة الملك الفاضل من رعيته انما تكون باخلاص الدعاء ونشر المحاسن وجعل الشكر وبذل الطاعة وترك المخالفة في السر والعلانية والمحبة الصادقة والائتمام بسيرته نحو استعطائه والاعتدابه في تدبير منزله واهله وولده وعشيرته فان نسبة الملك الى مدد بفته ورعيته كدسبة صاحب المنزل الى منزله واهله في لم يقابل ذلك الاحسان بهذه الطاعة والمحبة فقد جاور ظلم وهذا الظلم والجور اذا كان في مقابلة النعم الكثيرة فهو الخش واقبح وذلك ان الظلم وان كان في نفسه قبيحا فان مراتبه كثيرة لان مقابلة كل نعمة انما تكون بحسب منزلتها وموقعها وبقدر ثباتها وعائدها وعلى مقدار عدها فان كانت النعم كثيرة العدد وعظيمة الموقع فكيف يكون حال من لا يلزم لها حقا ولا يرى عليها مقابلة بطاعة ولا شكر ولا محبة صادقة ولا مساهمة الحمة فاذا كان هذا مرفا غير منكر وواجبا غير مجعور في سلوكنا ورؤسائنا فكم بالحري ان يكون ملك الملوك الذي يصل اليه في كل طرفه عين ضرور احسانه الفاضل على اجسامنا ونفوسنا التي لا يقع عاينها احصاء ولا عدد من الحقوق الواجب علينا القيام بها والنهوض بتأديتها * أترانا نجعل النعمة الاولى علينا بالوجود ثم تتابعها متواترة بعد ذلك بالخلق الجسداني الذي أفنى فيه صاحب كتابي التشرع ومنافع الاعضاء ألف ورقة ثم يليها بعض ما عليه كنه الامر أترانا نجعل ما وهب لنا من نفوسنا وما ركب فيها من القوى والملاسل التي لا نهاية لها وما أمدها به من فيض العقل ونوره وبها نيه وبركانه وما مرضنا به للملك الابدي والنعيم السرمدي (لا) لعمري ما نجعل هذه النعمة الا النعم فاما الانسان فيعرف من ذلك ما يضطره اليه مشاهدة احواله في جميع اوقاته * واذا كان الخالق تعالى غنيا عن معونتنا وساعينا نحن المحال القبيح والجور الفاحش أن نلتزم نحن له حقا

العرب بالسكس
النفس اه

ولا نقابلها على هذه الآلة والنعم بما يزيل عننا سوء الجور والخراب جز من شريرة العدل الا ان أرسطوطاليس لم ينص في هذا الموضع على العبادة التي يجب ان نلتزمها لخلقنا عز وجل غير انه قال ما هذه كايته * وقد اختلفت الناس فيما ينبغي ان يقوم به المخلوقون لخلقهم فبعضهم رأى انه صلوات وصيام وخدمة هيكل وصلوات وقرابين وبعضهم رأى ان يقتصر على الاقرار برؤيته والاعتراف باحسانه وتحميده بحسب استطاعته وبعضهم رأى ان يتقرب اليه بان يحسن الى نفسه بتركه ما يحسن سببها والاحسان الى المستحقين من اهل نوعه بالمواساة ثم بالحكمة والموعظة وبعضهم رأى ان الله سبحانه بالفضل والفكر في الالهيات والتصرف نحو المحاولات التي يتزايد بها الانسان من معرفة به عز وجل حتى تتكامل معرفته به وبحقائقه وحدانيته وصرف الوكيل اليه هو ما يجب على الانسان لخلق الله وبعضهم رأى ان الواجب للرب جل ذكره على الناس ليس سبيله واحد ولا هو شي بعينه بل تزمه الجبج البت ما واحد او على مثال واحد لكنه يختلف بحسب اختلاف طبقات الناس ومراتبهم من العلم فهذا ما قاله أرسطوطاليس بالفاظه المدة ولة الى العربية * وأما الحديث من الفلاسفة فانهم قالوا لعبادة الله عز وجل على ثلاثة أنواع أحدها فيما يجب له على الايدان كالصلوات والصيام والسعي الى الموافق الشريفة لمناجاة الله عز وجل والثاني فيما يجب له على النفوس كالاعتقادات الصحيحة وكما علم بتوحيد الله عزاءه وما به تحققة من الثناء والتحميد وكالفكر فيما افاضه على العالم من جوده وحكمته ثم الاتساع في هذه المعارف والثالث فيما يجب له عند مشاركان الناس في المذنب وهي المعاملات والممارعات والمناكح وفي تادية الامانات مع نصيحة البعض للبعض بضرب المعارف وعند جهاد الاعداء والذب عن الحرم وحماية الحوزة قالوا فهذه هي العبادات وهي الطرق المؤدية الى الله عز وجل وهذه الانواع وان كانت معدودة ومحصورة فانها منقسمة الى انواع كثيرة وافسام غير محصورة والانسان مقامات وتمازلات عند الله عز وجل فالمقام الاول للوقفة بين وهو رتبة الحكمة واجلة العلماء والمقام الثاني مقام المحسنين وهو رتبة الذين يعملون بما يعلمون وهو ما ذكرناه في كتابنا هذا من الفضائل والعدل بها والمقام الثالث مقام الابرار وهو رتبة المصلحين وهو لا هم خلفاء الله بالحقيقة في اصلاح العباد والبلاد والمقام الرابع مقام الهائزين وهو رتبة المخلصين في المحبة واليهات تنتمي رتبة الاتحاد وليس بعدها منزلة ولا مقام للمخلوق ويسعد الانسان بهذه المنازل اذا حصلت له اربع خلال اولها الحرص والنشاط والثاني العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية والثالث الحياء من الجهل ونقصان القرينة الذين يحدثن بالاهمال والرابع لزوم هذه الفضائل والترقي فيها دائما بحسب الاستطاعة فهذه اسباب الاتصال وهي انقطاعات عن الله عز وجل ومساقط وهي التي تعرف بالامساك فالهال السقوط الذي يستحق به الاعراض وتبعية الاستهانة والثاني السقوط الذي يستحق به الخراب وتبعية الاستهفاف والثالث السقوط الذي يستحق به العار وتبعية المقت والرابع السقوط الذي يستحق به الخساسة وتبعية البعض وانما يشفي العبد اذا حصل على اربع خلال اولها السكسل والبطالة وتبعية ما شيع الزمان وفناء العمر بغير فائدة انسانية والثاني الغباوة والجهل المتولدان عن ترك النظر وباطنة النفس بالاعمال التي أحدها في كتاب مراتب السعادات والثالث

الوفاة التي ينفجها همال النفس اذا تنجعت الشهوات وترك زمها عن ركوب الخطايا والسيئات والرابع الانهمالك الذي يحدث من الاستمرار في القبايح وترك الانابة وهذه الانواع الاربعة مسمية في الشريعة باربعة اسماء فالاول هو الزبع والثاني هو الرين والثالث هو الغشاة والرابع هو الختم ولكل واحدة من هذه الشقاوات علاج خاص سنذكره عند مدواها اسقام النفس حتى تعود الى الصحة باذن الله عز وجل وهذه الاشياء التي عدناها الان لا خلاف بين الحكماء فيها وبين اصحاب الشرائع وانما تختلف بالعبارات والاشارات اليها بحسب اللغات وافلاطون يقول ان العدالة اذا حصلت للانسان اشرف بها كل واحد من اجزاء النفس من كل واحدة منها وذلك لحصول فضائها اجمع فيها خيفة تذبذب النفس فتؤدي فعلها الخاص بها على افضل ما يكون وهو غاية قرب الانسان السعيد من الاله تقدس اسمه * قال والعدالة توسط ليس على جهة التوسط الذي في الفضائل التي تقدم ذكرها لكن لانها في الوسط والجور في الطرفين وانما صار الجور في الطرفين لانه زيادة وتقصان وذلك ان من شأن الجور طلب الزيادة والتقصان معا اما الزيادة فمن النافع على الاطلاق واما التقصان فمن الضار فذلك يكون الجائر مستعملا للزيادة والتقصان اما لنفسه فيستعمل الزيادة في النافع واما لغيره فيستعمل التقصان منه واما في الضار فبالضد وعلى العكس وذلك انه اما لنفسه فيستعمل التقصان واما لغيره فيستعمل الزيادة والفضائل التي قلنا انها اوساط بين الرذائل وهي غايات ونهايات وذلك أن الوسط ههنا نهاية لها من كل جهة فهو في غاية البعد منها ولذلك متى بعد عن الوسط زيادة بعد قرب من رذيلة كما قلنا فيم تقدم فقد تبين من جميع ما قدمنا ان الفضائل كلها اعتدالات وان العدالة اسم يسميها ويعمها كلها وان الشريعة لما كانت تقدر الافعال الارادية التي تقع بالروية بالوضع الالهي صار المتمسك بها في معالاته عدلا والمخالف لها جائرا فهاذا قلنا ان العدالة لقب للمتمسك بالشريعة الا اننا قد قلنا مع ذلك انها هيئة نفسانية تصدر عنها هذه الفضيلة فتصور هذه الهيئة النفسانية فانك ستري رؤية واضحة ان صاحبها ينقاد ولا محالة للثمة طوعا ولا يضادها بنوع من انواع التضاد وذلك انه اذا حافظ على المناسبات التي ذكرناها الاتهاما وادأثرها بعد اجالة الرأي فيها على سبيل الاختيار لها والرغبة فيها وجب عليه موافقة الشريعة وترك مخالفتها واقل ما يكون المساواة بين اثنين ولكنهما تكون في معاملة مشتركة بينهما وهو الشيء الثالث ورمما كان شيئين كما قلنا فتصير المناسبات كما بينا بين اربعة اشياء وينبغي ان العلم ان هذه الهيئة النفسانية هي غير الفعل وغير المعرفة وغير القوة اما الفعل فلاننا قد بينا أنه قد يقع على غير هيئة نفسانية كعمل اعمال العدالة وليس بمعدل وكس يعمل اعمال الشجاعة وليس بشجاع واما القوة والمعرفة فلان كل واحدة منهما هي بعينها للضدين معا فان العلم بالضدين واحد وكذلك القوة على الضدين قوة واحدة واما الهيئة القابلة لاحد الضدين فهي غير الهيئة القابلة للضد الاخر ومثال ذلك هيئة الشجاعة فانها غير هيئة الجبن وكذلك هيئة العفة غير هيئة الشره وهيئة العدالة غير هيئة الجور ثم ان العدالة والخيرية يشتركان في باب المعاملات والاخذ والاعطاء لان العدالة تقع في اكتساب المال على الشرائط التي قدمنا القول فيها والخيرية تقع في انفاق المال على الشرائط التي ذكرناها

ايضا ومن شأن من يكتسب ان يأخذ فهو بالمنفعل اشبهه ومن شأن المنفق ان يعطى فهو بالفاغل اشبهه فلهذه العلة تكون محبة الناس للخير اشد من محبتهم له عادل الا ان نظام العالم بالعدالة اكثر منه بالخيرية وخاصة الفضيلة هي في فعل الخير لا في ترك الشر وخاصة محبة الناس وحدهم في بذل المعروف لا في جمع المال فالخير لا يكرم المال ولا يجمعه لذاته بل بصره في وجوهه التي يكتسب بها المحبات والمحامد ومن خاصة الخير ان لا يكون كثير المال لانه منافق ولا يكون ايضا فقيرا لانه كسوب من حيث ينبغي وهو غير متكاسل عن الكسب البتة لانه بالمال يصل الى فضيلة الخير ولذا لا يضيع المال ولا يستعمل فيه التبذير ولا يسهى ايضا فلا يستعمل النقطة في كل خير عادل وليس كل عادل خيرا

وفي هذا الموضوع مسألة عويصة سال عنها الحكماء انفسهم واجابوا عن اجاب مقنع ويمكن ان يجاب فيها بجواب آخر هو اشد اقناعا وجوابا نذرا للجميع وهو ان لشك ان يشك فيقول اذا كانت العدالة فملاختيار يايتعاطاه العادل ويقصده به تحصيل الفضيلة لنفسه والمحمدة من الناس فيجب ان يكون الجور فملاختيار يايتعاطاه الجائر ويقصده به تحصيل الرذيلة لنفسه ومذمة الناس ومن القبيح الشنيع ان يظن بالانسان العاقل انه يقصد اضرار بنفسه بعدالو به وعلى سبيل الاختيار * ثم اجابوا عن ذلك وحلوا هذا الشك بان قالوا ان من ارتكب فعلا يؤديه الى ضرر أو عذاب فانه يكون ظالما لنفسه وضارا للهامن حيث يقدر انه ينفعه او ذلك اسوء اختياره وترك مشاوره العقل فيه * ومثال ذلك الحاسد فانه ربما جنى على نفسه لاعلى سبيل ايشار الاضرار به بل لانه يظن انه ينفعه في العاجل بالخلاص من الاذى الذي يلحقه من الحسد هذا جواب القوم * واما الجواب الآخر فهو ان الانسان لما كان ذا قوى كثيرة يسمى بمجموعها انسانا واحدا لم ينكر ان تصدر عنه أفعال مختلفة بحسب تلك القوى وانما المنكر ان يكون الشيء الواحد البسيط ذو القوة الواحدة تقع منه بتلك القوة أفعال مختلفة لا بحسب الآلات المختلفة ولا بقدر القابلات منه بل بتلك القوة الواحدة فقط فهذا العمري منك شنيع ولكن الانسان قد تبين من حاله ان له قوى كثيرة فيعمل بكل قوة عملا مخالفا للعمل بالآخرى اعني ان صاحب الغضب اذا استشاط يختار افعالا مخالفة لافعاله اذا كان ساكنا وادعا وكذلك صاحب الشهوة الهاشجة وصاحب الشهوة الطروب فان من شأن هؤلاء ان يستخدما العقل الشريف في تلك الاحوال ولا يستشيرونه ولذلك تجدد العاقل اذا تغيرت احواله تلك فصار من الغضب الى الرضا ومن السكر الى الافاقة تذهب من نفسه وقال ليت شعري كيف اخترت تلك الافعال القبيحة وياحقه الندم وانما ذلك لان القوة التي تهيجه تدهوه الى ارتكاب فعل يظنه في تلك الحال صالحا له جديلا به لنتم له حركة القوة الهاشجة فاذا سكن عنها وراجع عقله رأى قبح ذلك الفعل وفساده وقوى الانسان التي تدعوه الى ضروب الشهوات ومحبة الكرامات وان كان لا يسهقها كثيرة جدا فهو بحسب قواه الكثيرة تكون افعاله كثيرة فاذا تعود الانسان ان تكون سيرته فاضلة ولم يقدم على شيء من افعاله الا بعد مطالعة العقل الصريح وبعد مراعاة الشريعة القويمة كانت افعاله كلها منتظمة غير مختلفة ولا خارجة عن سنن الهدى اعني المساواة انني قد لنا اقول

الوادع والوديع
المطمئن اه

فيهما لهذا السبب قلنا ان السعيد هو من اتفق له في صباه ان يانس بالنشر ويعتقو به تسليم لها
و يتعود جميع ما تأمر به حتى اذا بلغ المبالغ الذي يمكنه به ان يعرف الاسباب والعلل طالع
الحكمة فوجددها وافقة لما تقدمت عادته به فاستحكم رايه وقويت بصيرته ونفذت
عزمته

وهنا مسألة عويصة أشد من الاولى وهوان التفضل شيء محمود جدا وليس يقع تحت العدالة
لان العدالة كما ذكرنا مساواة والتفضل زيادة وقد حكمنا ان العدالة تجمع القضايل كلها ولا
يزيد عليها بل يجب ان تكون الزيادة عليها مذمومة كما ان النقصان عنها مذموم ليكون
شرف الوسط الذي تقدم وصفه في سائر الاخلاق خالصا للعدالة * فالجواب نعم ان التفضل
احتياط يقع من صاحبه في العدالة لئلا من به وقوع النقص في شيء من شرائطها وليس الوسط
في كلا الطرفين من الاخلاق على شريطة واحدة وذلك ان الزيادة في باب البهلاء اذا لم تخرج
الى باب التبذير أحسن من النقصان فيه واشبه بالمحافظة على شرائطه فتصير كالاحتياط
فيه والاخذ بالحزم فيه وأما العفة فان النقصان من الوسط فيها أحسن من الزيادة عليه واشبه
بالمحافظة على شرائطه وابعث في الاحتياط عليه وأخذ الحزم فيه ومع ذلك فليس يستعمل
التفضل الا حيث تستعمل العدالة واعني بذلك ان من اعطى ماله من لا يستحق شيئا
منه وتركه مواسة من يستحقه لا يسمى متفضلا بل مضيعا وانما يكون متفضلا اذا اعطى من
يستحق كل ما يستحق ثم زاده تفضلا وهذه الزيادة ليست من الزيادة التي ذكرناها في باب
البهلاء لان تلك الزيادة ذهاب الى الطرف الذي يسمى تبذيرا وهو مذموم ويعرف ذلك من
حدده وهو بذل ما لا ينبغي كما لا ينبغي في الوقت الذي لا ينبغي فاذا التفضل غير خارج عن شرط
العدالة بل هو احتياط فيها ولذلك قيل ان المتفضل أشرف من العادل * فقد بان ان التفضل
ليس غير العدالة بل هو العدالة مع الاحتياط فيها وكانه مبالغة لا يخرجها عن مناها لان
هذه الهيئة النفسانية ليست غير تلك الهيئة بل هي هي * فأما الاطراف التي هي رذائل أعني
الزيادة والنقصان التي سبق القول فيهما فهي كلها هيئات مذمومة غير الهيئات المحمودة
وحدود هذه الاشياء هي التي تحصل لك معانيها ومشاركة بعضها البعض ومباينة بعضها البعض
واضافان الشريعة تأمر بالعدالة أمرا كلياً وليست تهيئ الى الجزئيات واعني بذلك ان العدالة
التي هي المساواة تكون مرة في باب الكم ومرة في باب الكيف وفي سائر المقولات وبيان ذلك ان
نسبة الماء الى الهواء مثلا ليست تكون بالكمية بل بالكيفية ولو كانت بالكمية لوجب ان يكونا
عقساو بين في المساحة ولو كانا كذلك لتغالبسا وأحال احدهما الاخر الى ذاته وكذلك النار
والهواء ولو اختلفت هذه العناصر بعضها ببعض الفنى العالم في اوحى مدة ولكن الباري قدس اسمه
عدل بين هذه بالقوة فتقاومت فليس يغلب احدهما الاخر بالسلبية وانما يحيل الجزء
منها الجزء في الاطراف أعني حيث تلتقي نهاياتهما وأما كليتهما فلا تقدرا على كليتهما لان
قواهما متساوية متعادلة على غاية التسوية والتعادل وهذا النوع من العدل قيل بالعدل قامت
السموات والارض ولورج احدهما على الاخر بزيادة يسيرة قوة لا حال الزائد الناقص وقوى
عليه فبطل العالم فسيهان القاسم بالقسط لا اله الا هو * ولما كانت الشريعة تأمر بالعدالة
الكاملة لم تأمر بالتفضل المحكي بل نذرت اليه نذبا يستعمل في الجزئيات التي لا يمكن ان

من عليها الا انها بلاتمهاية وجزمت القول في العدالة الكلية لانها محصورة ويمكن ان تعين عليها
 وقد تبين ايضا ما قدمنا ان التفضل انما يكون في العدالة التي تخص الانسان في نفسه اعني
 تسوية المعاملة او اولا في ما بينه وبين غيره ثم الاستظهار فيه والاحتياط عليه بما يكون
 تفضلا ولو كان حاكما بين قوم ولا نصيب له في تلك الحكومة لم يحزله التفضل ولم يسعه الا
 العدل المحض والتسوية الصحيحة بلا زيادة ولا نقصان وتبين ايضا ان الهبة التي تصدر عنها
 الافعال العادلة متى نسبت الى صاحب اسميت فضيلة واذا نسبت الى من يعامل بها سميت
 عدالة واذا اعتبرت بذاتها سميت ملكة نفسانية فاستدمال المرء العاقل العدل على نفسه
 اول ما يترجمه ويجب عليه وقد ذكرنا فيما تقدم كيف يفعل ذلك و بينا كيف يعدل قواه
 الكثيرة اذا هاج به بعضها واثرنا الى اجناس هذه القوى الكثيرة وان بعضها يكون بالشهوات
 المختلفة وببعضها يطلب الكرامات الكثيرة وانها اذا تغالبت وتهايجت حدث في الانسان
 اضطراب في انواع الشر وجذبه كل واحدة منها الى ما يوافقها وهكذا سبيل كل مركب من
 كثرة اذا لم يكن لها رئيس واحد ينظمها ويوحدتها و ارسطو طالع ليس يشبهه من كان كذلك بمن
 يجذب من جهات كثيرة فيقطع بينه ما وينشق بحسب تلك الجهات وقواها وليس ينظم هذه
 الكثرة التي ركب الانسان منها الا الرئيس الواحد وهو هو له من الفطرة اعني العقل الذي به
 غير من الهائم وهو خليفة الله عز وجل عنده فان هذه القوى كلها اذا اساسها العقل انتظمت
 وزال عنها سوء النظام الذي يحدث من الكثرة وجبى ما ذكرنا من اصلاح الاخلاق مبني
 عليه فاذا تم للانسان ذلك اعني ان يعدل على نفسه واحرز هذه الفضيلة فقد لزمه ان يعدل
 على اصدقائه واهله وعشيرته ثم ان يستعمله في الاباعد وسائر الحيوان واذا قد صح ذلك وظهر
 ظهورا حسيا فقد ظهر بظهوره ارشده الناس من جاره على نفسه ثم على اصدقائه وعشيرته ثم
 على كافة الناس والحيوان لان العلم بأحد الضدين هو العلم بالضد الاخر فخير الناس
 العادل وشرهم الجائر كما تبين ذلك * وقد ادعى قوم ان نظام امر الموجودات كلها وصلاح
 احوالها معلى بالمحبة وقالوا ان الانسان انما اضطرا الى اقتناء هذه الفضيلة اعني الهبة التي
 تصدر عنها العدالة عند تعاطي المعاملات لما فاته شرف المحبة ولو كان المتعاملون احباء
 لتناصفوا ولم يقع بينهم خلاف وذلك ان الصديق يحب صديقه ويريد له ما يريد لنفسه وليس
 يتم الثقة والتعاضد والتوازر الا بين المتحابين واذا تعاضدوا وجمعتهم المحبة وصلوا الى جميع
 المحبوبات ولم تتعذر عليهم المطالب وان كانت صعبة شديدة وحينة لم يذنبوا لاراء الصائبة
 وتعاون العقول على استخراج الغوامض من التدابير القوية ويتقون على نيل الخيرات
 كلها بالتعاضد وهؤلاء القوم انما ينظرون الى الفضيلة التآحد التي تحصل بين الكثرة ولعمري
 انها اشرف غايات اهل المدينة وذلك انهم اذا تعاضدوا وصلوا وادرك كل واحد منهم لصاحبه
 مثل ما يريد لنفسه فتصير القوى الكثيرة واحدة ولم يتعذر على احد منهم رأى صحيح ولا فعل
 صواب ويكون مثاهم في جميع ما يحبا ولونه مثل من يريد تحريك ثقل عظيم بنفسه فلا يطبق
 ذلك فان استطاع بقوة غيره حركه ومدبر المدينة انما يقصد بجميع تدابيرها ايقاع المودات
 بين اهلها واذا تم هذا خاصة فقد تمت له جميع الخيرات التي تتعذر عليه وحده وعلى افراد
 اهل مدينته وحينئذ يطلب اقرانه ويعمر بالذات به يش هو ورعيته مغبوطين وليكن هذا

التأخذ المطلوب بهذه المحبة المرغوب فيها لا يتم الا بالآراء الصحيحة التي يرجى الاتفاق من العقول السليمة عليها والاعتقادات القوية التي لا تحصل الا بالديانات التي يقصدها وجه الله عز وجل واصناف المحبات كثيرة وان كانت ترتقي كلها الى وجه واحد وسنقول فيها بمجموعة الله ما يرفع فيما يتلو هذه المقالة ان شاء الله تمت المقالة الرابعة

في المقالة الخامسة

قد سبق القول في حاجة بعض الناس الى بعض وتبين أن كل واحد منهم يجد تمامه عند صاحبه وان الضرورة داعية الى استعانة بعضهم ببعض لان الناس مطبوعون على النقصانات ومضطرون الى تماماتها ولا يبدل لانفرادهم والواحد فالواحد منهم الى تحصيل تمامه بنفسه كما شرحناه فيما مضى فالحاجة صادقة والضرورة داعية الى حال تجمع وتألف بين اشخاص الاشخاص بصير وبالاتفاق والاتلاف كالشخص الواحد الذي تجتمع اعضاءه كلها على الفعل الواحد النافع له (وللمحبة انواع) واسبابها تكون بعدد انواعها فاحد انواعها ما ينقدس بهما ويخل سر بهما والثاني ما ينقدس بهما ويخل بطبيئها والثالث ما ينقد بطبيئها ويخل سر بهما والرابع ما ينقد بطبيئها ويخل بطبيئها وانما انقسمت الى هذه الانواع فقط لان مقاصد الناس في مطالبهم وسيرهم ثلاثة ويتركب منها اربع وهي اللذة والخير والنافع والتركب منها واذا كانت هذه غايات الناس في مقاصدهم فلا محالة أنها اسباب المحبة من عاون عليها وصار سببا للوصول اليها فاما المحبة التي يكون سببها اللذة فهي التي تنقدس بهما وتخل سر بهما وذلك ان اللذة سر يعة التغير كما شرعنا امرها فيما تقدم واما المحبة التي سببها الخير فهي التي تنقدس بهما وتخل سر بهما وتخل بطبيئها فاما المحبة التي سببها النافع فهي التي تنقد بطبيئها وتخل سر بهما واما التي تتركب من هذه اذا كان فيها الخير فانها تخل بطبيئها وتنقد بطبيئها وهذه المحبات كلها تحدث بين الناس خاصة لانها تكون بارادة وروية وتكون فيها مجازاة ومكافأة فاما التي تكون بين الحيوانات غير الناطقة فالأخرى بها ان تسمى الفاتحة بين الاشكال منها خاصة واما التي لا نفوس لها من الاجزاء واما لها فليس يوجد فيها الا الميل الطبيعى الى مراكرها التي تخصها وقد يوجد ايضا بينها منافع ومساكنة بحسب امر حاجتهم للحادثة فيها من عناصرها الاولى وهذه الامثلة كثيرة واذا وقع منها شيء يتناسب نسبة التأليفية او عددية او مساحبة حدث بينها ضرب من المشاكلة واذا كان تضاد هذه النسب حدثت بينهما منافرة وتحدث لها اشياء تسمى خواص وهي فعال بدبعة وهي التي تسمى امرار الطبائع ولا سيما في النسب التأليفية فانها أكثر في النسب بقدر نسبة المساواة ولها تضاد أعنى هذه النسب وهي مبنية مشروحة في صناعة الارتماطيقى ثم في صناعة التأليف واما الامثلة التي يحسب هذه النسب فهي خفية عنا وعمر المرام وقد ادعى قوم الوصول اليها وليس تكون هذه الافعال والخواص التي تحدث بين الامثلة من النسب المذكورة موجودة في العناصر أنفسها والكلام فيها خارج عن غرضنا وانما ذكرناها هنا لانها تشبه المشاكلة والمنافرات التي بين الحيوان في الظاهر والنسبة التي تحدث بين الناس بالارادة وهي التي نكلم فيها ويقع فيها مكافأة ومجازاة والصداقة نوع من المحبة الا انها اخص منها وهي المودة بعينها وليس يمكن ان تقع بين جماعة كثيرين كاتمة المحبة

واما العشق فهو اقراط المحبة وهو اخص من المودة وذلك انه لا يمكن ان يقع الا بين اثنين فقط ولا يقع في النافع ولا في المربى من النافع وغيره وانما يقع لمحبة اللذة باقراط ومحبة الخير باقراط واحدهما مذموم والاخر محمود * فالصدقة بين الاحداث ومن كان في مثل طباعهم انما تحدث لاجل اللذة فهم يتصادقون سرعاً وينقطعون سرعاً وبما اتفق ذلك بينهم في الزمان القليل مرارا كثيرة وربما بقيت بقدر ثقتهم ببقاء اللذة ومعاودتها حالاً بعد حال فاذا انقطعت هذه الثقة بمعاودتها انقطعت الصدقة بالوقت وفي الحال * والصدقة من المشايخ ومن كان في مثل طباعهم انما تقع لمكان المنفعة فهم يتصادقون بسببها فاذا كانت المنافع مشتركة بينهم وهي في الاكثر طويلاً المدة كانت الصدقة بينهم باقية فحين تنقطع علاقة المنفعة بينهم وينقطع رجاءهم من المنفعة المشتركة تنقطع موداتهم * والصدقة بين الاخيار تكون لاجل الخير وسببها هو الخير ولما كان الخير شيئاً ثابتاً غير متغير الذات صارت مودات اصحابه باقية غير متغيرة وايضاً لما كان الانسان مركباً من طبائع متضادة صار ميل كل واحد منهم يخالف ميل الآخر فاللذة التي توافق احداً تتخالف للذة الاخرى التي تضادها فلا تخلص له لذة غير مشوبة بأذى ولما كان فيه ايضاً جوهر اخر بسيط الهى غير مختلط بشئ من الطبائع الاخر صارت له لذة غير مشابهة لشئ من تلك الذات وذلك انما بسيطةً ابصاراً والمحبة التي سببها هذه اللذة هي التي تفرط حتى تصير هشقة تاماً خالصاً شبيهاً بالوله وهي المحبة الالهية الموصوفة التي يدعيها بعض المتألهين وهي التي يقول بها آرسطو طوطا ليس حكاية من ابرق بطن ان الاشياء المختلفة لا تتشاكل ولا يكون منها تاليف جيد وأما الاشياء المتشاكله وهي التي يشرب بعضها ببعض ويشتهق بعضها الى بعض فاقول ان الجواهر البسيطة اذا تشاكلت واشتهقت بعضها الى بعض تالفت واذا تالفت صارت شيئاً واحداً ولا غيرية بينهما الا غيرية انما تحدث من جهة الهيولى وأما الاشياء ذوات الهيولى وهي الاجرام فانها وان اشتاقت بنوع من الشوق الى التاليف فانها لا تتحد ولا يمكن ذلك فيها وذلك انها تلتقي بنهاياتها سطوحها دون ذواتها وهذا الالتقاء مع بعض الانفصال اذ كان اتماً فيه متمتعاً وانما تتأحد بنحو استطاعتها اعني ملاقاته سطوحها * فاذا الجوهر الالهى الذي في الانسان اذا صفا من كدورته التي حصلت فيه من ملاسمة الطبيعة ولم تجذبه أنواع الشهوات وأصناف محبات الكرامات اشتاق الى شبيهه ورأى بعين عقله الخير الاول المحض الذي لا تشوبه بمادة ماسرع اليه وحينئذ يغيب نور ذلك الخير الاول عليه فيلنذب به لذة تشبهها اللذة ويصير الى معنى الاتحاد الذي وصفناه استعمل الطبيعة البدنية أم لم يستعملها الا انه بعد مقارنته الطبيعة بالكلية أحق به هذه الرتبة العالية لانه ليس يصفو الصفاء التام الا بعد مفارقتها الحياة الدنيوية ومن فضائل هذه المحبة الالهية انها لا تقبل النقصان ولا تقدر على السعاية ولا يعترض عليها الملك ولا تكون الا بين الاخيار فقط واما المحبات التي تكون بسبب المنفعة واللذة فقد تكون بين الاشرار وبين الاخيار والاشرار الا انها تنقض وتخلل مع تقضى النافع والذيد لانها عرضية وكثيراً ما تحدث بالاجتماعات في المواضع الغريبة الا انها تزول بزوال المواضع كالفنية وما جرى مجراها والسبب في هذه المحبة الانس وفلك ان الانسان أنس بالطبع وليس بوحش ولا نفور ومثله اشتق اسم الانسان في اللغة العربية وقد تبين ذلك في

فان هذا الشاعر ظن ان الانسان مشتق من النسيان وهو غلط منه وبقبي ان يعلم ان هذا
الانس الطبيعي في الانسان هو الذي ينبغي ان نحرم عليه ونكتبه مع أبناء جنسنا حتى
لا يفوتنا جهلنا واستطاعتنا فانه مبدأ المحبات كلها وانما وضع للناس بالشرعية وبالعادة الجميلة
اتخاذ الدعوات والاجتماع في المآدب ليحصل لهم هذا الانس ولعل الشرعية انما
أوجبت على الناس ان يجتمعوا في مساجدهم كل يوم خمس مرات وفضلت صلاة الجماعة
على صلاة الآحاد ليحصل لهم هذا الانس الطبيعي الذي هو فيهم بالقوة حتى يخرج الى الفعل
ثم تتأ كد بالاعتقادات الصحيحة التي تجمعهم وهذا الاجتماع في كل يوم ليس بتعذر على
أهل كل محلة وسكة والدليل على ان غرض صاحب الشريعة ما ذكرناه انه أوجب على أهل
المدينة بأسرها ان يجتمعوا في كل أسبوع يوما يعينه في مسجد يسعهم ليجتمع أيضا أهل
الحمال والسكك في كل اسبوع كما اجتمع شمل أهل الدور والمنازل في كل يوم ثم أوجب أيضا
ان يجتمع أهل المدينة مع أهل القرى والرساتيق المتقار بين في كل سنة مرتين في مهلى
بارزين مصهرين ليسعهم المكان ويتجدد الانس بين كافةهم وتسلمهم المحبة الناطقة
لهم ثم أوجب بعد ذلك ان يجتمعوا في العمرة مرة واحدة في الموضع المقدس بمكة ولم يعين
من العمر على وقت مخصوص ليتسع لهم الزمان وليجتمع أهل المدن المتباعدة كما اجتمع
أهل المدينة الواحدة وبصير حالهم في الانس والمحبة وشمول الخير والسعادة كحال المجتمعين
في كل سنة وفي كل اسبوع وفي كل يوم فيجتمعوا بذلك الانس الطبيعي الى الخيرات
المشتركة وتتجدد بينهم محبة الشريعة وليكبروا لله على ما هداهم ويفتبطوا بالدين
القوم القيم الذي الفهم على تقوى الله وطاعته * والقائم بحفظ هذه السنة وغيره من
وظائف الشرع حتى لا تزول عن اوضاعها والامام وصناعته هي صناعة الملك والادائل
لا يسمون بالملك الام حرس الدين وقام بحفظ مراتبه واورامه وزواجره وامان امرض
عن ذلك فيسومونه متغلبا ولا يؤهلونه لاهم الملك وذلك ان الدين هو وضع الهى يسوق الناس
باختيارهم الى السعادة القصوى والملك هو حارس هذا الوضع الهى حافظ على الناس
ما اخذوا به * وقد قال حكيم الفرس وملكهم اردشير ان الدين والملك اخوان توأمان لا يتم
احدهما الا بالآخر فالدين انس والملك حارس وكل مالا لاه فهدوم وكل مالا حارس له
فضائع ولذلك حكم ما على الحارس الذي نصب للدين ان يتيقظ في موضعه ويحكم صناعته
ولا يباشر امره بالهوى ولا يشتغل بلذته فخصه ولا يطالب الكرامة والغلبة الام وجهه افانه
متى اغفل شيئان حدوده دخل عليه من هنالك الخلل والوهن وحينئذ تبدل اوضاع الدين
ويجد الناس رخسة في شهواتهم ويكثر من يساعدهم فتقلب هيئة السعادة الى ضررها
ويحدث بينهم الاختلاف والتباغض فاداهم ذلك الى الشتنان والفرقة وبطل العرض
الشرىف وانقض النظام الذي طالبه صاحب الشرع بالاوضاع الالهية فاحتج حينئذ
الى تجديد الامر واستئناف التدبير وطالب الامام الحق والملك العدل (ونعود الى ذكر اجناس
المحبات واسبابها فقول) ان هذه الاسباب كلها ما خلا المحبة الالهية اذا كانت مشتركة
بين المتحابين وواحدة يعينه جاز في الشبهتين ان ينعقد امرهما ويخلصا وما جاز ايضا ان يبي

أحدها ويصل الآخر مثال ذلك أن اللذات المشتركة بين الرجل والمرأة هي سبب المحبة بينهما
فقد يجوز أن يجتمع المحبتان لأن السبب واحد وهى اللذة وقد يجوز أن تنقطع أحدهما
وتبقى الأخرى وذلك أن اللذة تتغير ولا تكاثر ثبتت كما تقدم وصفها فقد يجوز أن يتغير
بسبب إحدى المحبتين ويثبت الآخر وإضافاً بين الرجل وبين زوجته خيرات مشتركة
وهى منافع مختلفة وهما يتعاونان عليهما على الخيرات الخبار جسة عنها وهى الأسباب التى
تعمل بها المنازل فالمرأة تنتظر من زوجها تلك الخيرات لأنه هو الذى يكتبها ويحضرها وأما
الرجل فإنه ينتظر من زوجته ضبط تلك الخيرات لأنها هى التى تحفظها وتدبرها تشعر ولا
تضييع فتى قصر أحدهما اختلفت المحبة وحدثت الشكايات ولا تزال كذلك الى أن
تنقطع وتبقى مع الشكايات والملازمة وكذلك حال المنفعة المشتركة بين الناس اذا كانت
واحدة بينهما وأما المحبات المختلفة التى أسبابها مختلفة فهى اولى سرعة التحلل ومثال
ذلك ان تكون محبة اعداء المتحابين لاجل المنفعة ومحبة الآخر لاجل اللذة كما يعرض ذلك
لأما شر من على ان أحدهما مغنى والاخر مستمع فان المغنى منه ما يجب المستمع لاجل
المنفعة والمستمع منها ما يجب المغنى لاجل اللذة وكما يعرض أيضاً بين العاشق والمعشوق اللذين
أحدهما يلتذ بالنظر والاخر ينتظر المنفعة وهذا الصنف من المحبة يعرض فيه أبداً
التشكى والتظلم وذلك ان طالب اللذة يتعجل مطلوبه وطالب المنفعة يتأخر عنه وليس يكاد
يمتدل الامر بينهما ولذلك ترى العاشق يشكو ومعشوقه ويتظلم منه وهو بالحق ظالم ينبغي أن
يشتم على لانه يتعجل لذته بالنظر ولا يرى المكافأة بما يستحق صاحبه والمحبة اللوامة كثيرة
الانواع إلا أن الامـل فيها مذ كرت وبوشك أن تكون المحبة بين الرئيس والمرؤس والغنى
والفقير تعرض لها الملازمة والتواضع لاجل اختلاف الأسباب ولا كل واحد ينتظر من
المكافأة عند الآخر ما لا يجده عنده يقع فساد فى النيات بينهما ثم استبطاء ثم ملامات ويزيل
ذلك طلب العدل والرضا كل واحد بما يستحقه من الآخر وبذل كل واحد دلائل الآخر العدل
المبسوط بينهما والمال يك خاصة لا يرضيهم من مواليمهم إلا الزيادة الكثيرة فى الاستحقاق
وكذلك الاموال يستبطئون العبيد فى الخدمة والشعقة والنصيحة وفى جميع ذلك يقع اللوم
وفساد الضمير فهذه المحبة اللوامة لا تكاد تحلومنها الا على شريطة العدل وطلب الوسط من
الاستحقاق والرضا به وهو صعب * وأما محبة الاخيار به صميم بعضها فانها لا تكون للذة
خارجة ولا لمنفعة بل للنسابة الجوهرية بينهما وهى قصد الخير والتماس القضيلة فاذا أحب
أحدهم الآخر لخدمة المناسبة لم تكن بينهما مخالعة ولا منازعة ونصح بعضهم بعضاً ونفاقاً
بالعدالة والتساوى فى ارادة الخير وهذا التساوى فى النصيحة و ارادة الخير هو الذى يوحد
كثرتهم * ولهذا احد الصديق بأنه آخر هو أنت إلا انه غيرك بالشخص ولهذا صار عزيز الوجود
ولم يوثق بصدقة الاحداث والعوام ومن ليس بحكيم لان هؤلاء يحبون و يصادقون لاجل
اللذة والمنفعة ولا يعرفون الخير بالحقيقة واغراضهم غسيرة صحيحة * وأما السلاطين فانهم
يظهرون الصداقة على انهم متفضلون ومحسنون الى من يصادقهم فليس يدخلون تحت
الحال الذى ذكرناه وفى صداقتهم زيادة ونقصان والمساواة عز الوجود عندهم وكذلك
محبة الوالد للولد والولد للدالان أنواع هذه المحبة مختلفة وأسبابها أيضاً مختلفة كما قلنا

الان محبة الوالد للولد والولد للوالد والوالد للوالد وان كان بينهم اختلاف ما من وجه فان بينهم اتفاقا ذاتيا واعني بالذاتي ههنا ان الوالد يرى في ولده انه هو هو وانه نسخ صورته التي تخصه من الانسانية في شخص ولده منساخته طبيعيا ونقل ذاته الى ذاته نقل حقيقيا وحقله ان يرى ذلك لان التدبير الالهي بالسياقة الطبيعية التي هي سياسته عز وجل هو الذي عاون الانسان على انشاء الولد وجهه له السبب الثاني في ايجاده ونقل صورته الانسانية اليه ولذلك يحب الوالد لولده جميع ما يحبه لنفسه ويسعى في تاديبه وتكميله بكل ما فاته في نفسه طول عمره ولا يشق عليه ان يقال له ولذلك افضل منك لانه يرى انه هو هو وكان الانسان اذا تزايد في نفسه حال اخلا وترقى في الفضيلة درجة فدرجة لا يشق عليه ان يقال له انك الان افضل مما كنت بل بصره ذلك وكذلك تكون حاله اذا قيل له في ولده مثل ذلك ثم تفضل أيضا محبة الوالد على محبة الولد بانه الفاعل له وبانه يعرفه منذ أول كونه ويستبشر به وهو جنين ثم تزداد محبته له مع الترية والنشأ ويتأكد سروره به وتأميله له ويحدث له اليقين بانه باقى به صورة وان فني بجسمه مادة وهذه المعاني الجارية عنداهل العلم تترامى للعوام كأنهم امروراء مسترهبون أما محبة الولد للوالد فانها تنقص عن هذه الرتبة بان الولد فعول وبانه لا يعرف ذاته ولا فاعل ذاته الا بعد زمان طويل وبعد ان يستثبت أباه حسا وينتفع به دهرًا ثم يعقل بعد ذلك أمره بالمحبة وعلى مقدار عقله واستبصاره في الامور يكون تعظيمه لوالديه ومحبة لهما وهذه العلة وصى الله عز وجل الولد بوالده ولم يوص الوالد بولده * واما محبة الاخوة بعضهم لبعض فـ لان سبب كونهم ونشئهم واحد بعينه * ويجب ان تكون نسبة الملك الى رعيته نسبة أبوية ونسبة رعيته اليه نسبة بنوية ونسبة الرعية بعضهم الى بعض نسبة اخوية حتى تكون السياسات محفوظة على شرائطها الصحيحة وذلك ان مراعاة الملك لرعيته هي مراعاة الاب لاولاده ومعاملته اياهم تلك المعاملة وقد كما أشيرنا الى ذلك وسنزيد بيانا اذا صرنا الى ذكر سياسة الملك في موضع اخر وعنايته برعيته يجب ان تكون مثل عناية الاب باولاده شفقة وتحننا وتعهدا وتعطفا خلافة صاحب الامر عليه السلام بل ما شرع الشرع تعالى ذكره في الرأفة والرحمة تطاب المصالح لهم ودفع المكاره عنهم وحفظ النظام فيهم وبالجملة في كل ما يجب الخير وينفع الشر فانه عند ذلك تحبه رعيته محبة الاولاد للاب الشفيق وتحدث بينهم تلك النسبة وانما تختلف هذه المحبات بالتفاضل الذي يكون بعظم المنافع فيجب ان يكرم الاب كرامة أبوية ويكرم السلطان كرامة سلطانية ويكرم الناس بعضهم بعضا كرامة اخوية واسكن مرتبة من هذه استئصال خاص بها واستحقاق واجب لها ماذا لم يحفظ بالعدالة زاد ونقص وعرض لها الفساد وانتقلت الرياسات وانعكست الامور فيعرض لرياسة الملك ان تنتقل الى رياسة التغلب ويتبع ذلك ان تنتقل محبة الرعية الى البعض له ويعرض لرياسات من دونه مثل ذلك فتصير محبة الاخيار الى تباعض الاشرا وتعود الالفة تفاروا والتواد تنفقا ويطلب كل احده لنفسه ما يظنه خيرا له وان اضر بغيره وتبطل الصداقات والخير المشترك بين الناس ويؤول الامر الى المرج الذي هو ضد النظام الذي رتبته الله لخلقه وورثه بالبشرية واوجبه بالحكمة البالغة * وأما المحبة التي لا تشوبها الانفعالات ولا تنظر اعلمها الافات وهي محبة العبد لخلقه عز وجل فانها انما تخلص للعالم الرباني وحده خاصة ولا سبيل

لغيرهم اليها الاتباع سوى الكاذبة وكيف يجتذ انسان السبيل الى محبة من لا يعرفه ولا يعرف
 ضروب انعامه الدارة عليه ووجوه احسانه المتصلة به في بدنه ونفسه اللهم الان يصور
 في نفسه صنماو يظن ان الخالق عز وجل فيه ويعبده فان اكثر الناس كما قال تعالى وما
 يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون ولعمري ان العامة تدعى المعرفة والمحبة وهم يتصورون
 شخصاً وشيخاً فتكون عبادتهم له دون الله وهذا هو الضلال البعيد ومدعو هذه المحبة
 كثيرون جدوا والمحقوقون منهم قليلون جداً بل هم أقل القليل والمحبة لا محالة تتصل بها الطاعة
 والاعظام ويتلوها ويقرّب منها محبة الوالدين وكرامهم واطاعتهم واوليس يرتقى الى مرتبة ثمة
 شيء من المحبات الاخر الا محبة الحكماء عند تلامذتهم فانهم متوسطة بين المحبة الاولى والمحبة
 الثانية وذلك ان المحبة الاولى لا ينافيها شيء من المحبات كما ان اسبابها لا ينافيها شيء من
 الاسباب والنعم التي تأتي من قبلها لا يشبهها شيء من النعم واما المحبة الثانية فهي تتلوها
 لان سببها هو السبب الثاني في وجودنا الحسى اعني ابداننا وكوننا واما محبة الحكماء فهي
 اشرف واكرم من محبة الوالدين لاجل ان نزيهم هي لنفوسنا وهم الاسباب في وجودنا
 الحقيقي و بهم وصلنا الى السعادة التامة التي نلناها الاقناء الابدی والنعم السرمدي في
 جوار رب العالمين فبحسب فضل انعامهم علمناو بقدر فضل النفوس على الابدان نجيب
 حقوقهم وتلزم طاعتهم ومحببتهم وليس يبلغ احد جزاء ولا مكافاة الاول ولا ما يستأهله ثلثاني
 اعني الوالدين وان هو اجتهد وبائع ولا يؤدى حقوقهما الا بدوان خدم باقوى طاقته وغاية وسعه
 واما محبة طالب الحكمة بالحكيم والتلميذ الصالح للعلم الخبير فانها من جنس المحبة الاولى
 وفي طريقها وذلك لاجل الخير العظيم الذي يشرف عليه وبصل اليه وللرجاء الكريم الذي
 لا يتحقق الا بعنايته ولا يتم الا بمطاعته ولانه والد روحاني ورب بشري واحسانه احسان الهى
 وذلك انه ير بيه بالفضيلة التامة ويغذوه بالحكمة البالغة ويبدو به الى الحياة الابدية في
 النعم السرمدي واذا كان هو السبب في كل وجودنا العقلى وهو الربى لنفوسنا الروحانية
 فبحسب فضل النفس على البدن يجب ان يفضل المنعم بهذا على المنعم بذلك وبقدر فضلها
 على البدن يكون فضل التربة على التربة فيحق ان يجب التلميذ على المعلم الحكمة محبة خاصة
 شبيهة بالمحبة الاولى ولذلك قلنا ان هذه المحبة من جنس تلك المحبة الاولى والطاعة له من
 جنس تلك الطاعة وكذلك تعظيمه له واجلاله اياه ثم لما كان سبب هاتين النعمتين ومعرضنا لهما
 وسائقنا اليهما والى جميع النعم هو السبب الاول الذي هو سبب الخسرات كلها قدر بتنا
 او بعدت عنا عرفناها ولم نعرفها واجب ان تكون محبة له في اعلى مراتب المحبات وكذلك
 طاعتنا له وتمجيدنا اياه ويجب على من بلغ هذه المنزلة من الاخلاق ان يعرف مراتب المحبات
 وما يستحقه كل واحد من صاحبها حتى لا يبذل كرامة الوالد للرئيس الاجنبى ولا كرامة
 الصديق للسلطان ولا كرامة الولد للعشير ولا كرامة الاب للابن فان لكل واحد من هؤلاء
 واشباهاهم صنفان الكرامة وحقام الجزاء ايسر للاخرومتى خلط فيه اضطرب وفسد
 وحدثت الملامات واذا وقع كل واحد منهم حقه وتسلطه من المحبة والخدمة والنصيحة كان عادلاً
 واوجب له محبة الله وعداؤه فيها محبة على صاحبه ومعاملته وكذلك يجب ان يعجزى الامر في
 مؤانسة الاصحاب والخطاه والمعاشرين من توفيق حقوقهم واعطائهم ما هو خاص بهم ومن غش
 المحبة

المحبة والصدقة كان اسوا حالا من غش الدرهم والدينار فان الحكيم ذكر ان المحبة المتشوشة
تفعل سر يعاوتفسد رشيكاً كما ان الدرهم والدينار اذا كانا متشوشين فسد امر يعاوت هذا واجب
في جميع انواع المحبات ولذلك يتعاطى العاقل ابد اغطارا واحدا ويلزم مذهباً واحداً في ارادة الخير
ويفعل جميع ما يفعله من اجل ذاته ويرى خيره عند غيره كما يراه عند نفسه واما صدقة فقد قلنا
انه هو هو الا انه غير بالشخص اما سائر محالطيه ومعارفه فانه يسلك بهم مسلك اصدقائه كانه
محترم في ان يبالغ بهم وفيهم منازل الاصدقاء بالحقيقة وان كان لا يمكن ذلك في جميعهم فهذه سير
الخير في نفسه وفي رؤسائه واهله وعشيرته واصدقائه وسلطانته واما الشرير فانه يهرب من هذه
السيرة وينفر منها الرذالة الهيثة التي حصلت له والمحبة البطالة والتكاسل عن معرفة الطير
والتميز بينه وبين الشر وبين ما هو مظهر عند خيرا وليس بخير ومن كان على هذه الحالة من
الشرور رذالة الهيثة كانت افداله كلها رديثة ومن كانت ذاته رديثة هرب من ذاته لاجل ان الرذالة
مهروب منها واضطر الى محبة قوم يناسبونه ليقضي عمره معهم ويستغل بهم عن ذاته وما يجده
فيها من الاضطراب والقلق وذلك ارضاء لثباتهم الا انهم اذا دخلوا بانفسهم تذكروا انفسهم
الرديثة وهاجت بهم القوى المتضادة التي تدعوهم الى ارتكاب الشرور المتضادة فيا تموت
من ذواتهم وتنشأ عن نفوسهم انواع الشغب وتجد بهم القوى التي فيهم وهي التي لم يروضوها
بالادب الحقيقي الى الجهات المختلفة من الازدات الرديثة وطلب الكرامات التي لا يسهقونها
والشهوات الرديثة التي تنالهم سر يعاوت اذا جذبتهم هذه القوى الى جهات مختلفة احدثت
فيهم آلاما كثيرة لانه ليس يمكن ان يفرح ويحزن معا ولا يرضى ويسخط في حال واحدة
ولا يستطيع ان يؤلف بين الاضداد حتى تجتمع له فهو من شقائه يهرب من ذاته لانها
رديثة فاسدة متأللة كثيرة الشغب عليه ويلمس لعشرته ومخالطته من هو مثله اوسوا حالا
منه فيجد للوقت راحة وسكونا ليه لاجل المشاكلة ثم يعود به سد قليل وبالا عليه وز يادة
في خباله وفاسده فيا لم به ويهرب منه فليس له محب ولا ذاته ولا له نصيب ولا نفسه وليس
يحمل الاعلى الندامة ولا يرجع الا الى الشقوة * واما الرجل الخير الفاضل فان سيرته
جيدة محبوبة فهو يحب ذاته وافعاله ويسر بنفسه ويسر به ايضا غيره ويختار كل انسان
مواصلته ومصادقته فهو صديق نفسه والناس اصدقاءه وليس بضاده الا الشرير فقط
وبعرض ان هذه سيرته ان يحسن الى غيره بقصد وبغير قصد وذلك ان افعاله لذينة محبوبة
واللذينة المحبوبة مختار فيكثر المقلون عليه والمحتمون به والا تخذون عنه وهذا هو الاحسان
الذاني الذي ينبغي ولا ينقطع ويتزايد على الايام ولا ينفق وأما الاحسان العرضي الذي ليس
بخافي ولا هو سيرة لصاحبه فانه ينقطع ويلحق فيه اللوم والمحبة التي تعرض منه تلحق
بالمحبات اللوامة ولذلك يوصي صاحبه بتر بيته فيقال له تربية الصنعة اصعب من ابتدائها
والمحبة التي تحدث بين المحسن والمحسن اليه يكون فيه ازيادة ونقصان اعني ان محبة المحسن
للمحسن اليه اشد من محبة المحسن اليه للمحسن واستدل ارسطو طاليس على ذلك بان المقرض
وصانع المعروف يهتم كل واحد منهما بمن اقرضه واصطنع المعروف عنده ويتعاهدانها
ويحسان مصلتهما اما المقرض فربما احب سلامة المقرض لما كان الاخذ لا يمكن
المحبة اعني انه يدعو له بالسلامة والبقاء وسبوغ النعمة ليصل الى حقه واما المقرض فليس

يعني كسير عناية بالمعرض ولا يذبح له بهذه الدعوات وأما مصطنع المعروف فإنه بالحق الواجب
يود الذي اصطنع اليه معروفاً وان لم ينتظر منه منفعة وذلك أن كل صانع فعل جيد محمود
يجب مصنوعه فإذا كان مصنوعه مستقيماً جديداً وجب أن يكون محبوباً في الغاية فقد
تبين أن محبة المحسن أشد من محبة المحسن إليه وأما المحسن إليه فشهوته للأحسان أشد
وأن يذم من شهوة المحسن وايضا مان المحبة المكتسبة بالأحسان المر بآلة على طول الزمان
تجـرى مجرى القنيات التي يتعب بتهيئتها فان ما يكتسب منها على سبيل التعب
والنصب تكون المحبة له أشد والضر به أكثر ومن وصل الى المال بغير تعب لم يكثر ثبه ولم يشغ
عليه وبذلك في غير موضعه كما يفعل الوراث ومن يجري مجراهم وأمان وصل اليه بتعب وسافر
في طلبه وشقي بجمعه فإنه لا محالة يكون شديد الضر به والمحبة له ولهذا العلة صارت الأثم
أكثر محبة للولد من الأب ويعرض لها من الحسنين والولة أضعاف ما يعرض للاب وبهذا
النوع من المحبة يحب الشاعر شعره ويعجب به أكثر من العجب بغيره وكل فاعل فعل يتعب به
فهو يحب فعله وايضا فان المنفعل لا يتعب كتعب الفاعل ولا اتخذ منفعل والمعطى فاعل
فمن هذه الوجوه يتبين ان مصطنع المعروف يحب من احسن اليه حباً شديداً ومن الناس من
يصطنع المعروف لاجل الخير نفسه ومنهم من يصطنعه لاجل الذكرا لجيل ومنهم من يصطنعه
رياء فقط ومن البين ان اعلا مرتبة من صنعه لذاته اعني لذات الخير وصاحب هذه الرتبة لا يعلم
الذكرا الجميل والثناء الباقي ومحبة من لم يصطنع المعروف عنده وان لم يقصد ذلك بالفعل
ولا بالنية ولما حكمه افيما تقدم حكماً مقبولا لا يردده احد وهو ان كل انسان يحب نفسه وكانت
هذه المحبة لا محالة تنقسم بالاقسام الثلاثة التي ذكرناها اعني اللذة والنافع والخير
وجب من ذلك أن لا يكون من لا يميز بين هذه الاقسام حتى يعرف الافضل فالأفضل منها
لا يدري كيف يحسن الى نفسه التي هي محبوبته فيقع في ضروب من الخطأ ألجـهـله بالخير
الحقيقي ولذلك صار بعض الناس يختار لنفسه سيرة اللذة وبهضم سيرة الكرامة والنافع
لانهم لا يعرفون ما هو أفضل منها وأمان عرف سيرة الخير وعلوم رتبته فهو لا محالة يختار
لنفسه أفضل السير وكرم الخيرات فلا يؤثر اللذة البهيمية ولا اللذات الخارجة عن نفسه فانها
عرضية كاهلاد مستهيلة ومنحلة لكنه يختار لها اتم الخيرات واعلاها واعظمها وهو الخير
الذي لها بالذات اعني الذي ليس بخارج عنها وهو الذي ينسب الى جزئه الالهى ومن سار
بهذه السيرة واختارها لنفسه فقد احسن اليها وانزلها في الشرف الاعلى واهلها القبول
الفيض الالهى واللذة الحقيقية التي لا تفارقه ابداً واذا كان بهذه الحال فهو لا محالة يفعل
سائر الخيرات الاخر وينفع غيره ببذل الاموال والامهاحة بجمع ما يتشاح الناس عليه
ويخص اصداقاه من ذلك بكل ما يضيـق عنه ذرع اصحاب السير الباقية فيصير عظماء عند كل
احد ولا سيما عند صديقه * وايضا فقد بينا فيما تقدم ان الانسان مدني بالطبع ومثـر حنا
معنى المدنى فاذا بالواجب يكون تمام سعاداته الانسانية عند اصداقائه ومن كان تمامه عند
غيره فن الحمال ان يصل مع الوحدة والتفرد الى سعاداته انشامة فالسعيد اذا ما اكتسب
الاصداق واجتهد في بذل الخيرات لهم ليكتسب بهم ما لا يقدر ان يكتسبه بذاته فيلتذ بهم
ايام حياته ويتأذون ايضا به وقد شـر حنا حال هذه اللذة وانها باقية الـهـبة غير مفـسـدة

ولامة غيرة وهؤلاء في جملة الناس والجهور منهم قليلون جدا واما الضباب المذات البهيمية
والنافع فيها فكثيرون جدا وقد يكفي من هؤلاء بالقليل كالا بازر في الطعام وكالمخ خاصة واما
الصديق الاول الذي ذكرنا وصفه فلا يمكن ان يكون كثير الزمته ولا انه محبوب بافرط وافرط
الحبة لا يصح ولا يتم الا الواحد واما حسن العشرة وكرم اللقاء والسعي لكل احد بسيرة الصديق
الحقيقي فبمذول لاجل طاب الفضيلة ولا نأخذ قلنا فيما تقدم ان الرجل الخير الفاضل
يملك في عشرة معارفه مسلك الصديق وان لم تتم الصداقة الحقيقية قيمة قيم * وارسطوطاليس
يقول ان الانسان يحتاج الى الصديق عند حسن الحال وعند سوء الحال فعند سوء الحال
يحتاج الى معونة الاصدقاء وعند حسن الحال يحتاج الى المؤانسة والى من يحسن اليه
ولعمري ان الملك العظيم يحتاج الى من يسططه ويضع احسانه عنده كان الفقير من الناس
يحتاج الى صديق يسططه ويضع عنده المعروف قال ومن اجل فضيلة الصداقة يشارك الناس
بعضهم بعضا وبنه اشرون عشرة عجيبة لمة يجتمعون في الرياضات والصيد والدعوات * واما
سقراطيس فانه قال لهم - ه الا لفاظاني لا كثر التجهيز عن يعلم اولاده اخبار الملوك ووقائع
بعضهم ببعض وذكر الحروب والاضغاث ومن انتقم اذ وثق على صاحبه ولا يخمار يياهم امر
المودة واحاديث الافة وما يحصل من الخيرات العامة لجميع الناس بالمحبة والانس وانه
لا يستطيع احدهم من الناس ان يعيش بغير المودة وان مالت اليه الدنيا بجميع رغائبها فان ظن
أحد ان امر المودة صغير فالمصغير من ظن ذلك وان قدر انه موجود يبسير الخطب يدرك بالهونا
فما أصعبه وما أعمر وجود صداقة يوثق بها عند البلوى * ثم قال لست اكنى اعتقدوا قول ان قدر
المودة وخطرها عندى أعظم من جميع ذهب كنوز زقارون ومن ذخائر الملوك ومن جميع
ما يتنافس فيه اهل الارض من الجواهر والمجوهرات والديار والبحار وما يتقلبون فيه من سائر
الامعة والاثاث ولا يعدل جميع ذلك ما اخترته لنفسى من فضيلة المودة وذلك ان جميع
ما أحصيته لا ينفع صاحبه اذا حدث به لوعة مصيبة في صدقه وفهم من الصديق ههنا انه
آخر هو انت سواء كان اخا بنسب أو غريبا أو ولدا أو والد لا يقوم له جميع ما في الارض مقام
صديق يثق به في مهم يساعده عليه وسمادة عاجلة أو آجلة تتم له فطوبى لمن أوتي هذه النعمة
الظيمة وهو خلو من السلطان واعظم طوبى لمن أوتيته في سلطان وذلك أن من باشر أمور
الرعية واراد أن يعرف أحوالهم وينظر في أمورهم - حق الظن ان يكفيه - أذنان ولا عينان ولا
قلب واحد فان وجد اخوانا ذوي ثقة وجد بهم عيوننا وأذنانا وقلوبنا كأنها باجعهاله فقربت
عليه اطرافه واطلع من أدنى أمره على أقصاه ورأى الغائب بصورة الشاهد فاني توجد هذه
الفضيلة الا عند الصديق وكيف يطمع فيها عند غير الرفيق الشفيق واذا قدرنا هذه
النعمة الجليلة الخطيرة فيجب علينا ان ننظر كيف نقضيها ومن أين نطلبها واذا حصلت
لنا كيف نحفظ بها - لا يمد لنا فيها ما أصاب الرجل الذي ضرب به المثل - من طلب شاة
سهيمة فوجد هارمة فاغتر بها وطن الورم سنا فأخذها الشاعر فقال

(أعدت انظر ان منك صادقة * ان تحسب الشهد فيمن شهده ورم)

لا سيما وقد علمنا ان الانسان من بين المايوان يتصنع - حتى يظهر للناس منه مالا - حقيقة
له فيبذل ماله وهو يخيل ليقال هو جواد ويقدم في بعض المواطن على بعض المخاوف

ليقال هو ذبحاع واما سائر الحيوان فان اخلاقها ظاهرة للناس من أول الامر لا يتخفى فيها وكذلك يكون حال من لا يعرف الحشائش والنبات فانها تشبهه في عينه حتى ربما تناول منها شيئاً وهو يظنه حلالاً وماذا طعمه وجده مراراً وباطنه غذاء فيكون سمافينبغي لئلا يفتذر ركوب الخطر في تحصيل هذه النعمة الجلية حتى لا تقع في مودة الموهين الخداعين الذين يتصورون اننا بصورة الفضلاء الاخبار فاذا حصّلونا شيئا كهم اقتربونا كما تقترب السباع أكلتها والطريق الى السلامة من هذا الخطر بحسب ما أخذناه عن سقراط ليس اذا أردنا أن نسئ في صدديقنا أن نسأل عنه كيف كان في صباه مع والديه ومع اخوته وعشيرته فان كان صالحاً معهم فارجح الصلاح منه والا فاعلم منه وإياك وإياه قال ثم اعرف به ذلك سيرته مع اصدقائه قبل ذلك فاضفه الى سيرته مع اخوته وآبائه ثم تتبع امره في شكر من يجب عليه شكره أو كفره النعمة ولست اعني بالشكر المكافأة التي ربما تجز عنها بالفعل ولكن ربما عطل نيته في الشكر فلا يكافئ بما يستطيع وعما يقدر عليه ويغتم الجميل الذي يسدى اليه ويراه حقاً له أو يتكاسل عن شكره بالسان وایس أحد يتعذر عليه نشر النعمة التي تتولا موالئها على صاحبها والاعتداده بها وليس شيء أشد احتياجاً للنعم من الشكر وحسبك ما أعد الله لكافر نعمته من النعم مع نعمة الله عن الاستضرار بالكفر ولا شيء اجلب للنعمة ولا أشد تثبيتها لهما من الشكر وحسبك ما وعد الله به الشاكرين مع استغنائهم عن الشكر فتعرف هذا الخلق من تريد مؤاخاتة واحذر ان تبطل بالكثر للنعم المستحق لا يادی الاخوان واحسان السلمان ثم انظر الى ميسله الى الراحة وتباطئه عن الحركة التي فيها ادنى نصب فان هذا خلق رديء ويتبعه الميسل الى اللذات فيكون سبباً للتقاعد عما يجب عليه من الحقوق ثم انظر نظراً شافياً في محبته للذهب والفضة واستئثاره بهجهم ما وحرصه عليهم فان كثيراً من المتعالمين ينظرون بالمحبة ويتهادون ويتناصحون فاذا وقعت بينهم معامل في هذين الجهرين هرب بعضهم على بعض هرب السكّاب وخرجوا الى ضر وب العداوة ثم انظر في محبته للرياسة والنفر يطمان من احب الغاية والتروس وان يفرط لا ينصفك في المودة ولا يرضى منك بمثل ما يعطيك ويحمله الخيلاء والنية على الاستئثار باصدقائه وطلب الترفع عليهم وليس تتم مع ذلك مودة ولا غبطة ولا بد من ان تؤول الحال بينهم الى العداوة والاحقاد والاضغان الكثيرة ثم انظر هل هو من يستزى بالغناء واللحون وضروب الالهو والالعاب وسماع المجون والمضاحيك فان كان كذلك فما أشد غله عن مساعدات اخوانه ومواساتهم وما أشد هربه عن مكانة باحسان واحتمال النصب ودخول تحت جيل فيه يهشقة فان وجدته بريئاً من هذه الحلال فلتحتفظ عليه ولترغب فيه ولتكنف باحداً واحداً وان وجدته كالسكاره يزي وايضا فان من كثرا صدقائه لم ينف يمحقوقهم واضطر الى الاغضاء عن بعض يجب عليه والتقصير في بعضه وربما ترادفت عليه احوال متضادة اعني ان تدعوه مساعدة صديق الى ان يصر يصر مرة ومساعدة آخر ان يفتن بفساده وان يسعى بسعي واحد ويقعد بعود آخر مع احوال تشبه هذه كثيرة مختلفة ولا ينبغي ان يحملك ما حضنتك عليه من طلب الفضائل من صداقه على تتبع صغائر عيوبه فتصير بذلك الى ان لا يسلك احد فتبقى خلوا من الصديق بل يجب ان تغضي عن المعاييب اليسيرة التي لا يسلم من مثلها البشر وتنظر ما تجده في نفسك

لمن هيب فنهمل مثله من غيرك واحد زرع داوود من صادقته او خالته او شاطنة فخالطه
الصديق واسمع قول الشاعر

عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثر من الصحاب

فان الداء اكثر من الزاه * يكون من الطعام او الشراب

ولذلك يجب عليك متى حصل لك صديق ان تكثر مراعاته وتبالي في تفقده ولا تستمر بالسير
من حقه عندهم يعرض له او حادث به - دث به فاما في اوقات الرخاء فينبغي ان تلقاه بالوجه
الطلق والخلق الرحب وان تظهر له في عينك وحرركاتك وفي هاشاشك وارتياحك عند
مشاهدته اياك ما يزداد به في كل يوم وكل حال ثقة بمودتك وسكونا الى غيبك وبري المرور
في جميع اعضائك التي يظهر السرور فيها اذ اليك فان التحفي الشديد عند طاعة الصديق
لا ينبغي في سرور الشئ - كل بالشئ كل امر غير مشكل ثم ينبغي ان تفعل مثل ذلك بمن نعلم انه
يؤثره ويحببه من صديق اولاد او انواع او حاشية وتثني عليهم من غير امراف يخرج بك الى الملقى
الذي يمتنك عليه ويظهر له منك تكاف فيه وانما يتم لك ذلك اذا توخيت الصديق في كل
ما تثني به عليه والزهد هذه الطريفة حتى لا يقع منك توان فيها بوجه من الوجوه وفي
حال من الاحوال فان ذلك يجلب المحبة الحاصلة ويكسب الثقة التامة ويفيدك
محبة القربا ومن لا معرفة لك به وكان الحسام اذا ألف يوقنا وآنس لمجالسنا واطاف
بها يجلب لنا الشكale وأمثاله فذلك حال الانسان اذا عرفنا واختلط بنا اختلاط الراجب
فيقال آنس بنا يلز يد على الحيوان الغير الناطق بحس الوصف وجميل الشاهد ونشر
الحسان واعلم ان مشاركة الصديق في السرار اذا كنت فيها وان كانت واجبة عليك
حتى لا تنأثر بها ولا تختص بشئ منها فان مشاركتك في الضراء واجب وموقعها عنده
اعظم وانظر عند ذلك ان اصابتك تكة او طققة مصيبة او عثر به الدهر كيف تكون
مواساتك له بنفسك وما لك وكيف يظهر له تفقدك ومراعاتك ولا تنتظرن به ان يسالك
تصريحاً او تعريضاً بل اطلع على قلبه واسبق الى ما في نفسه وشاركه في مضى ملحقه ليخف
عنه وان بلغت مرتبة من السلطان والغنى فاعنس اخوانك فيما من غير امتنان ولا تطاول
وان رأيت من بعضهم نبوا عنك اوتصافاً بما عهدته فداخلة زيادة مداخلة واختلاط به
واجتذبه اليك فانك ان أنفت من ذلك اوتداخلك شئ من الكبر والصلف عليهم انتقص حبل
المودة وانتككت قوته ومع ذلك فاست تامن ان يروا عنك وتستحي منهم وتضطري الى
قطيعتهم حتى لا تنظر اليهم ثم حافظ على هذه الشروط المداومة عايم التقي المودة على حال
واحدة وليس هذا اشراط خاصا بالمودة بل هو طرد في كل ما يخلصك اعني ان مر كوكبك
وملبوسك ومنزلك متى لم تراها مراعاة متصلة فسدت وانتقضت فاذا كانت صورة حائطك
وسطوحك كذلك ومتى غفلت او توانيت تامن تقوضه وتهدمه فمكيف ترى ان تجفون
ترجوه اسكل خبير وتنتظره مشاركته في السرار والضرراء ومع ذلك فان ضرر تلك يخلص بك بمضعة
واحدة وأما صديقك فوجوه الضرر التي تدخل عليك بجفائته وانتفاض مودته كثيرة عظيمة
وذلك انه يقلب عدوا وتقول منافاه مضار فلا تامن غوائله وعدوانه مع عدوك الرغائب
والمنافعين به وينقطع رجوك فيما لا تجده خلفا ولا تنفيعه هو ضا ولا يسد مسده شئ

التحفي المبالغة

في اكرام الصديق

وملاطفته اهم

المضروع

المصيبة اهم

واذا راعيت شروطه وحافظت عايمها بالادامة امنت جميع ذلك ثم احذر المراء معه خاصة وان كان واجبا ان تحذر مع كل احد فارمارة الصديق تقناع المودة من اصلها الانهاسبب الاختلاف والاختلاف سبب التباين الذي هر بنامنه الى ضده وقبحنا اثره واخستنا عليه الافقة التي طابناها واثنينا عايمها ولما ان الله عز وجل دعا اليها بالشر بعة القويعة واني لاعرف من يؤثر المراء ويزعم انه يقدح خاطره ويشحذ ذهنه ويثير شكوكه فهو يتعمد في المحافل التي تجمع رؤساء أهل النظر ومطامى العلوم مراءا صديقه ويجزع في كلامه معه الى ألفاظ الجهال من العامة وسقامهم ليزيد في خجل صديقه وليظهر انقطاعه وتبجيه وليس يفعل ذلك عند خلوته به وهذا كرتله وانما يفعله حين يظن به انه أدق نظرا أو احضر حجة واغزر علما واحذر قرينة خفا كنت اشبهه الا باله البسني وجبارة أصحاب الاموال والمتشبهين بهم من أهل البدع فان هؤلاء يستهقر بعضهم بعضا ولا يزال بصغر صاحبه ويزري على مروءته ويتطلب عيوبه ويتتبع عثراته ويبالغ كل واحد فيما يقدر عليه من اساءة صاحبه حتى يؤدي بهم الحال الى المداوة السامة التي يكون معها السعاية وازالة الذمم ونجاوز ذلك الى سفك الدم وأنواع الشرور فكيف يثبت مع المراء محبة أو رجب به الفة ثم احذر في صدديقك ان كنت متحفظا بعلم او متحليا باداب ان تجزع عليه بذلك الفن او يرى فيك انك تحب الاستبداد ودونه والاستئثار عايمه ان أهل العلم لا يرى بعضهم في بعض مابراة أهل الدنيا بينهم وذلك ان متاع الدنيا قليل فاذا تراحم عايمه قوم لم بعضهم حال بعض ونقص حظ كل واحد من حظ الآخر فاما العلم فانه بالضد وليس احد ينقص منه ما ياخذ غير منه بل يزكو على التفقه ويرتفع الصداقة ويزيد على الاتفاق وكثرة الخرج فاذا بخل صاحب علم بعلمه فانما ذلك لاحوال فيه كلها قبيحة وهي انه امانا ان يكون قليل البضاعة منه فهو يخاف ان يفنى ما عنده أو يرد عليه ما لا يعرفه فيزدول تشرفه عند الجهال واما ان يكون مكتسبا به فهو يخشى ان يضيق مكتسبه به وينقص حظه منه واما ان يكون حسودا والحسود بعيد من كل فضيلة لا يؤده احد واني لاعرف من لا يرضى بان يبخل بعلم نفسه حتى يبخل بعلم غيره ويكثر عيبه وسخطه على من يفيد غيره من التلامذة المستحقين له ثمة لعلمه واكثر ما يتوصل الى اخذ الكتب من اصحابها ثم منعهم منها وهذا خلق لا تبقى معه مودة بل يجلب الي صاحبه عداوات لا يحسم او يحسم اطماع اصدقائه من صداقته ثم احذر ان تنبسط اصحابك ومن يخلو بك من اتباعك او تحتمل احدا منهم على ذكر شيء في نفسه ولا ترخص في عيب شيء يتصل به فضلا عن عيبه ولا يطمع من احد في ذلك من اولى اسبابك والمتصاين بك جدا ولا هزلا وكيف تحتمل ذلك فيه وانت عيظه وقايمه وخايفته على الناس كلها بل انت هو فانه ان بلغه شيء مما حذرتك منه لم يشك ان ذلك كان من رأيك وهو لك فيه نقاب عدوا وينفر عنك نهو والصدفان عرفتا منه انت عيبا فوافقه عايمه ووافقه لعايفة ليس فيها غلظة فان الطبيب الرقيق ربما بلغ بالدواء اللطيف ما يبلغه غيره بالشق والقطع والكي بل ربما توصل بالغذاء الى الشفاء واكتفى به عن المعالجة بالدواء ولست احب ان تغضي عما تعرفه في صدديقك وان تترك موافقته عليه بهذا الضرب من الموافقة فان ذلك خيانة منك ومساخطة قيمه ما به وود ضرره عليه وليس من حق الصديق ان يعرف ويبيذل يعيون الاضداد حتى يعيبوه ويشلموه ثم احذر النسيمة

النميمة ومساءها وذلك ان الاشهر يدخلون بين الاخيار في صورة النصيحة فيوهو موتهم
النصيحة وينقلون اليهم في عرض الاحاديث اللذيذة اخبار اصدقائهم محرقة موهبة حتى اذا
تجاسروا عاينهم بالحديث المخدق يصرون لهم بما يفسد مدوداتهم و يشوه وجوه اصدقائهم
الى ان يبغض بعضهم بعضا وللقدماء في هذا المعنى كتب مؤلفة يحذر ون فيها من النميمة
ويشبهون صورة النمام بمن يهلك بانفاذ افعاله اصول البنيان القوية حتى يؤثر فيها ثم لا يزال يزيد
ويمع حتى يدخل فيها المعول فيقلعه من اصله ويضربون له الامثال السكثيرة المشبهة بحديث
الثور مع الاسد في كتاب كليله ودمنه ونحن نكتفي بهذا القدر من الالهاء لئلا نخرج عن رسم
كتابنا وعما ينبغي اعليه مذهبنا من الالهاء مع الشرح واستترك مع الالهاء والاختصار
تعظيم هذا الباب وتكريره عليك لتعلم ان القدماء انما القوا فيه السكتب وضربوا له الامثال
واكثر واقبه من الوصايا الماراه من النفع العظيم عند السامعين من الاخبار ولما خافوه من
الضرر السكثير على من يستعين به من الالهاء وليعلم ان المثل المضروب في السباع القوية اذا
دخل عليه الثعلب الرواح على ضعفه فاهلكها او دمرها وفي الملوك الخلفاء يدخل بينهم اهل
النميمة في صورة الناصحين حتى يفسدوا نيهم على وزرائهم المبالغين في نه يحتمهم المحتمدين
في تثبيت ملكهم الى ان يغضبوا عليهم ويصرفوا به عيونهم عنهم ويصرفوا من محبتهم
وايثارهم على آباءهم واولادهم الى ان لا يملوا عيوبهم منهم والى ان يبسطوا بهم قتلاوة مذبذبا
وهم غير مذنبين ولا محترمين ولا مستحقين الالاء الكرامة والاحسان اذا بلغ بهم من الافساد
والاضرار لما بلغه من هولا فكم بالحري ان يبالغ منا ذا المجدوه في اصدقائنا الذين اخترناهم
على الايام وادخرناهم للشدائد وحللتناهم محل أر و احنا وزدناهم تفضلا وكراما وبتبين
لك من جميع ما قدمناه ان الصداقة واصناف المحبات التي يتم بها سعادة الانسان من حيث
هو مدني بالطبع انما اختلفت ودخل فيها ضرب الفساد وزال عنها معنى التأحد وعرض
لها الانتشار حتى احتجنا الى حفظها والتعب السكثير بنظاها لاجل النفاض السكثيرة التي
فيها وحاجتنا الى انماها مع الحوادث التي تعرض لنا من السكون والفساد فان الفضائل
الحاقية انما وضعت من أجل المعاملات والمعاملات التي لا يتم الوجود الا ناسا الالاء وذلك
ان العدل انما احتجيج اليه لتصحح المعاملات وليزول به معنى الجور الذي هو رذيلة عن
المتعاملين وانما وضعت العفة فضيلة لاجل اللذات الرديئة التي تحجب الخيانات العظيمة على
النفس والبدن وكذلك الشهادة وضعت فضيلة من اجل الامور الهائلة التي يجب ان يقدم
الانسان عليها في بعض الاوقات ولا يهرب منها وعلى هذا جميع مع الاخلاق المرضية التي
وصفناها وحضضنا على اقتنائها وايضا فان جميع هذه الفضائل تحتاج الى اسباب خارجة
من الاموال والى اكتسابها من وجوهها اليمكنه ان يفعل بها فعل الاحرار والاعدال يحتاج الى
مثل ذلك ليحازي من عاشره بجميل وبكافئ من عامله باحسان وجميعه لا تقوم الا بالابد
والانفس وما هو خارج عنها على حسب تقسيمنا السعادات فيما مضى وكما كانت الحاجات
أكثر احتجيج الى المواد الخارجية هنا أكثر فلهذه السعادات الانسانية التي لا تتم لها الا
بالافعال البدنية والاحوال المدنية وبالاخوان الصالحين والاصدقاء المخلصين وهي كما تراها
بكثيرة والتعب بها عظيم ومن قهر فيها قهرت به السعادة الخاصة به ولذلك صار السكسل

وحبة الراحة من اعظم الرذائل لانها يحولان بين المرء وبين جميع الخيرات والفضائل
 ويسانان الانسان من الانسانية ولذلك ذمنا المتوسمين بالزهد اذا تفرّدوا عن الناس
 وسكنوا الجبال والمقارن واختاروا التوسن الذي هو ضد التمدن لانهم ينساجون من جميع
 الفضائل الخلقية التي عددها كلها وكيف يعف ويعدل ويسخو ويشجع من فارق
 الناس وتفرّد عنهم وعدم الفضائل الخلقية وهل هو الا بمثله الجسد والميت واما محبة
 الحكمة والانصراف الى التصور والعقل واسعمال الآراء الالهية فانها خاصة بالجزء الالهي من
 الناس وليس يعرض لها شيء من الآفات التي تعرض للحجبات الاخر الخلقية وضروب الفساد
 ولذلك فانسانهم لا تقبل التنمية - مة ولا نوعا من أنواع الشرور لانها الخير المحض وسبب الخير
 الاول الذي لا تشوبه مادة ولا تحقه الشرور التي في المادة وما دام الانسان يستعمل الاخلاق
 والفضائل الانسانية فانها تعوقه عن هذا الخير الاول وهذه السعادة الالهية ولو كان ليس يتم
 له الا بتلك ومن اصل تلك الفضائل بنفسه ثم اشتغل عنها بالفضيلة الالهية فقد اشتغل بذاته
 حقاً ونجماً من مجاهدات الطبيعة وآلامها ومن مجاهدات النفس وقواها وصار مع
 الارواح الطبيعية واختلط باللائكة المقر بين فاذا انتقل من وجوده الاول الى وجوده الثاني
 وحصل في التوسيم الابدی والسرور الممدى وقد أطلق أرسطو ما ليس جميع هذه الالفاظ
 وقال ان السعادة النامة الخاصة هي لله عز وجل ثم لللائكة والمتألهين ثم قال ولا ينبغي
 ان يضاف الى اللائكة تلك الفضائل التي عددها هي سعادة الانسان فانهم لا يتعاملون
 ولا يكون عند أحد منهم ودربة فيحتاج الى ردّها ولا لا أحد منهم تجارة فيحتاج الى العدالة
 ولا يفرغه شيء فيحتاج الى الجسدة ولاله نفقات فيحتاج الى الذهب والفضة ولاله شهوات
 فيحتاج الى ضبط النفس والى فضيلة العفة ولا هو مركب من الاستقصات الاربع التي تحل
 في اضدادها فيحتاج الى الغذاء فاذا نهو لاه الا برار المظهر من خلق الله عز وجل غير
 محتاجين الى الفضائل الانسية والله تعالى وتقدس وحل اهل من ملائكته فيجب ان تترهه
 عن جميع ما ذكرناه من فضائل الانسان وانما ذكره بالخير البسيط الذي يشبهه ونسب
 اليه الامور والعقوبة التي تليق به فيالحق الواجب الذي لا مرية فيه لا يحبه الا السعيد الخير
 من الناس الذي يعرف السعادة والخير بالحقيقة فلذلك يتقرب اليه بما جوده و يطلب
 مرضاته بقدر طاقتة ويتقبل اوامره بخواستطاعته ومن احب الله تعالى هذه المحبة
 وتقرب اليه هذا التقرب والطاعة هذه الطاعة احبه الله وقر به وارضاه واستحق خلته التي
 طلقتها الشر بعة على بعض البشر حيث قيل ابراهيم خليل الله * واما أرسطو طاليس فانه
 أطلق بعد ذلك بالعلّة غير مطلق في اغتناء وذلك انه قال من احب الله تعالى كما يتماهد
 الاصداق بعضهم بعضا واحسن اليه ولذلك يظن بالحكيم الذات البهيمية وضروب الفرح
 الفريية ويرى من تحقق بالحكمة انها ملذّة غاية الاتذاذ فلا يلتفت الى غيرها ولا يعرج
 على سواها واذا كان الامر على ما وصفنا فالحكيم السعيد التمام الحكمة هو الله تعالى
 فليس يحبه الا السعيد الحكيم بالحقيقة لان الشبيه غماير بشيئه فقط ولذلك صارت هذه
 السعادة ارفع واعلى من تلك السعادة التي ذكرناها وهي غير منسوبة الى الانسان لانها هبة
 من الحياة الطبيعية مبرأة من القوى النفسانية مباينة لجموعها غاية اليناينة وانما هي موهبة
 الالهية

قوله الاستقصات
 اى الاصول
 الاربع وهي
 العناصر الحائلة
 على كل ما يابن
 الملائكة وان كان
 المطلق الضد
 على المباني اه

الهيبة يهبها الباري جاث عظمتها من اصطفاؤه من عباده ثم التمسح منه وسحق لها سعيها
ورغب فيها ولزنها مدة حياته واحتمل المشقة والتعب فان لم يصبر على ادامة التعب
اشتاق اللعب وذلك ان اللعب يشبه الراحة والراحة ليست من تمام السعادة ولا من اسبابها
وانما يميل الى الراحة البدنية من كان طبيعى الشكل يهيج البخار كالعبيد والصبيان
واليها ثم فليس ينسب الحيوان غير الناطق ولا الصبيان والعبيد الى السعادة ولا من كان
مناسب لهم واما العاقل الفاضل فانه يطلب بهمة اعلى المراتب وارسطوطاليس يقول
ليس ينبغي ان تكون همم الانسان انسية وان كان انسانا ولا يرضى بهمم الحيوان الميت وان
كان هو ايضا ميتا بل يقصد بجميع قواه ان يحيا حياة الهية فان الانسان وان كان متغير
الجنة فهو عظيم بالحكمة شريف بالعقل والعقل يفوق جميع الخلاق لانه الجوهر الرئيس
استولى على هذا الكل بامر مبدعه تعالى جده وقد قلنا فيما تقدم ان الانسان مادام
في هذا العالم فهو محتاج الى حسن الحال الخارجة عنه ولكن ينبغي ان ينصرف الى طاب
ذلك بقوته كلها ولا يطلب الاستكثار منه فقد يصل الى الفضيلة من ليس بكثير المال
ولا ظاهر اليسار فان الفقير من المال والاملاك قد يفعل الافعال السكرية ولذلك قالت
الحكمة ان السعداء هم الذين رزقوا القصد من الخيرات الخارجة عنهم وفعلوا الافعال التي
تتمضيها الفضيلة وان كانت فيهم قليلة * هذا كلام الحكمي في هذه المرتبة التي وعدنا
الكلام فيها وهو يقول بذلك ليس في معرفة الفضائل كفاية بل الكفاية في العمل بها ومن
الناس من ينض الى الفضائل وينقاد الى الموعظة ويرغب في الخيرات وهو لا قليلون وهم
الذين يمتنعون من جميع الرذائل والشرور وذلك لانهم رزقوا الجيدة والطبع الجيد الفائق ومنهم
من ينقاد الى الخيرات حتى يمتنع من الرذائل والشرور بالوعيد والقرع والاذنات من العذاب
بغير ربه من الجحيم والهادية وما أعد فيها من الآلام ولذلك حكمنا ان بعض الناس اختيارا بالطبع
وبعضهم خيارا بالشرع وبالتعلم فالشرعية تجري لهؤلاء مجرى الماء للانسان الذي به يسمع غصته
ومن لا ينقاد لها فهو كالشرب بالماء فلا يشرب الماء ولا يجده يسمع غصته وهو الهالك الذي
لا حيلة فيه ولا طمع في اصلاحه ورثه ولهذه العلة قلنا ان من كان بالطبع خيرا فاضلا فذلك
محبة الله اياه وليس أمره اليسا ولا نحن نكاسبه بل الله عز وجل ومثل هذا هو الذي يقول فيه
ارسطوطاليس ان عناية الله به أكبر * فحصل مما قدمناه ان اصناف السعداء من الناس
اربعة وهم موجودون بالتصميم والحس وذلك اننا نجد من الناس من هو خير فاضل من
مبدعه كونه نرى فيه المحبة طفلا وتفرس فيه الفلاحة ناشئا بان يكون حيا كريم الخيم يؤثر
بجلاسة الاخيار ومؤانسة الفضلاء وينفر من اضدادهم وليس يكون كذلك الا بعناية تلهفه من
اول مولده كما قلنا * ونجد ايضا من لا يكون بهذه الصفة من مبدعه كونه بل يكون كسائر
الصبيان الا انه يسعى ويجتهد ويطلب الحق اذا رأى اختلاف الناس فيه ولا يزال كذلك حتى
يبلغ مرتبة الحكماء اعني ان يصير علمه صحيحا وعمله صوابا وليس يبالغ هذه الدرجة الا بالثقل
واطراح العصبية وسائر ما حذرنا منه * ونجد ايضا من يوجد بهذه السيرة اخذ على الاكراه
اما بالتأديب الشرعي واما بالتعظيم الحكمي ومعلوم ان المطلوب هو القسم الثاني اذا كانت
الاقسام الباقية هي من خارج ولا يمكن ان تطلب اعني ان من يتفق له في اصل مولده السعادة

ومن يذكره عليهم السدس من اقسام الطالب المجتهد وتبين ايضا مقام الطالب المجتهد ومقرانه من السعادة التامة الحقيقية وانه وحده من بين سائر الطبقات هو السعيد الكامل المقرب الى الله عز وجل المحب المطيع المسيحي خلته ومحبهه * كما تقدم وصفه تحت المقالة الخامسة
(المقالة السادسة)

يبتدئ بعون الله وتوفيقه وتأييده في هذه المقالة بذكر شفاء الامراض التي تلاحق نفس الانسان وعلاجها ونذكر الاسباب والاعمال التي تولدها وتحدث منها فان حذاق الاطباء لا يقدمون على علاج مرض جهة ما في الابدان يعرفوه ويعرفوا السبب والعلة فيه ثم يرمون مقابله باضداده من العلاجات ويبتدون من الحمية والادوية اللطيفة الى ان يفتوا في بعضها الى استعمال الاعذية الكريمة والادوية البشعة وفي بعضها الى القطع بالحديد والكي بالنار وما كانت النفس قوة الهية غير جسمانية وكانت مع ذلك مستعملة لمزاج خاص ومربوطة به رابطا طبيعيا الهيا لا يفرق اوجدهما صاحبه الالبشيمة الخالق عز وجل وجب ان تعلم ان احدهما متعلق بصاحبه متغير بتغيره فيضج بهمته ويمرض بمرضه ونحن نرى ذلك مشاهدة وعيانا بما يظهر لنا من افعالها وذلك انا كما نرى المريض من جهة بدنه لا نسيه ان كان سبب امرضه احد الجزئين الشرقيين اعنى الدماغ والقلب يتغير عقله ويمرض حتى ينكر ذهنه وفكره وتحسله وسائر قوى نفسه الشريرة ويحس هو من نفسه بذلك كذلك ايضا نرى المريض من جهة نفسه اما بالغضب واما بالحزن واما بالهشيق واما بالشهوات الهاشجة به تتغير صورة بدنه حتى يضطرب ويرتعده ويصفرو ويحمرو ويهزلو ويسمن ويلحقها ضروب التغير المشاهدة بالحواس فيجب لذلك ان تتقدم مبداء الامراض اذا كان من نفوسنا فان كان مبدؤها من ذاتها كالسكر في الاشياء الرديئة واجالة الراى فيها وكاستمرار الخوف والخوف من الامور العارضة والمتربعة والشهوات الهاشجة قصدنا علاجها بما يخصها وان كان مبدؤها من المزاج ومن الحواس كالخور الذي مبدؤه ضعف حرارة القلب مع الكسل والرفاهية وكالهشيق الذي مبدؤه النظر مع الفراغ والبطالة قصدنا ايضا علاجها بما يخص هذه * وايضا لما كان طب الابدان ينقسم بالقسم الاول الى قسمين احدهما حفظ محتمل اذا كانت حاضرة والاخر ردها اليها اذا كانت غائبة وجب ان نقسم طب النفوس هذه القسمين بعينها فتردها اذا كانت غائبة وتتقدم في حفظ محتمل اذا كانت حاضرة * فنقول اذا كانت خيرة فاضلة تحب نيل الفضائل وتحرم على اصابتها وتشتاق الى العلوم الحقيقية والمعارف الصالحة فيجب على صاحبها ان يعاشر من يجانسه ويطلب من يشاكله ولا يانس بغيرهم ولا يجالس سواهم ويحتذ كل الحذر من هامة اهل الشر والمجون والمجاهرين باصابة الذات القبيحة وركوب الفواحش المفتخرين بها انهم مكيين فيها ولا يصغى الى اخبارهم مستطيبا ولا يروى اشعارهم مستهجنين ولا يحضر مجالسهم مبتغيا وذلك ان حضور مجلس واحد من مجالسهم وسماع خبر واحد من اخبارهم يمتلئ من وعره ووهنه بالنفس ما لا يقبل عنها الا بالزمان الطويل والعلاج الصعب وربما كان سببا لفساد الفاضل الخبيث وغوايه العالم المستبصر حتى يصير فتنة له فاضلا عن الحدث النائم والمتعلم المسترشد * والعلة في ذلك ان محبة اللذات البدنية والرايات الجسمية طبيعة الانسان لا حل لها في الدنيا التي فيها فتن بالجيلة

الاولى والقطرة السابقة الينا غيل اليها ونحصر من علمها وانما نزم انفسنا عنها بزمام العقل حتى نقف عند ما يرسم لنا ونقتصر على المقدار الضروري منها وانما استثنيت في اول هذا الكلام وشرطت بما شرطت لان معاشرة الاصدقاء الذي ذكرت احوالهم في المقالة المتقدمة وحكمت بتمام السعادة معهم ولهم لا تتم الا بالانسية والمداخلة ولا بد في ذلك من المزاج المستعذب والاحاديث المستطابة والفكاهة المحبوبة واصابة اللذة التي تطلقها الشهوة ويقدرها العقل حتى لا يتجاوزها الى الاسراف فيها ولا يقصر عنها تباؤها بها وذلك ان الخروج الى احد الطرفين ان كان الى جانب الزيادة سمي مجونا وفسقا وخلاعة وما اشبهها من اسماء الذم وان كان الى جانب النقصان سمي فسادا وهبوطا وشكاسة وما اشبهها من اسماء الذم ايضا والمتوسط بينهما هو الظريف الذي يوصف بالهشاشة والطلاقة وحسن العشرة وبهرض من الصعوبة في وجود هذا الوسط ما يعرض في سائر الفضائل الخلقية * وما يؤخذ به من يحفظ صحة نفسه ان يلتزم وظيفة من الجزاء النظاري والعمل لا يسوغ له الاخلال بها البتة لتجري النفس مجرى الرياضة التي تلزم في حفظ صحة البدن واطباء النفوس اشهد تعظيمها في حفظ صحة النفس وذلك ان النفس متى تعطلت من النظر وعدمت الفكر والغوص على المعاني تلبث وتباهت وانقطعت عنها مادة كل خير واذا الفت الكسل وتبرمت بالرغبة واختارت العطلة قرب هلا كهالان في عطيتها هذه انسلخا من صورتها الخاصة بها ورجوعا منها الى رتبة اليها ثم وهذا هو الاتيكاس في الخلق نعوذ بالله منه * واذا تعود الحديث الثاني من مبدء كونه الارتياض بالامور الفكرية ولازم التعاليم الاربعة الف الصديق واحتمل ثقل الروية والنظر وانس بالحق ونشاطه به عن الباطل وسعه عن الكذب فاذا بلغ اشده وانتقل الى مطالعة الحكمة استمر طبعه فيها وتشرب ما يستودع منها ولم يردعاه امر غريب ولا يحتاج الى كثير تعجب في فهم غوامضها واستفراج دقائقها فيصل الى سعادتها التي ذكرناها سريعا * وان كان حافظ هذه العبادة قد توحى في العلم وبرع فلا يحمله العجب بما عنده على ترك الازداد فان العلم لاساية له وفوق كل ذي علم عليم ولا يتسكسل عن معاودة ما علمه والدرس له فان النسيان آفة العلم وينتد كر قول الحسن البصري رحمة الله عليه اقدعوا هذه النفوس فانها طائفة وحاد ثوها فانها سبعة الدثور واعلم ان هذه الكلمات مع قلعة حروفها كثيرة المعاني وهي مع ذلك فصيحة واستوفت شرط البلاغة وليعلم ايضا حافظ هذه العبادة على نفسه انه انما يحفظ عليها نعمة اشرفة جليلة موهوبة لها وكنوز عظيمة مدخرة فيها وملابس فاخرة وفرغة عليها وان كانت هذه الموابب الجليلة موجودة في ذاته لا يحتاج الى تطلبها من خارج ولا الى بذل الاموال فيها لغيره ولا يكلف العناء والمؤن الثقيل في تحصيلها ثم اعرض عنها واهمل امرها حتى انسلخ عنها وعزى منها الموم في فعله معون في رايه غير رشيد ولا موفق لاسيما وهو يرى طالب النعم الخارجة كيف يشجشون الاسفار البعيدة والخطرة ويقطعون السبل المخوفة والوعرة ويتعرضون لضرب المسكاره وانواع التلف من السباع العادية وطبقات الاثمرار الباغية وهم يخبيون في اكثر الاحوال مع مقاساة هذه الاحوال وورعوا عرضت لهم الندامات المفرطة والحسرات المعطية التي تقطع انفسهم وتفصل اعضاءهم فان ظفر وابشى من مطالمهم كان لا يحل ان لا يعنى قرب او معرضا للزوال وغير مطموع في بقائه لانه من خارج وما كان خارجا عنها

مراده بالقدامة

الى تقول رجل

قدم بالفتح اى عبي

بين القدامة اه

تبرمت اى

سدت وضجرت

اه

فهو غير ممنوع عما يطرقه من الحوادث التي لا تحصي كثرة وصاحبة مع هذه الحال شديد الوجع دائم الاشفاق متعب الجسم والنفس يحفظ ما لا يجد الى حفظه سيلا والخطر على ما لا يفتني فيه الخذر فتيل وان كان طالب هذه الاشياء الخارجة عنا ساطنا او صاحب سلطان تضاعفت عليه هذه المكارةضاعفا كثيرة بقدر ما يلبسه وبموجب ما يقاسيه من الاضداد والحساد على البعد ومن القرب وبكثرة ما يحتاج اليه من المؤن في استصلاح من يلبه ويلى من يلبه من مداراة من يواليه ويعاديه وهو في كل ذلك ملوم مستبطا ومعتب مسنة مقصر ويستزيد جميع اهله والمناصب اين به ولا سبيل له الى ارضاء واحد منهم فضلا عن جميعهم ولا يزال يبلغه عن اخص الناس به من اولاده وحرمة ومن يجري مجراهم من حاشيته وخوله ما يملأه غياظا وحنقا وهو غير آمن على نفسه من جهتهم مع القهاسد الذي بينهم من مكاتبة الاعداء اياهم ومواطاة الحساد لهم وكلما ازداد من الاعوان والاعضاد والانصار زادوه في شغل القلب وجلبوا اليه من المسكار ما لم يكن عنده فهو غنى عند الناس وهو اشد هم فقرا ومحسود وهو اكثرهم حسدا وكيف لا يكون فهو اوحدا الفقرو كثرة الحاجة فاكثر الناس حاجة اشد هم فقرا كما ان اغنى الناس اقلهم حاجة ولذلك حكمتنا حكم اصادق ابا ن الله تعالى اغنى الاغنياء لانه لا حاجتهم الى شيء من الاشياء وحكمنا ايضا ان اعظم الملوك منا هم اشد الناس فقرا لكثرة حاجتهم الى الاشياء ولقد صدق ابو بكر الصديق في خطبته حيث قال اشقى الناس في الدنيا والآخره الملوك ثم وصفهم فقال ان الملك اذا ملك زهد الله فيه ما في يده ورغبة فيما في يد غيره وانتقصه شطر أجله وأثر بقلبه الاشفاق فهو يحسد على القليل ويتسخط بالكثير ويسأم الرخاء وانقطع عنه اللذة اليها لا يستعمل الغيرة ولا يسكن الى الثقة فهو كالدرهم الغش والسراب الخادع جلد الظاهر حزين الباطن فاذا وجبت نفسه ونضب عمره ومحى ظله حاسبه فأشد حسابه واقل عفوه ألا ان الملوك هم المرحومون فهذه صفة الملك اذا تمكن من ماله ولا يغادر منه شيئا ولقد سمعت أعظم من شاهدت من الملوك يستعيد هذا الكلام ثم يستعبر ووافقه ما في قلبه وصدقه عن حاله وصورته ولعل من يرى ظاهر الملوك من الاسرة والفرش والزينة والامان وبشاهدهم في مواكبهم محفوفين محشودين بين ايديهم الجنائب والمراب والعبيد والخدم والحجاب والحشم يروعه ذلك فيظن انهم مسرورون بما يراهم لهم لا والذي خلقهم وكفانا شغلهم انهم لفي هذه الاحوال ذاهلون عما يراهم البعيد لهم مشغولون بالفكر التي تهوورهم وتعثرهم فيما احكيناها من ضروراتهم وقد جربنا ذلك في السير مما لم يكننا قد لنا على الكثير مما وصفناه ولعل بعض من يصل الى الملك أو السلطان فالتذ في مبدئه مدة يسيرة جدا بقدر ما يمتك من منه وتفتح عينه فيه واكنه بعد ذلك يصير جميع ما ملأه كالثمن الطيبى له لا يلتذ به ولا يفكر فيه ويمد عينه الى ما لا يملكه فلو ملك الدنيا بحد اثير هاتهمنى دنيا اخرى أو تزقت همته الى البقاء الابدى والملك الحقيقي حتى يتيرم بجميع ما وصل اليه وبلغته قدرته وذلك ان حفظ الدنيا اصعب جدا مما في طبيعتها من الاخلال والتلاشي وما يضطر الملك اليه من الامور التي وصفناها والاموال الجمعة المصروفة الى الجند المرتبطين والخدم المنسوبة والنخائر والكنوز المعدة للافات والحوادث التي لا يؤمن طروقها فهذه حال طلاب النعم الخارجة عنا وما تلك النعم التي هي في ذاتنا فانما موجودة عندنا وقتنا وهي غير مفارقة لنا لانها موهبة الخالق جل وعلا قد أمرنا باستمرارها والترقي فيها فاذا

فاذا قبلنا أمره أثمرت لنا نعماء بعد نعم ورقية بدرجة بعد درجة حتى تؤدي بنا إلى النعم الابدية
 التي وصفناها فيما تقدم وهو الملك الحقيقي الذي لا يزول والقبطة الابدية الصافية التي
 لا تحول فنأخذ من صفاته ظاهرة سطة من اصاع جواهر نفيسة باقية هي عنده وموجودة
 له وطلب اعراضا خسية فانية ليست عنده ولا موجودة له فان اتفق ان يجد هالم تبق له ولم
 يترك عليه وذلك انها تنقل عنه او ينقل عنها لا محالة فلذلك قال الحكيم لم رزق السكفاية
 ووجد القصد من السعادة الخارجة ان لا يشتغل بفضول العيش فانها بالنهاية ومن طلبها
 او قعته في مهالك لانها تهاو وقد علمنا ان قيمتها تقدم ما الكفاية وما القصد وان الغرض الصحيح
 بينهم ما هو مدواة الآلام والحرز من الوقوع فيها لا التمتع وطلب اللذة وان من عالج الموع
 والعطش الذين هما مرضان والمان حادثان لا ينبغي له ان يقصد لذة البدن بل صحته وسيلته
 لا محالة فان من طلب بالعلاج اللذة لا الصحة لم تحصل له الصحة ولم يبق له اللذة وامام من لم يرزق
 السكفاية واحتاج الى السعي والاضطرار في تحصيلها فيجب ان لا يتجاوز القصد وقدر
 حاجته منها الى ما يضطر معه الى السعي الخبيث والحرص الشديد والتعرض لقبائح المكاسب
 او ضروب المهالك والمعاطب بل يجعل في طلبها اجمال العارف بخساستها وانه يضطر
 اليها لانه قصده في طلب منها كسائر الحيوانات في ضروراتها فان العاقل اذا تصفح احوالها
 وجد منها ما ياكل الميته ونها ما ياكل الروث وما في الحش وهي مسرورة بما تجده من
 اقوات اقرب العين بها وليس تستحسن من نفوسها نفورا ولا تنصرف نفوسها عنها كما تنصرف
 نفوس الحيوان المضاد لها بل انما تنصرف من اقوات تلك الاخر التي تضادها في النظافة
 ومثال ذلك الجمل والخناس اذا قيست الى الخيل فان تلك تهرب من الروائح الطيبة
 والاقوات النظيفة وهذا يطير او يمر بها فاذا نسبة كل حيوان الى قوته الخاص به ككل
 مقتنع بما يحفظ بقاءه وحياته وطلب مسرورة فيذبغى ان ينظر الى اقواتها بهذه العين
 وتتركها منزلة الحش الذي تضطر الى ملاسته لاجل ما كذا من ضرر على الوصول اليه فلا
 تبعدها من هذا الا آخر لانهم اضرورتا لنا نفوسنا لاجل الضرورة ولا نشغل
 وعقلنا باختيارهما والتمتع بهما وافناء اعمارنا في التأنق لهما ما اتوصل اليهما ولا تتكاسل
 ايضا من اعداد ضرورياتنا منها وانما يفضل احدهما الى الآخر ويتحس السعي في طلب
 الدخول ولا يستحسن السعي في طلب الخرج لان الاول منهما هو غذاء موافق لنا يخاف علينا
 ما تحلل من ابداننا ولا تستقدره كذلك لا تنفر مما نضج منه مكان ما ينقص منه وينوب عنه واما
 الثاني منهما فهو عصاره ذلك الغذاء وما نهته الطبيعة واخذت حاجتها منه اعنى الذي حالته
 دما صافيا وفرقه في العروق على الاعضاء واطرحت النفل الذي لا حاجة بها اليه وهو في غاية
 المخافة والبعث من امرجتنا فنحن نستوحس منه وننفّر عنه لاجل الضدية والمخافة الا اننا
 مضطرون الى اخرجه ونهيمته ونفضه عتابا لآلته الموهوبت والمستعجلة في ذلك ليعفرغ
 مكانه ما ياتي بعده ويجري مجراه وينبغي لحافظ الصحة على نفسه ان لا يحرك قوته الشهوانية
 وقوته الغضبية بتذكر ما اصاب منها فوجد لذته بل يتركها حتى يتحرك بانفسها واعنى بهذا
 ان الانسان بما نذكر لذاته من اصابة الشهوات وطيبها ومزاتها من امتعه من السلطان
 وغيرها فاشواق اليها واذا اشتاق اليها تحركت فحواها فقد جعلها غرضه فيضطر الى

استعمال الروية واستخدام النفس الناطقة فيه لتدبر له الوصول اليه وهذه صورة من
يثبر بها ثم عادية ويرجع سبعا عاضارية ثم يلمس معالجتها والخلاص منها وليس يختار العاقل
لنفسه هذه الحال بل هي من افعال المجانين الذين لا يميزون بين الخير والشر ولا بين الصواب
والخطأ ولذلك يجب ان لا يتذكر اعمال هاتين القوتين للثلايشاق اليها ويتحرك نحوها بل
يتزكها فانها ماسية ثوران لانفسهما ويريجان عند حاجتهما اوليتهما سان حاجتنا البدن اليه
ويتخذان من باعث الطبيعة ما يغنيك عن بعضهما بالفكر والروية والتميز فيكون حينئذ
تذكرك وتميزك في ازاحة عاتمما وتقدر ما تطاقه في الامر الضرو رى الواجب لا بدائنا
الحافظ لهما هذا هو امضاء مشيئة الله تعالى واتمام سياسته لانه تعالى انما وهب
هاتين القوتين لنا لتستخدمهما عند حاجتنا اليهما لا لخدمهما وتتعب لهما فكل من
استعمل النفس الناطقة في خدمة عبيد هافقد تجاروا من الله وتعدى حدوده وعكس
سياسته وتقديره وذلك ان خالقنا عز وجل رتب لنا هذه القوى بتدبيره وتقديره ولا عدل
اشرف وافضل من ترتيبه وتقديره وكل من خالفه وعدل عنه فهو اعظم جائر على ذاته واكبر
ظالم لنفسه وينبغي لحافظ الصحة على نفسه ان يلفظ نظره في كل ما يعمل ويدبر
ويستعمل فيه آلات بدنه ونفسه الثلاثى فيرعى على عادة تقدمت له مخالفة ما يوجب تمييزه
ودرويته كما كثيرا يعرض للانسان بدوافع افعال تخالف ما قدم فيه عزيمته وعقد عليه رايه
فمن عرض له مثل هذا فيجب عليه ان يضع لنفسه عقوبات يقابل بها امثال هذه الذنوب
فاذا انكر من نفسه مبادرة الى طعام ضار او ترك حبة قد كان استشرعها او تناول فاكهة
غير موافقة او حلواء كذلك عاقب نفسه بصوم لا يفطر فيه الا على الطيف ما يقدر عليه واقله
وان امكنه الطي فليطو ويزيد في الحمية من غير حاجة اليها ويكر في توابعه لنفسه ان
يقول لها انك قصدت تناول النافع فتناولت الضار وهذا فعل من لا عقل له ولعل كثيرا
من البهائم احسن حالها منك لانه ليس فيها تقصد لذتها ثم تتناول ما يؤاها فاما تسمى
الا نللقوة وان نكر من نفسه مبادرة الى غضب في غيره وضعه او على من لا يستحقه
او زيادة على ما يجب منه فليقابل ذلك بالتعرض لسفيه يعرفه بالبذاء ثم ليحتمله وليتذلل
لمن يعرفه بالخيرية ممن كان لا يتواضع له قبل ذلك او ليقرب على نفسه ما لا يخرج منه صدقة
وليجعل ذلك نذرا عليه لا يخل به وان انكر من نفسه كسلا وتوانيا في مصلحة له فليعاقب نفسه
بشيء فيه مشقة او صلاة فيها طول او بعض الاعمال الصالحة التي فيها كد وتعب وبالجملة
قاير سم على نفسه رسوما تهير عاير اراض وحدود لا يخل بها ولا يتخص فيها اذا انكر
من نفسه مخالفة لعقله وتجاروا المرسومه وايجذر في جميع اوقاته ملاسة رذيلة او مساعدة
رفيق عاير او مخالفة صواب ولا يستحقن شيئا مما يأتية من صفات السبائات ولا يطهر ارضه
فيما فان ذلك يدعوهم الى اعظم منها ومن تعود في اول نشوه وحدنا شابا ضبط النفس عن
شهواتها هند ثور غرضه وحفظ لسانه واحتمال اقارنه خف عليه ما يثقل على غيره ثم لم
يتأدب بهذه الآداب * وبيان ذلك اننا نجد العبيد واشباههم اذا بلوا الى سوء يسهون
عليهم ويسبون اعراضهم هان عليهم الخطب فيما يسهونه حتى لا يؤثر فيهم وربما تصاحكوا
عند سماع مكروه شديد ضحكهم متكاف ويملون عند ذلك اعمالهم ودعين طلاقين غير

قلقين وقد كانوا قبل ذلك شرشين غصو بين غير محتماين ولا مسكين من الاجوبة والانتقام
بالكلام وطلب التشفي بالخصام وهذه سيدنا ذا الفنا الفضائل وتجنبنا الرذائل وامسكتنا
عن مقابلة السفهاء ومجازاتهم والانتقام منهم * ويجب على حافظ الصحة على نفسه ان يتشبه
بالمملوك الموصوفين بالحزم فانهم يستعدون للاعداء بالعدة والعتاد والتهصن قبل هجوم العدو
وهم في مهلة من زمانهم وفي اتساع من نظره ولو اغفلوا ذلك الى ان تحمل بهم المكارة وتطردهم
الشدايد لا ذلهم الامر عن الحيلة وعن الراي السديد * فعلى هذا الاصل يجب ان تبني
امورنا في الاستعداد لاعدائنا من الشره والغضب وساثر مايز يلنا عن اغراضنا من الفضائل
بان نتعود الصبر على ما يجب الصبر عليه والحلم عن يتبني ان يحلم عنه ونضبط النفس عن
الانتموات الرديئة ولا نتطرد دفع هذه الرذائل وقت هيجانها فان الامر عند ذلك صعب جدا
ولعله غير ممكن البتة * ويجب على حافظ الصحة على نفسه ان يطلب عيوب نفسه باستقصاء
شديد ولا يقنع بما قاله جالينوس في ذلك فانه ذكر في كتابه المعروف بتعريف المرء عيوب نفسه انه
لما كان كل انسان يحب نفسه خفيت عليه معاييبه ولم يرها وان كانت ظاهرة و اشار في
كتابه هذا بان يختار من يحب ان يبرأ من العيوب صديقا كاملا فاضلا فيخبره بعد طول
المؤانسة انه انما يعرف صدق مودته اذا اصدقته عن عيوبه حتى يتجنبها او يأخذعهده
على ذلك ولا يرضى منه اذا قال له لا اعرف لك عيبا بل يذكر عليه ويعلم انه قد اتهمه بالخطية
ويعود مسئلته والالحاح عليه فاذا لم يخبره بشئ من عيوبه زاد في العتب المرشح والالحاح
قليل فاذا اخبره ببعض ما يعثر عليه منه فلا يظهر له في وجهه او كلامه منكرة ولا انقباضا بل
يدسط له وجهه ويظهر السرور بما اخرج به اليه ونبه عليه ويشكره على الايام وفي اوقات
المؤانسة لا يتطرد له الى اعداءه بله اليه ثم يعالج ذلك العيب بما يزيل اثره ويعموظ له ليعلم
ذلك المهدى اليك عيبك انك من وراء نفسك وفي طريق علاج مرضك فلا ينقبض عن
معاودتك وتصيحتك وهذا الذي اشار به جالينوس معوز غير وجود ولا مطوع فيه ولعل
العدو في هذا الموضع انفع من الصديق فان العدو لا يحتشمه في اظهار عيوبه بنابل يتجاوز
ما يعرف منا الى التحريض والكذب فيها فلنقنبه على كثير من عيوبه بناس من جهتهم بل نتجاوز
ذلك الى ان تتم نفوسنا بما ليس فيها ولا جالينوس ايضا مقالة يخبر ان خبير الناس ينتفعون
باعدائهم وهذا صحيح لا يخالفه فيه احد وذلك لما ذكرناه فاما ما اختاره ابو يوسف بن اسحاق
الكندي في ذلك فهو ما حكاه بالقاظه وهو هذا قال ينبغي لطالب الفضيلة لنفسه ان يتخذ صور
جميع معارفه من الناس مرآة له تراه صور كل واحد منهم عندما تعرض له آلام الشهوات
التي تثمر السيئات حتى لا يغيب عنه شيء من السيئات التي له وذلك انه يكون متفقد السيئات
الناس فتى رأى سيئة بادية من احد ذم نفسه عليها كأنه هو فعلها واكثر عتبه على نفسه
من اجائها ويعرض عليها كل يوم و ليلة جميع افعاله حتى لا يشذ عنه شيء منها فانه قبيح
بنا ان نجتهد في حفظ ما تنقضناه من الحجارة الدنيئة والارمدة الهامدة الغريبة منا التي
لا ينقضها عدمها البتة في كل يوم ولا ننحفظ ما ينفق من ذواتنا التي بتوفيرها بقاؤنا ونقصانها
فناؤنا فاذا وقفنا على سيئة من افعالنا اشدد عدلنا لانفسنا عليهم اثم انقيم عليهم احدا نقرضه
ولا نضيعه واذا تصفحنا افعال غيرنا وجدنا فيها سيئة عاتبنا ايضا نفوسنا عليها فان

نفوسنا ترتدغ حينئذ من المساوى وتالف الحسنات وتكون المساوى ابداءا لنا لا تناسها ولا ياتي عليها زمان طويل فيعنى ذكرها ولذلك ينبغي ان نعمل في الحسنات لنفرغ اليها ولا يفوتنا منها شيء قال وينبغي ان لا نقطع بان نصير أشباه الدفاتر والكتب التي تفيد غيرها معاني الحكمة وهي عادة اقتنائها أو كالمس يشهد ولا يقطع بل نكون كالشمس التي تفيد القمر كلما أشرقت عليه انارة من ذاتها ففعل له تماما حتى يكون له شبهها وان قصر عن نورها فهو كذا ينبغي ان يكون حالنا اذا افدنا غيرنا الفضائل وهذا الذي ذكره الكندي في ذلك ابلغ مما قاله من تقدمه هذا آخر المقالة السادسة

* (المقالة السابعة) *

في رد الصحة على النفس اذا لم تكن حاضرة وهو القول في علاج أمراضها وينبتدئ بمعونة الله تعالى بذكر اجناس هذه الامراض الغالبة ثم بعد اواة الاعظم فلا عظم منها نكابة والاكثر فالأكثر جناية فنقول أما اجناسها الغالبة فهي مقابلات العوائل الاربع التي احصيناها في مبدء الكتاب ولما كانت الفضائل أوساطا محجودة واعيانا موجدرة أمكن أن تطلب وتقصود ينتهي اليها الحر كة والسعي والاجتهاد واما سائر النقط التي ليست بأوساط فانها غير محدودة ولا اعيانها موجودة ووجودها بالعرض لا بالذات ومثال ذلك ان الدائرة لها مركز واحد ولها نقطة واحدة ولها وجود في ذاتها يصدو بشار اليها فان لم نجد لها حسا اولم يمكننا الاشارة اليها امكننا أن نستخرجها ونقيم البرهان على أنها هي المركز دون غيرها من النقط وأما النقط التي ليست بمركز فانها لانهاية لها ولا جود لها بالذات وانما توجد اذا فرضت فرضا وليست لها عين قائمة فلذلك لا تقصد ولا يمكن استخراجها لانها مجهولة ولا نهائية في جميع الدائرة وأما المعارفان اللذان يسميان متضادين فهما موجودان معينان لانهما طرفا خط مستقيم معين والبعدين بينهما غاية البعد مثال ذلك انا اذا أخرج جنما من مركز الدائرة خطا مستقيما الى المحيط صار طرفاه محدودين أحدهما المركز والاخر نهائيه عند المحيط والبعدين بينهما غاية البعد ومثاله من المحسوس البياض والسواد فان أحدهما يضاف الاخر وهما محدودان موجوان والبعدين الضدين غاية البعد فاما الاوساط التي بينهما فهي بلا نهية وكذلك الالوان هي بلا نهية وأما اطراف الفضيلة فلما كانت أكثر من واحد لم تتم ضد الان كل ضد ضد واحد ولا يمكن أن توجد اضافة كثيرة لضد واحد والسبب في ذلك ان البعد بينهما غاية البعد وقد نجد للفضيلة الواحدة أكثر من طرف واحد وذلك اذا تصورنا الفضيلة مركزا وأخرجنا منه خطا مستقيما حصلت له نهاية أمكننا ان نخرج من الجانب الاخر المقابل له خطا اخر على استقامته فتصير له نهاية أخرى ويصير ان جميعا مقابلتين للمركز الذي فرضناه فضيلة الان احدهما تجري مجرى الافراط والغلو والاخرى تجري مجرى التفريط والتقصير واذ قد فهم ذلك فليعلم أن لكل فضيلة طرفين محدودين يمكن الاشارة اليهما وواسط بينهما كثيرة لانهاية لها ولا يمكن الاشارة اليها لان الوسيط الحقيقي هو واحد وهو الذي ميناها فضيلة نعلم اننا بحسب هذا البيان نجعل اجناس الشرر ذائل ثمانية لانها ضعف الفضائل الاربع التي تقدم شرحها وهي هذه * التهور والجبن طرفان للوسط الذي هو الشجاعة * الشر والخمود طرفان للوسط الذي هو العفة * والسفه

والبله طرفان للوسط الذي هو الحكمة * والجور والمهاينة عنى الظلم والانتظام طرفان للوسط الذي هو العدالة فهذه اجناس الامراض التي تقابل الفضائل التي هي صحة النفس وتحت هذه الاجناس انواع لانهاية لها ونبد أبد كراتور والجلبين الذين هما طرفا الشهادة وهي فضيلة النفس وصحتها فنقول ان سببهما ومبدأهما النفس الغضبية ولذلك صارت الثلاثة باسمهما من علائق الغضب والغضب بالحقيقة هو حركة النفس يحدث بها غليان دم القلب ثموة الانتقام فاذا كانت هذه الحركة عنيفة اجبت نار الغضب واضرمتها فاحتد غليان دم القلب وامتلاّت الشرايين والدماغ دخاناً مظلماً مضرطاً يسوء منه حال العقل ويضعف فعله ويصير مثل الانسان عند ذلك على محاكته الحكماء مثل كهف ملئ حر يقاواضرم بارافا ختنق فيه الالهيب والدخان وعلا التاجج والصوت المدهى وحي النار فيه صعب علاجه ويتعذر اطفاؤه ويصير كل ما يدنيه للاطفاء سبباً لزيادته ومادة لقوته فلذلك يعصى الانسان عن الرشد ويهم عن الموعظة بل يصير الموعظ في تلك الحال سبباً للزيادة في الغضب ومادة الالهيب والتأجج وليس يرجى له في تلك الحال حيلة وانما يتفاوت الناس في ذلك بحسب المزاج فان كان المزاج حاراً يابساً كان قريب الحال من حال الكبريت الذي اذا أدنيت منه الشرارة الضعيفة التهب وان كان يابضاً خفاه بالصد وهوذا في مبدء امره وعنفوان حركة الغضب به فاما اذا احتدم فيكاذ الحال يتقارب فيه وتصور ذلك من الحطب اليابس والطب ومبدأ الاشتعال النار بسرعة وشدة من الكبريت والنفط ثم انحد درمنهما الى الادهان المتوسطة الى ان تنتهي الى الاحتكاك فان الاحتكاك وان كان ضعيفاً في توليد النار فر بما قوى حتى تلبس منه الالجة العظيمة وكأفك مثل المصباح الذي هو من البخار كيف يمتك حتى تنفدح بينهما النيران ويتزل منها الصواعق التي لا يثبت اثرها شئ من المواد ولا يفارق ما يتعلق به حتى يصير رميها وان كان جبلاً لأطلس وجراً أصم واما بقراطس فانه قال انى لافينة اذا هفت الرياح وتلاطمت عليها الامواج ونذفت بها الى اللجج التي فيها الجبال ارجى منى للغضبان الملتهب وذلك ان السفينة في تلك الحال ياطف لها الملاحون ويخلصون بضروب الحيل واما النفس اذا استشاطت غضباً فليس يرجى لها حيلة البتة وذلك ان كل ما رجي به الغضب من التضرع والمواظاة والخضوع يصير له بمنزلة الجزل من الحطب يوهجه ويرزده اشتعالاً اما اسبابه المولدة له فهي العجب والافتخار والمراءاة واللباج والمزاج والتهبة والاستنزاع والفسد والاضيم وطلب الامور التي فيها لذة ويتنافس فيها الناس ويهاسدون عليها وشهوة الانتقام غاية لجميها لانها باجها تنتهي اليه ومن لواحقه الندامة وتوقع المجازاة بالعقاب عاجلاً وآجلاً وتغير المزاج وتهل الام وذلك ان الغضب جنون ساعة وربما دى الى التلف باختناق حرارة القلب فيه وربما كان سبباً لامراض صعبة مؤدية الى التلف ثم من لواحقه مقت الاصدقاء وثمالة الاعداء واستنزاع الحساد والاراذل من الناس * ولكل واحد من هذه الاسباب علاج يمدأ به حتى يقطع من اصله فاما اذا تعدد من الحسم هذه الاسباب واما طتها فقتد او هناكوة الغضب وقطعنا مادتها وامنا غائلاً بها فان مرض لناس عارض كان بحيث يطيع العقل ونلقزم شرايطه وحدهت فضيلته اعنى الشهادة فيكون حينئذ اقداء بما على ما تقدم عليه كما

احتدمت النار
انقدت واحتدم
عليه غيظاً تعرق
كعدم ام

يجب ويحب وبالمقدار الذي يجب وعلى من يجب * اما العجب فحقيقته اذا حددناه انه
 ليس ككذب باليقين في استحقاق شئ بهى غير مستحقة لها وحقيق على من عرف نفسه ان
 يعرف كثرة العيون والنقائص التي تغورها فان الفضل مقسوم بين البشر وليس يكمل
 لواحد منهم الا بقضائل غيره وكل من كانت فضيلته عند غيره فواجب عليه أن لا يعجب
 بنفسه وكذلك الاختلافان الفخر هو المباهاة بالاشياء الخارجة عنا ومن باهى بما هو خارج
 عنه فقد باهى بما لا يملكه وكيف يملك ما هو معرض للاتفات والزوال في كل ساعة وفي كل
 لحظة ولنسأ على ثقة منه في شئ من الاوقات واصح الامثال واصدقها فيه ما قال الله عز وجل
 واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لهما جنتين من أعناب الى قوله فأصبح يقلب كفيه على
 ما أنفق فيها وهي خاوية على عر وهو اوقال تعالى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه
 من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدراً
 وفي القرآن من هذه الامثال شئ كثير وكذلك في الاخبار المروية عن النبي عليه السلام
 والسلام وأما المنقضية سببه فأكثر ما يدعيه اذا كان صادقا أن أباه كان فاضلاً فلو حضر ذلك
 القاضل وقال ان الفضل الذي تدعيه لى أمانه مستبد به ونكفما الذي عندك منه مما ليس
 عند غيرك لأخيه وأسكته وقدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى أخبار
 كثيرة صحيحة منها أنه قال لا تأتوني بأعمالكم وأتوني بأعمالكم أو ما هذا معناه ويحكى عن
 ملوك كان لبعض الفضلاء سفة انه افتخر عليه بعض رؤساء زمانه فقال له ان افتخرت على
 بفرسك فالحسن والفراسة للفرس لالك وان افتخرت بشيائك وآلاتك فالحسن لهادونك
 وان افتخرت بآباتك فالفضل كان فيهم دونك فاذا كانت الفضائل والمحسن خارجة عنك
 وانت تسليخ عنها وقد ردناها على أصحابها بل لم تخرج عنهم فترد عليهم وانت من يحق
 ذلك ان شاء الله تعالى وحكى عن بعض الفلاسفة انه دخل على بعض اهل اليسار والثروة وكان
 يجلس في الزينة ويفتخر بكثرة آلاته وحضر الفيلسوف بصقة فتخضع لها والتفت في البيت
 عينا وشمالاً ثم يصق في وجهه صاحب البيت فلما عوتب على ذلك قال انى نظرت الى البيت
 وجيعة ما فيه فلم أجده هناك أتبع منه فبصقت عليه وهكذا يستحق من كل خاليامن
 فضائل نفسه وافتخر بالخارجات عنه * فاما المراء واللباج فقد ذكرنا في صورتهما في المقالة التي
 قبل هذه وما يولد منه من الشبهات والمفرقة والتباغض بين الاخوان واما المزاج فان المعتدل
 منه محمود وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزج ولا يقول الاحقاد وكان أمير المؤمنين كثير
 المزاج حتى عابه بعض الناس فقال لولا دعاية فيه ولكن الوقوف على المقدار المعتدل منه
 صعب وأكثر الناس يبتدئ ولا يدري أين يقف منه فيخرج عن حده ويروم الزيادة فيه على
 صاحبه حتى يصير سبباً للوحشة فيثير غضباً كما منا ويرزع حقد ابا قحافة فلذلك عددناه في
 الاسباب فينبغي أن يحذره من لا يعرف حده ويذكر قول القائل (رب جد جره اللعب وبعض
 الحرب اوله منهراج) ثم يبيح فتنة لا يبتدى اعلاجه واما التباه بتيه على غيره ولا يكذب نفسه الا أن علاجه
 علاج المعجب بنفسه وذلك بان يعرف ان ما يتباه به لا مقدار له عند العقلاء وانهم لا يعتدون به
 لحساسة قدره ونزارة حظه من السعادة ولانه متفقر زائل غير موقوف ببقائه ولا بالمال ولا بالآلات

وسائر الاعراض قد توجد عند كل صنف من الناس الاراذل والاشراف، الجهال فاما الحكمة فليست توجد لا عند الحكام خاصة واما الاستزاه فانه يستعمله المجان من الناس والمساخر ومن لا يبالي بما يقابل به لانه قد وضع في نفسه احتمال مثل ذلك واضعافه فهو ضاحك قرر العين بضر وب الاستخفافات التي تلحقه وانما يتعش بالدخول تحت المذلة والصغار بل انما يتعرض بقليل ما يبتدئ به لكثير ما يعامل به ليضعف غيره وينال البسير من بره والحر الفاضل بعيد من هذا المقام جدا لانه يكرم نفسه وعرضه عن تعرضهما للسفاهة وبيعهما لجميع خزان الملوك فضلا عن الحقير التساقفه * وأما الغدر فوجوه كثيرة أعني انه قد يستعمل في المال وفي الجاه وفي الحرم وفي المودة وهو على كثرة وجوه مذموم بكل لسان ومعيب عند كل احدينفر السامع من ذكره ولا يعترف به انسان وان قل حظهم من الانسانية وليس به جدا لاني جنس من اجناس العبيد فتوقاهم الناس وأناف منهم سائر اجناس العبيد وذلك ان الوفاء الذي هو ضده موجود في جنس الحبشة والروم والنوبة وقد شاهدنا من حسن وفاء كثير من العبيد ما لم يشاهده في كثير من المتسمين بالاحرار ومن عرف فوج الغدر باسمه ونفوذ العقلاء منه ثم عرف معناه فليس يستعمله وخاصة من له طبيعة جيدة او قرأ ما تقدم في هذا الكتاب وتخلق به وانتهى في قراءته الى هذا الموضع * واما الضيم فهو توكيف احتمال الظلم والغضب وربما يتعرض منه شهوة الانتقام وقد ذكرنا فيما تقدم الظلم والانتظام ونشر حاله فيهما فينبغي أن لا نسرع الى الانتقام عند ضيم بلقة احثي ننظر فيه ونحذر ان لا يعود علينا الانتقام بضر را عظم من احتمال ذلك الضيم وهذا النظر والحذر هو استشارة العقل وهو الحلم بعينه * واما طاب الامور التي فيها عزة وتنافس فيها الناس فهو خطأ من الملوك والعظماء فضلا عن اوساط الناس وذلك ان الملك اذا حصل في خزائنه علق كرم اوجوه نفيس فهو معرض للجزع عند فقدده ولا بد من حلول الآفات به لما عليه طبيعة عالم الكون والفساد من تغيير الامور واحالته وادخال الفساد على كل ما يدخرو يقتني فاذا فقد الملك ذخيرة عزه الوجود يظهر عليه ما يظهر على المهجوع المصاب بما يعز عليه وتبين فقره الى نظيره الذي لا يجد في طلع الصديق والعدو على حزنه وكآبته وحكى عن بعض الملوك انه اهدى اليه قبة بلور صافية عجيبة النقاء والعفاء محكمة الخروط قد استخرج من اساطين وصور خاطرها صانعا مرة بعد مرة في تلخيص النقوش والخروق والتعاوب التي بين الصور والاوراق فلما صارت بين يديه كثر تعجبه منها وانجابه بها وامر فرفع في خاص خزائنه فلم يأت عليها كثير زمان حتى أصابها ما يصيب أمثالها من المتالف وبلغ الملك ذلك فظهر عليه من الاسف والجزع ما منعه من التصرف في أموره والنظر في مهماته والجلوس لجنته وحاشيته واجتهد الناس في وجود شئ شبيه بما فتنه من عظيم فظهر أعضا من يحزنه امتناع مطلوبه عليه ما تضاعف به جزعه وحسرتة * وأما اوساط الناس فانهم متى ادخروا لة كريمة اوجوه انقيسا أو اتخذوا امر كوابارها أو ما أشبه هذه الأشياء التمهها منه من لا يمكنه رده عنها فان حاجره عنها وبخل عليه بها فقد عرض نفسه ونعمته للبور وان سمي بها لحقه من الغم والجزع باكان مستغنيا عنه واما الاجار المتنافس فيها من البواقيت فاشباهها بما يتبعدها الا فاني في انفسها فليس تبعدها الا فاني الخارجة عنها من

العلق بالكبر
النفيس من كل
شئ والثوب
الكريم والجمع
اعلاق وعلق
اه

السرة ووجوه الحيل فيهما وإذا ادخرها الملك قل انتفاعه بها عند حاجته اليها وربما عدم الانتفاع بها دة وذلك ان الملك اذا اضطر اليها لم تنفعه في عاجل امره وحاضر ضرره وقد شاهدنا أعظم الملوك خطر اتي عصرنا لما احتاج اليها بعد فناء أمواله ونفاد ما في خزائنه وقلاعه لم يجد ثمنها ولا قريباً من ثمنها عند احد ولم يحصل منها الا على الفضيحة في حاجته الى رعيته في بعض قيمتها وهو لا يقدر على قايل ولا كثير من ثمنها وهي مبذولة مبتذلة في أيدي الدالين والتجار والسوقة يتجربون منها ولا يقدرون عاينها ومن قدر منهم على شئ من ثمنها لم يتجاسر عليه خوفاً من تتبعه بعد ذلك وظهور أمره وانتزاعه منه هذه حال هذه لئلا خازن عند الملوك * وأما التجار الموسومون بهذه الصناعة فربما اتفق لهم زمان صلاح وسكون من الرؤساء وأمر في السرب وحية لئلا تكون بضاعتهم شبيهة بالكسادة لانها لا تنفق الا على الملوك الودعين الذين لا يجزئهم شئ من نوائب الدهر وقد استمر بهم الخفض وفضلت أموالهم عن الخزائن والقلاع خيفة لئلا يغتربوا بالزمان فيقعون في مثل هذه الخدائع ثم تؤول عاقبتهم الى ما حذرنا منه * فهذه اسباب الغضب والامراض الحادثة منها ومن عرف الغدالة وتخاذلها كما يئنها فيما تقدم سهل عليه علاج هذا المرض لانه جوهر وخرج عن الاعتماد ولذلك لا ينبغي ان نسميه باسماء المديح واعني بذلك ان قومنا يسمون هذا النوع من الجور أعني الغضب في غير موضعه رجولية وشدة شكية ويذهبون به مذهب المشبعة التي هي بالحقبة اسم للدخ وشتان ما بين المذهبين فان صاحب هذا الخلق الذي ذمناه تصدر عنه أفعال رديئة كثيرة يجور فيها على نفسه ثم على اخوانه ثم على الاقرب فالأقرب من معاملته حتى ينتهي الى عبادة والى حرمة فيكون عليهم سوط عذاب ولا يقيهاهم عثرة ولا يرحمهم عبرة وان كانوا برآء من الذنوب غير محترمين ولا مكنسين سواء بل يتجرم عليهم ويهيج من أدنى سبب يجذبهم طار يقاتلهم حتى يبسط لسانه ويده وهم لا يمتنعون منه ولا يتجاسرون على رده عن انفسهم بل يذعنون له وبقرون بذنوب لم يقرقوها استكفاً للشرة وتسكيناً لغضبه وهو مع ذلك مستمر على طر يقتله لا يكف يداوياً لساناً وبعاً تجارز في هذه المعاملة الناس الى اليها ثم التي لا تعقل والى الاراني التي لا تحس فان صاحب هذا الخلق الرديء بما قام الى الجار والبرذون أو الى الجار والعصفور فيتناولها بالضرب والمكر ووربما بعض القفل اذا تهرس عليه وكسر الانية التي لا يجد فيها طاعة لاسرة وهذا النوع من رداءة الخلق مشهور في كثير من الجهال يستعملونه في الثوب والزجاج والحديد وسائر الآلات وأما الملوك من هذه الطائفة فانهم بغضبهم على الهواء اذا هب مخالها هوهم وعلى القلم اذا لم يعبر على رضاهم فيسبون ذلك ويكسرون هذا وكان بعض من تقدم عهدنا من الملوك يغضب على البحر اذا تاخرت سفينة فيه لاضطرابه وحر كذا الامواج حتى يمدده بطرح الجبال فيه وطمه بها وكان بعض السفهاء في عصرنا يغضب على القمر ويسبه ويهجو به بشراً مشهوراً وذلك انه كان يتأذى به اذا نام فيه وهذه الانعال كلها قبيحة وبعضها مع قبحه مفضك يبرز أصحابه فكيف يمدح بالرجولية والشدة وشرف النفس وعزتها وهي بالمذمة والفضيحة اولى منها بالمديح واى جملتها في العزة والشدة ونحن نجد هاهنا النساء اكثر من اى الرجال وفي المرضى اقوى منها في الاصحاء ونجد الهيبان اسرع غضباً واهجر من الرجال والشيوخ اكثر من الشبان ونجد

الخفض الدهشة
يقال عيش
خافض اهـ

ورذيلة الغضب مع رذيلة الشر فان الشر اذا اعتذر هامة فاشتبهه غضب وضيق على من يهين طعامه وشربه من نساؤه واولاده وخدمه وسائر من يلبس امره والخبيل اذا فقد شيئاً من ماله تسرع بالغضب على اصدقائه ومخاطبيه وتوجهت تهمته الى اهل الثقة من خدمه ومواليه وهؤلاء الطمينة لا يجهلون من اخلاقهم الاعلى فقد الصديق وعدم النصيح وعلى الذم الضريع واللوم الوجيع وهذه حال لانتم معها غبطة ولا سرور وصاحبها ابد المحزون كئيب متنفص بعيشه متبرم بأمره وهي حال الشقي المحروم * واما الشجاع العزيز النفس فهو الذي يقهر بحلمه غضبه و يتمكن من التمييز والنظر فيما يديهم ولا يستفز ما يرد عليه من المحركات الغضبية حتى يروى وينظر كيف يذقم من وعلى اى قدر او كيف يهفج ويغضى عن وفى اى ذنب وقد حكى عن الاسكندر انه رقى اليه عن بعض اصحابه انه يعيبه و يذم نفسه فقال له بعض اصحابه لو اذنته ايها الملك بقوة تمككه بها فقال له وكيف يكون انما كعبه عفو بى ايا دق ثابى وطالب دعابى لانه حينئذ اساطر انا واعذر عند الناس واتى يوما يبهض احدائه من المتغلبين الخارجين عليه وكان قد عاث فى اطرافه عيثاً كثيراً نصفهم عنه فقال له بعض جلسائه لو كنت انا انت لقتلته فقال له الاسكندر فاذن لم اكن انا انت فاست بقاتله * فقد ذكرنا معظم اسباب الغضب ودلائلها على معالجتها وحسمها وهو النوع الاعظم من امراض النفس واذا تقدم الانسان فى حسم سببه لم يخش تمككه منه وكان ما يمرض له سهل العلاج قريب الزوال لامادة له تاهبه وتمده ولا سبب يسعره و يوقده وتجدر الروية وضعا لاجالة النار والفكر فى فضيلة الحلم واستعمال المكافأة ان كان صوماً والتهافل ان كان حزماً والذى يتلوه معالجته هذا النوع من امراض النفس معالجته الجبن الذى هو الطرف الآخر من محتها * ولما كانت الاضداد يعرف بعضها من بعض وقد عرفنا الضرف الذى حددناه بحركة النفس عنيفة قوية يحدث منها غليان دم القلب شهوة لا تقام قد عرفنا اذن مقابله اعنى الطرف الآخر الذى هو سكون النفس عندما يجب ان تحرك فيه وبطلان شهوة الانتقام وهذا هو سبب الجبن والخور وتبعه مهانة النفس وسوء العيش وطمع طبعات الاندال وغيرهم من الاهل والاولاد والمعاملين وقلة الثبات والصبر فى المواسم التى يجب فيها الثبات وهو ايضا سبب الكسل ومحبة الراحة الذين هم ماسيما كل رذيلة ومن لواحقه الاستخذاء لكل أحد والرضى بكل رذيلة وضيم والدخول تحت كل فضيحة فى النفس والاهل والمال وسماح كل قبيحة فاحشة من الشتم والقذف واحتمال كل ظلم من كل معامل وقلة الانفة مما يأنف منه الناس * وعلاج هذه الاسباب والواقي يكون باضدادها وذلك بان توظف النفس التى تمرض هذا المرض بالخز والتعريك فان الانسان لا يخلم من القوة الغضبية رأسا حتى تجاب اليه من مكان آخر وانكم تكون ناصفة عن الواجب فهى بمنزلة النار الحامدة التى فيها بقية لقبول الترويح والتفخيخ فهى تتحرك لا محالة اذا حركت بما يلائمها وتبعث ما فى طبيعتها من التوقد والتلهب وقد حكى عن بعض المتفلسفين انه كان يتهمد واطن الحسوف فيقف فيها ويحتمل نفسه على المخاطر العظيمة بالتعرض لها ويركب البحر عند اضطرابه ويجهانه ليعود نفسه الثبات فى المخاوف ويحرك منها القوة التى تسكن عند الحاجة الى حركتها ويخرجها من رذيلة الكسل

رقى اليه كلاما
ترقية رفع اليه
اه م
تمكك السلطان
كسبه تمككا
باغنى حقو بته
كلمه اه م

ولو احقه ولا يكره مثل صاحب هذا المرض بعض المراءى والتعرض للاسقاء وخصوصه من يأمن غائلته حتى يقر ب من الفضيلة التي هي وسط بين الرذيلتين اعني الشجاعة التي هي صحة النفس المطلوبة فاذا وجدها وأحس بها من نفسه كف ووقف ولم يتجاوزها حذر امن الوقوع في الجانب الآخر الذي علمناك علاجه * ولما كان الخوف الشديد في غير موضعه من امراض النفس وكان متصلا به هذه القوة وجب ان نذكره ونذكر اسبابه وعلاجه فنقول ان الخوف يعرض من توقع مكروه وانتظار محذور والتوقع والانتظار انما يكونان للحوادث في الزمان المستقبل وهذه الحوادث ربما كانت عظيمة وربما كانت يسيرة وربما كانت ضرورية وربما كانت ممكنة والامور الممكنة ربما كانت ناسبا وربما كانت غير ناسبا وجميع هذه الاقسام ليس ينبغي للعاقل ان يخاف منها أما الامور الممكنة فهي بالجملة مستردة بين ان تكون وبين ان لا تكون وليس يجب ان يصحهم على انها تكون فيستشعر الخوف منها ويتعجل مكروه التألم بها وهي لم تقع بعد وله لها الاتقاع وقد احسن الشاعر في قوله
وقل للفرّاد ان ترى بك نزوة * من الرّوع أفرج أكثر الرّوع باطلة

فهذه حال ما كان منها عن سبب خارج وقد علمناك انها ليست من الواجبات التي لا بد من وقوعها وما كان كذلك فالخوف من مكروهه يجب ان يكون على قدر حدوته وانما يحسن العيش وتطبيب الحياة بالظن الجميل والامل القوي وترك التفكير في كل ما يمكن ان لا يقع من المكروه واماما كان سببه سوء اختيارنا وجب ان يتناهى على أنفسنا فينبغي ان نحترز منه بترك الذنوب والجنائيات التي نخاف عواقبها ولا تقدم على أمر لا تؤمن غائلته فان هذا فعل من نسي ان الممكن هو الذي يجوز ان يكون ويجوز ان لا يكون وذلك انه اذا أتى ذنباً أوجبني جنابة قدر في نفسه انه يخفى ولا يظهر أو لا يخفى فيظهر الا انه يتجاوز عنه أو لا تكون له غائلة و كانه يجعل طبيعة الممكن واجبا كما ان صاحب القسم الاول يجعل ايضا الممكن واجبا الا ان هذا يأمن الجانب المحذور خاصة وذلك يخاف الجانب المأمون خاصة واعني به هذا ان الممكن لما كان متوسطا بين الجانب الواجب والجانب الممتنع صار كالشيء الذي له جهتان احدها تلي الواجب والاخرى تلي الممتنع ومثال ذلك خط ا ج ب فنقطة ا هي الجانب الواجب ونقطة ب هي الجانب الممتنع وموضع ج هو الممكن وبهذه من الجانبين بعد واحد فله الى نقطة ا جهة وله الى نقطة ب جهة فاذا صار مستقبلا ماضيا بطل اسم الممكن عنه وحصل اما في جانب الواجب واما في جانب الممتنع وليس يصح مادام ممكن ان يحصل لامن هذا الجانب ولا من ذلك الجانب بل نعتقد فيه طبيعة خاصة به وهو انه يمكن ان يصير الى ههنا وإلى هنالك ولهذا قال الحكيم وجوه الامور الممكنة في اعقابها واما الامور الضرورية كالحرم وتوابعه فملاج الخوف منه ان نعلم ان الانسان اذا احب طول الحياة فقد احب لاحتمال الحرمان واستشعره استشهارة لا بد منه ومع الحرمان يحدث نقصان الحرارة الغريزية والرطوبة الاصلية التابعة لها وغلبة ضديعه امن البرد واليبس وضعف الاعضاء الاصلية كلها ويتبع ذلك قلة الحركة وبطلان النشاط وضعف آلات الهضم وسقوط آلات الطعن ونقصان القوى المدبرة للحياة اعني القوة الجاذبة والقوة المسكة والمهاضة والدافعة وسائر ما يتبعها من مواد الحياة وليست الامراض والالام شيئا غير هذه الاشياء ثم يتبع ذلك موت الاحياء

الاحياء وقد اضرأ والمستشعر لهذه الاشياء الملتزم لشرائطها في مبدأ كونه لا يخاف منها بل ينتظرها ويرجوها ويدعي له ما ويرغب الى الله فيها
 . هذه جملة الكلام على الخوف المطلق ولما كان اعظم ما يلحق الانسان منه هو خوف الموت
 وكان هذا الخوف عاما وهو مع عمومته اشد وابلغ من جميع المخاوف وجب ان تبدأ بالكلام فيه
 فنقول * ان الخوف من الموت ليس يعرض الا لمن لا يدري ما الموت على الحقيقة أولا يعلم الى
 أين تصير نفسه اولانه يظن ان بدنه اذا انحلت وبطل تركيبه فقد انحلت ذاته وبطلت نفسه
 بطلان عدم وجوده وان العالم سيبقى موجودا وليس هو موجود فيه كما يظنه من يجهل بقاء
 النفس وكيفية المعاد اولانه يظن ان للموت الماعظي ما غير الم الامراض التي ربما تقدمته
 وادت اليه وكانت سبب حلوله ولانه يعتقد عقوبة تعزل به بعد الموت اولانه يخبر لا يدري على
 اى شيء يقدم بعد الموت اولانه يأسف على ما يخلفه من المال والقبيل وهذه كلها ظنون باطلة
 لاحقيقة لها امام جهل الموت ولم يدركها هو على الحقيقة فان اثنين له ان الموت ليس بشئ اكثر
 من ترك النفس استعمال الاتهام في الاعضاء التي يرمي مجموعها بدننا كما يترك الصانع
 استعمال الاتهام وان النفس جوهر غير جسماني وليست عرضا وانها غير قابلة للفساد وهذا
 البيان يحتاج فيه الى علوم متقدمة وهو مبرهن مشروح على الاستقصاء في موضعه الخاص به
 ومن نطلع اليه ونشط للوقوف عليه لم يبعد مرأه ومن قنع بما ذكرته في صدر هذا الكتاب
 وسكنت نفسه اليه علم ان ذلك الجوهر مفارق لجوهر البدن مبين له ككل المباني بذاته
 وخواصه وافعاله وانارها فاذا فارق البدن كما قلنا وعلى الشريطة التي شرطنا في البقاء الذي
 يخصه ونقى من كدر الطبيعة وسد السعادة التامة ولا سبيل الى فناءه وعدمه فان الجوهر
 لا يفسد من حيث هو جوهر ولا تبطل ذاته وانما تبطل الاعراض والنسب والاضافات التي
 بينه وبين الاجسام باضدادها فاما الجوهر فلا ضده وكل شئ يفسد فانما فساد من ضده وقد
 يمكنك ان تنقف على ذلك بسهولة من اوائل المنطق قبل ان تصل الى براهينه وان انت تأملت
 الجوهر الجسماني الذي هو اخص من ذلك الجوهر الكرم واستقرت حاله وجدته غير فان
 الامة تلاحش من حيث هو جوهر وانما يستحيل بعضه الى بعض فتبطل خواص شئ شيا
 منه واعراضه فاما الجوهر نفسه فهو باق لا سبيل الى عدمه وبطلانه مثال ذلك الماء فانه
 يستحيل بخارا او هواء وكذلك الهواء يستحيل ماء ونارا فتبطل عن الجوهر اعراضه وخواصه
 واما الجوهر من حيث هو جوهر فانه لا سبيل الى عدمه هذا في الجوهر الجسماني القابل
 للاسقاط والتغيير فاما الجوهر الروحاني الذي لا يقبل الاسقاط ولا التغيير في ذاته وانما
 يقبل كالاته وتماثاته فهو فكيف يتوهم فيه العدم والتلاشي وانما يخاف الموت لانه
 لا يعلم الى أين تصير نفسه اولانه يظن ان بدنه اذا انحلت وبطل تركيبه فقد انحلت ذاته وبطلت
 نفسه وجهل بقاء النفس وكيفية المعاد فليس يخاف الموت على الحقيقة وانما يجهل
 ما ينبغي ان يعلمه فالجهل اذن هو الخوف اذ هو سبب الخوف وهذا الجهل هو الذي حمل
 الحكماء على طلب العلم والتعب به وتركوا الاجل للذات الجسمانية وراحات البدن
 واختاروا عليه التعب والسرور وان الراحة التي تكون من الجهل هي الراحة الحقيقية
 وان التعب الحقيقي هو تعب الجهل لانه يرضى من النفس واليرى منه خلاص لها وراحة

سرمدية ولذة أبدية ولما يتقن الحكماء ذلك واستبصر واقعهم وهجموا على حقيقته ووصلوا
 الى الروح والراحة منه هانت عليهم أمور الدنيا كلها واستمقر واجيع ما يستعظمه الجمهور
 من المال والثروة واللذات الحسية والمطالب التي تؤدي اليها اذا كانت قليلة الثبات والبقاء
 سريعة الزوال والفناء كثيرة المموم اذا وجدت عظيمة الغموم اذا فقدت واقتصر وامنوا
 على المقدار الضروري في الحياة وتسلاوا عن فضول العيش الذي فيه ما ذكرت من العيوب
 ومالم اذكره ولا تنامع ذلك بل انتهى وذلك ان الانسان اذا بلغ منها الى غاية تاقته نفسه الى غاية
 اخرى من غير وقوف على حدود الانتهاء الى امد وهذا هو الموت لا ما خاف منه والحرص عليه
 هو الجهرص على الزائل والشغل به هو الشغل بالباطل ولذلك جزم الحكماء بأن الموت موتان
 موت ارادي وموت طبيعي وكذلك الحياة حياتان حياة ارادية وحياة طبيعية وعنوا بالموت
 الارادي اماتة الشهوات وترك التعرض لها وبالموت الطبيعي مفارقة النفس البدن وعنوا
 بالحياة الارادية ما يسعى له الانسان لحياته الدنيا من المأكل والمشرب والشهوات وبالحياة
 الطبيعية بقاء النفس السرمدي بما تستفيد من العلوم الحقيقية وتبرأ به من الجهل ولذلك
 وصي افلاطون طالب الحكمة بان قال له مات بالارادة فحي بالطبيعة على ان من خاف الموت
 الطبيعي للانسان فقد خاف ما ينبغي ان يرجوه وذلك ان هذا الموت هو تمام حد الانسان لانه
 حتى ناطق ميت فالموت تمامه وكما له به بصير الى افقه الاعلى ومن علم ان كل شيء هو مركب من
 حدوده مركب من جنسه وفصوله وان جنس الانسان هو الحي وفصله الناطق والمات
 علم انه سيفعل الى جنسه وفصوله لان كل مركب لا محالة منحل الى ما تركب منه فمن اجهل من
 يخاف تمام ذاته ومن اسوء حال من يظن ان فناءه يحيا به ونقصانه بتمامه وذلك ان الناقص اذا
 خاف ان يتم فقد دل من نفسه على غاية الجهل فاذا الواجب على العاقل ان يستوحش من
 النقصان ويانس بالتسمام ويطلب كل ما يتممه ويكمله ويشرفه ويعلى منزلته ويحلي رباطه من
 الوجه الذي يأمن به الوقوع في الامر لا من الوجه الذي يشد وثاقه ويزيده تركيبا وتعقيدا ويشق
 بان الجوهر الشريف الالهى اذا تخلص من الجوهر الكثيف الجسماني خلاص بقاء وصفوا
 لا خلاص من اج وكدر فقد سعدوا عاد الى ملكونه وقرب من بارئته وفاز بجوار رب العالمين وخالطا
 الارواح الطيبة من اشكاله واشباهه ونجما من اضداده وأغياره ومن ههنا يعلم أن من فارقت
 نفسه بدنه وهي مشتاقة اليه مشفقة عليه خائفة من فراقه فهي في غاية الشقاء والبعد من ذاتها
 وجوهرها سالكة الى أبعدها تنهات مستقرها طالبة قرارا لا قرار له * وامام من ظن أن
 للموت ألما عظيما غير ألم الامراض التي ربما اتفق ان تتقدم الموت وتؤدي اليه فعلاجه أن
 يبين له أن هذا ظن كاذب لان الألم انما يكون للحي والحي هو القابل اثر النفس واما الجسم
 الذي ليس فيه اثر النفس فانه لا يألم ولا يحس فاذا الموت الذي هو مفارقة النفس البدن لا ألم له
 لان البدن انما كان يألم ويحس بأثر النفس فيه فاذا صار جسما لا اثر فيه للنفس فلا حس له
 ولا ألم فقد تبين ان الموت حال للبدن غير محسوس عنده ولا مؤلم لانه فراق ما به كان يحس ويتألم *
 فأما من خاف الموت لاجل العقاب الذي يوعده بعد فينبغي أن تبين له انه ليس يخاف الموت بل
 يخاف العقاب والعقاب انما يكون على شيء باق بعد البدن الدائر ومن اعترف بشيء باق منه بعد
 البدن فهو لا محالة معترف بذنوب له وأعمال سيئة يستحق عليها العقاب ومع ذلك هو معترف

بما كم عدل يعاقب على السيئات لاعلى الحسنات فهو اذا خائف من ذنوبه لآس الموت ومن خاف عقوبة على ذنب فالواجب عليه أن يحذر ذلك الذنب ويحتميه وقد يدنا فيه ان تقدم أن الافعال الرديئة التي تسمى ذنوبا إنما تصدر عن هيمات رديئة والهيئات الرديئة هي للنفس وهي الرذائل التي احصيناها وعرفناك أضدادها من الفضائل فاذا الخائف من الموت على هذه الطريقة ومن هذه الجهة فهو جاهل بما ينبغي أن يخاف منه وخائف بما لا أثر له ولا خوف منه وعلاج الجهل هو العلم فاذا الحكمة هي التي تخصها من هذه الآلام والظنون الكاذبة التي هي نتائج الجهالات والله الموفق لما فيه الخير * وكذلك نقول لمن خاف الموت لانه لا يدري على ما يقدم بعد الموت لان هذه حال الجاهل الذي يخاف بجهله فعلاجه أن يتعلم ليعلم وشبهه شاق وذلك ان من اثبت لنفسه حالا بعد الموت ثم لم يعلم ما تلك الحال فقد اقر بالجهل وعلاج الجهل العلم ومن علم فقد وثق ومن وثق فقد عرف سبيل السعادة فهو يسلكها لا محالة ومن سلك طريقا مستقيما الى غرض صحيح اقضى اليه بلا شك ولا مرية وهذه الثقة التي تكون بالعلم هي اليقين وهي حال المستبصر في دينه المستمسك بحكمته وقد عرفناك مرتبة ومقامه فيما سلف من القول * واما من زعم أنه ليس يخاف الموت وانما يحزن على ما يخاف من اهله وولده وماله ونسبه وبأسف على ما يفوته من ملاذ الدنيا وشهواتها فينبغي ان نبين له ان الحزن تجهل ألم ومكروه على ما لا يجدي الحزن اليه بطائل وسنذكر علاج الحزن في باب مفرد له خاص لانافي هذا الباب انما سنذكر علاج الخوف وقد أتينا منه على ما فيه من قنع وكفاية الا اننا نزيد بيانا ووضوحا فنقول * ان الانسان من جملة الامور الكائنة وقد تبين في الآراء الفلسفية ان كل كائن فاسد لا محالة فمن أحب ان لا يفسد فقد احب ان لا يكون ومن احب ان لا يكون فقد احب فساد ذاته فكانه يجب ان يفسد ويجب ان لا يفسد ويجب ان يكون ويجب ان لا يكون وهذا محال لا يخاطر ببال عاقل وايضا فانه لو لم يمت اسلافنا واماؤنا لم ينته الوجود الينا ولو جاز أن يبقى الانسان لبقى من تقدم منا ولو بقي من تقدم منا من الناس على ما هم عليه من التناسل ولم يموتوا لما وسعهم الارض وانت تبين ذلك مما أقول هب ان رجلا واحدا من كان منذ اربع مائة سنة هو موجود الآن وليكن من مشاهير الناس حتى يمكن ان يحصل اولاده موجودين مع رقيق كعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه مثلا ثم ولده اولاد اولاد اولاد وبقوا كذلك يتناسلون ولا يموت منهم احد كم يكون مقدار من يجتمع منهم في وقتنا هذا فانك تجدهم اكثر من عشرة آلاف الف رجل وذلك ان بقيتهم الا أن مع ما قدر قيمهم من الموت والقتل الذريع اكثر من مائة الف نسمة في جميع الارض واحسب لمن كان في ذلك العصر من الناس على سبيل الارض مثل هذا الحساب فانهم اذا تضاعفوا هذا التضاعف لم تضبطهم كثرة ولم ينقصهم عددا ثم امسح بسبيل الارض فانه محدود ومعروف له علم ان الارض حينئذ لا تسعهم قياما فكيف تعود او متصرفين ولا يبقى موضع عمارة يفضل عنهم ولا مكان زراعة ولا مسير لاحد ولا حركة فضلا عن غير هذا وهذه مدة يسيرة من الزمان فكيف اذا امتد الزمان وتضاعف الناس على هذه النسبة فهذه حال من يتمنى الحياة الابدية لا بدن ويكره الموت وذن ان ذلك ممكن او مسموع فيه من الجهل والغباء فاذا الحكمة الباقية والعدل المتوسط بالانديان الهسي هو الصواب الذي لا معاذ عنه ولا محيص منه وهو غاية الجود الذي ليس

وراه غاية اخرى لطالب مستزيد اوراغب مستفيد والخائف منه هو الخائف من عدل البارئ وحكمة بل هو الخائف من جوده وعطائه فقد ظهر ظهورا حسيا ان الموت ليس بردى كما يظنه جهور الناس وانما الردى هو الخوف منه وان الذى يخاف منه هو الجاهل به وبذاته وقد ظهر ايضا في ما تقدم من قولنا ان حقيقة الموت هي مفارقة النفس البدن وهذه المفارقة ليست فساد للنفس وانما هي فساد المتركب واما جوهر النفس الذى هو ذات الانسان ولبه وخلاصته فهو باقى وليس يحسم فيلزم فيه ما لزم في الاجسام مما اوردناه قبيل بل لا يلزمه شئ من امراض الاجسام اى لا يتراحم في المسكان لاستغنائها عن المكان ولا يحرم على البقاء الزمان لاستغنائها عن الزمان وانما استفاد بالحواس والاجسام كالا فاذا كل بها ثم خلس منها ما رالى عالمه الشريف القريب الى بارئه ومنشئه تعالى وتقدس وهذا السكال الذى يستفيدة في هذا العالم الحسى قد بيناه وعرفناك الطريق الى به بما سلف من القول في هذا الباب وانه السعادة القصوى للانسان واعلمناك ضده الذى هو الشقاء الاقضى له وبيننا مع ذلك مراتب السعادة ومنازل الابرار ودرجاتهم من رضوان الله وجنته التى هي دار القرار كما بينا لك اضدادها من مضطه ودرجاتهم من النار التى هي الهاوية بلا قرار نسال الله حسن المعونة على ما يقر بنامه ويبيدنا من مضطه انه جواد كريم رؤوف رحيم

﴿علاج الحزن﴾

الحزن الم نفسانى يعرض لفقد محبوب او فوت مطلوب وسببه الحرص على القنيات الجسمانية والشرة الى الشهوات البدنية والحسرة على ما يفقده او يفوته منها وانما يحزن ويحزن على فقد محبوباته وفوت مطلوباته من يظن ان ما يحصل له من محبوبات الدنياسيجو زان يبقى ويثبت عنده او ان جميع ما يطلبه من مفقوداتها لا بد ان يحصل له ويصير في ملكه فاذا انصف نفسه وعلم ان جميع ما في عالم الكون والفساد غير ثابت ولا باق وانما الثابت الباقي هو ما يكون في عالم العقل لم يطمع في المحال ولم يطلبه واذا لم يطمع فيه لم يحزن لفقد ما هو واه ولا فوت ما يتمناه في هذا العالم وصرف سعيه الى المطوبات الصافية واقتصر بهمته على طلب المحبوبات الباقية واعرض عما ليس في طبيعة ان يثبت ويبقى واذا حصل له منه شئ يادراى وضعه في موضوعة واخذ منه مقدار الحاجة الى دفع الآلام التى احصيناها من الجوع والعرى والضرورات التى تشبهها وترك الادخار والاستكثار والتمسك بالمباهاة والانتخار ولم يحدث نفسه بالمسكثرة او التمنى لها واذا فارقه لم يأسف عليها ولم يبسال بها فان من فعل ذلك امن فلم يجزع وفرح فلم يحزن وسعد فلم يشقى ومن لم يقبل هذه الوصية ولم يعالج نفسه بهذا العلاج لم يزل في جزع دائم وحزن غير منقص وذلك انه لا يعدم في كل حال فوت مطلوب او فقد محبوب وهذا لازم لعالمنا هذا لانه عالم السكون والفساد ومن طمع من السكائن الماسدان لا يكون ولا يفقد فقد طمع في المحال ومن طمع في المحال لم يزل خائبا والخائب ابد يحزون والمحزون شقى ومن استشعر بالعادة الجيلة ورضى بكل ما يجده ولا يحزن لشيء يفقده لم يزل مسرورا سعيدا فان ظن ظان ان هذا الاستشعار لا يتم له اولا لا يتفجع به فليتنظر الى استشهارات الناس في مطالبهم ومعاشهم واختلافهم فيها بحسب قوة الاستشعار فانه سيرى رؤية بينة ظاهرة فرح المتعشقين بها يشهم على تفاوتها وسرور اصحاب الحرف المختلفة بمذاهيمهم على

الشاظر من أعيان
أهل خيبراهم

ثبائنها ولينصفهم ذلك في طبقة طبقة من طبقات الدهاء فإنه لا يخفى عليه قرح الشاظر بجوارته
والجندی بشجاعته والمقامر بقماره والشاظر يشطارته والمخنث بخصته حتى يظن كل واحد
منهم أن المغبون من عدم تلك الحالة حتى يقدم بجهتها والمجننون من غيبي عنها قهرم لفتها وليس
ذلك الا لقوة استشمار كل طائفة بحسن مذهبه ولزومها اليه بالعادة الطويلة وإذا لزم طالب
الفضيلة مذهب وقوى استشماره وحسن رأيه وطأ استعادته كان أولى بالسرور من هذه
الطبقات الذين يخبطون في جهالاتهم وكان أحظاهم بالنعيم المقيم لأنه محقق وهم مبطون وهذه
متيقن وهم ظانون ثم هو محيهم وهم مرضى وهو سعيد وهم أشقياء وهو ولي الله عز وجل وهم
أعداؤه وقد قال الله عز من قائل ألا نولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال
الكندى في كتاب دفع الحزان ما يدل ذلك دلالة واضحة أن الحزن شيء يجلبه الانسان
وبضه وضعا وليس هو من الاشياء الطبيعية * ان من فقد ملكا أو طلب أمرا قل يبعده فلهقه
حزن ثم نظرس في حزنه ذلك نظرا حكما يعرف أن أسباب حزنه هي أسباب غير ضرورية
وأن كثير من الناس ليس لهم ذلك الملك وهم غير محزونين بل فرحون مغبوطون علم علما لا ريب
فيه أن الحزن ليس بضروري ولا طبيعي وأن من حزن من الناس وجلب لنفسه هذا العارض
فهو ولا محالة سيسلوو يعود الى حاله الطبيعي فقد شاهدنا قوما فقدوا من الاولاد والاعزة
والاصدقاء ما اشتد حزنهم عليه ثم لا يلبثون أن يعودوا الى حالهم مرة والضحك والقبطة
و يصبرون الى حال من لم يحزن قط ولذلك نشاهد من يفقد المال والضياح وجبج ما يقتنيه
الانسان مما يعز عليه ويجزنه فإنه لا محالة يسلى ويزول حزنه وبعاد أانساه واعتباطه
فالماعل اذا نظر الى أحوال الناس في الحزن واسبابه علم أنه ليس يختص من بينهم بمصيبة
غريبة ولا يتميز عنهم بمحنة بديهة وان غايته من مصيبتة السولة وان الحزن هو مرض عارض
يجرى مجرى سائر الراضات فلم يضع لنفسه عارضا رديشا ولم يكنسب مرضا وضعيا أعنى
مجتلبا غير طبيعي وينبغى أن تتذكر ما قد مناذ كرهه من حال من يجلبا بخية على ان يشمها
و يتمتع بها ثم يرد هالته غير و يتمتع بها سواء فأطعمته نفسه فيما و ظن أنهم امهو به له
هبة ابدية فلما أخذت منه حزن واسف وغضب فان هذه حال من عدم عقله وطمع فيما
لا مطمع فيه وهذه حالة الحسد ولأنه يجب أن يستبد بالخيرات من غير مشاركة الناس والحسد
أقبح الامراض وأشنع الشرور ولذلك قالت الحكماء من أحب أن ينال الشر أعداءه فهو
محب للشر ومحب الشر شرير وشر من هذا من أحب الشر من ليس له بعدد وأسو من هذا
حالا من أحب أن لا ينال اصدقاءه خيرة ومن أحب ان يحرم صديقه الخير فقد أحب له الشر
ويجب له من هذه الراضات الحزن على ما يتناولها الناس من الخيرات وان يحسد هم على
ما يملكون اليه منها وسواء كانت هذه الخيرات من قنبا تنالها ملكا كناية او عيال فقتله ولم
نمأسكه لان الجميع مشترك للناس وهي ودائع الله عند خلقه وله ان يرجع العارية متى
شاء على يد من شاء ولا سيئة علينا ولا عارا اذا اردنا الودائع وانما العار والسيئة ان
نحزن اذا ارجعت منا وهو مع ذلك كفر لانه مة لان اقل ما يجب من الشكر للنعمة ان ترد
عليه عار به على طيب نفس ونسرع الى اجابته اذا استردها ولا سيما اذا ترك للمسير
علينا افضل ما عارنا لو ارجع اخسه قال واعنى بالافضل ما اتصل اليه يد ولا بشر كنا

فيه احد اعني النفس والعقل والفضائل الموهو بقلنا هبة لا تسترد ولا ترتفع وبقول
ان كان ارتفعه الاقل الاخس كما اقتضاه العدل فقد ابقى الاكثر الافضل وأنه لو كان
يست مسادا للنفس واجعل ما انفقده لوجب ان تكون ابدا محزونين فينبغي للعاقل
وخلاصته فهو لا نسب المضارة المؤلمة ون يقل القيمة ما استطاع اذ كان فقددها سببا
للأحزان وقد حكي عن سقراط انه سئل عن سبب نشاطه وقلة حزنه فقال لا نثي لا اقتنى
ما اذا فقدته حزنت عليه واذا قد ذكرنا اجناس الامراض الغالبة التي تخص النفس
واشهرها الى علاجاتها ودلائلها على شفاؤها فليس يتعذر على العاقل المحب لنفسه الساعي لها
اقبها بغيرها من الامها و ينجيها من مهالكها ان يتصفح الامراض التي تحت هذه
الاجناس من انواعها واثباتها صفايدوى نفسه معها ويعالجها بمقا بالتمام من العلاجات
المرغبة الى الله عز وجل بعد ذلك في التوفيق فان التوفيق مقرون بالاجتهاد وليس يتم
أحدهما الا بالآخر .

هذا آخر المقالة السادسة وهي تمام الكتاب والحمد لله رب العالمين والصلاة على
النبي محمد وآله واصحابه اجمعين وحبنا الله ونعم المعين

قد تم بهون الله كتاب طبع تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق الذي له من مسماه
نصيب بلقي الناطر فيه بوجه طلق رحيب سهل المآخذ الداني القريب فياله من
كتاب ما ابره وسمير انيس ما افخره بشهد ماؤلفه بقوة الذكاء وجودة الجنان حيث بين
الضار من النافع للانسان جزى الله مؤلفه خيرا وكافأه على حسن صنيعه ذخرا
بمطبعة وادي النيل العامرة بمصر المحروسة الباهرة الزاهرة في او اخر شهر

شعبان المكرم الذي يفرق فيه كل امر حكيم ويبرم من سنة ١٢٩٩

من هجرة من له العز والشرف والمزايا الحيدة وأبهي التحف

صلى الله عليه وعلى آله واصحابه واخراجه وسلم وبارك

عليه وعلى أنصاره واحبابه ما تهذب

الاخلاق وتطهرت النفوس

والاعراف

امين

